

أبو القاسم عمرو بن مسعود الكندي

البيع بن حبيب محدثا وفقها

رسالة ماجستير

بإشراف

د. عمرو الكومى الكشيباني

أشرف على طبعه الأستاذ
أبراهيم بن محمد بن مسعود علوي

322
أبو القاسم عمرو بن مسعود الكباوي

الربيع بن حبيب محدثا وفقهيا

رسالة ماجستير

جامعة الفتح - كلية التربية

قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية

ليبيبا

بإشراف :

د . عمرو التومي الشيباني

1403 هـ - 1983 م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

(آل عمران : الآية 164)

ويقول :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(النحل : الآية 44)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«نُفِثَ اللَّهُ أَمْرًا مَعَ مَنْ أَحَدِيثًا فَأَدَاهُ بِمَا سَمِعَهُ فَرَبٌّ مَبْلُغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»

(رواه البيهقي)

ويقول :

«مَنْ أَحْيَى سُنَّتِي أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ»

(أخرجه أبو داود والترمذي)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن الباحث لا يسعه - وقد انتهى بحثه بعون من الله وتوفيقه إلى غايته .
لأن أن يقدم بوافر التقدير وجزيل الشكر لأمانة التعليم بالجامعة التي كانت
السبب المباشر في تمكنه من هذه الغاية بإخلاص طرفه من العمل الرسمي وتقريفه
كلياً مدة البحث ... ولجامعة الفاتح الموقرة التي احتضنته طاليا نظاميا كهلاً،
وباحثاً منتسباً شيخاً، مما ساعده على القيام بواجبه، والوصول إلى هدفه .
ولأستاذة الفاضل الدكتور عمرو التومي الشيباني الذي تكرم بالإشراف عليه -
رغم كثرة أعماله، وعظم تبعاته ومسؤولياته العلمية والاجتماعية - لما أسده له من
خالص التوجيه، وحسن الإرشاد، حيث وضع قلمه السيال على كل خط له في
المنهج، وأشرق برأيه السديد على كل عتامة له في القدرة، إلى جانب ما أظهر له
- طيلة مدة الإشراف - من رحابة الصدر في المناقشة والتحاور، وحنو الأبوة
عند اختلاف وجهات النظر والتساو، وكرم الضيافة وحسن الاستقبال في البيت
عند التزاو، فقد جسد - حفظه الله - بهذا العمل تلك الصفات التي كان يتحلى
بها أجلة علماء سلفنا الصالح ... ويشكر أيضاً أستاذة الدكتور عمي الدين بالتاجي
الذي تولى الإشراف على الباب الأول من البحث عند غياب الدكتور الشيباني .
كما لا يفوته شكر وتقدير أستاذة - الذي يحب الخير للجميع - عبد الله الهوفي
رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية لما لاقاه منه من تشجيع
ومساعدة معنوية . والدكتور علي الحوات رئيس قسم الدراسات العليا بكلية التربية .
والدكتور صلاح الدين أحمد زارم أمين اللجنة الشعبية بكلية التربية ... والمسؤولين
بمكتبة كلية التربية والمركزية بجامعة الفاتح . وكل من ساهم في بناء هذا الموضوع
بفتح مكتبته الخاصة والعامة وساعد على إخراجه بهاته الكيفية .
والله سبحانه وتعالى وحده عنده حسن الثواب .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين
والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين
والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين
والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم عليه أفضل الصلاة وأمثل التسليم وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا هذه وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد، فإن أشرف الحديث بعد كلام الله هو كلام رسول الله الذي أوتي القرآن ومثله معه وأشرف العلوم علم القرآن والسنة النبوية الشريفة وأعلى العلماء درجة الذين استعملهم الله في تفسير كلامه وتدوين سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي مقدمة هؤلاء المدونين للأحاديث إمامنا الرضي ثقتنا وتيقنا وأميننا الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي العمانى وطنا ومدفنا البصرى مسكنا حيث كان يغرف من مناهل العلم والعرفان ويقتبس أقباس الهدى من شيوخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدى وضام بن السائب وأبي نوح وأمثالهم عن أنعم الله عليهم بأنوار علوم الشريعة فكانوا لعلماء هذه الأمة الطليعة . ولد هذا العالم الجليل في النصف الثاني من القرن الاول الهجري في غصافان من أعمال صحار حيث توفي وهو يناهز المائة في الثانية والسبعين بعد المائة ودفن في مسقط رأسه في غصافان رحمه الله . وقد انتقل إلى البصرة في مستهل شبابه ليغرف العلم من مناهله فكث فيها زمانا طويلا متعلما فعلمنا وواعظا ومفتيا . وفي هذه الاثناء دون مسنده الذي رواه عن إمامه وشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وهو أعلى الأسانيد سندا جمع فيه ألف حديث وثيفا وتركه في أيدي تلاميذه وتلاميذ تلاميذه يتدارسونه ثم رتبته العالم الجليل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدائقي الوارجلاني بعد ثلاثة قرون وغو نصف قرن من وفاة صاحب المسند فتمدهما الله برحمته ورضاه ولا تزال أيدي البارسين والشراح تتداوله

رفع الله الذين آمنوا منهم والذين أوتوا العلم درجات وإني لأبارك في هذا التقديم المختصر نشاط القائمين على إبراز هذا النجم اللامع ليهتدي به السارون في منهج الهدى والرشاد وأدعو لهم بالتوفيق وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين

ناصر بن محمد المرموزي
أستاذ الشريعة بمعهد الحياة
بالقراة - الجزائر

أما بعد :

فأولاً : أسباب اختيار الموضوع :

لقد أثار الباحث أن يكون موضوع بحثه الذي تقدم به لنيل درجة (الماجستير) في العلوم الإسلامية من شعبة الدراسات الإسلامية العليا بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الفاتح هو «الربيع بن حبيب محدثاً» .

أثار الباحث هذا الموضوع وهو يدرك تمام الإدراك مدى الصعوبات الجمة التي ستعترض سبيله، وما يحتاجه منه من عناء وجهد، وما يتطلبه من تعب ونصب، فهو موضوع بكر لم تتناوله أقلام الباحثين من قبل، ولم يطرق بابيه المؤرخون لعلماء السنة سابقا، إلى جانب قلة المصادر التي تحدثت عنه، ونُدرة المراجع التي أشارت إليه .

ولعل هناك من يسأل أو يتساءل : لم أقدم الباحث على هذا الموضوع وهو يعلم سلفاً تلك العقبات التي ستصادفه . ويدرك مقدماً ما سيعانيه من ندرة في المصادر، وما سيلقيه من قلة في المراجع ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أو التساؤل يقول :

هناك عدة أسباب حملته على اختيار هذا الموضوع بما فيه من صعوبات أو ما يكتفه من عراقيل، وأهم هذه الأسباب مايلي :

1 - إيمانه العميق بأن مهمة طالب الدراسات العليا، ورسالة الباحث العلمي تحتان عليه أن يكشف عن التراث الحضاري الإسلامي والإنساني بعامته، وأن يرتاد المجهول منه فينتفض عنه غبار الزمن، ويطرق المواضيع الأبعاد التي لم تتناول من قبل فيقدمها فكراً جديداً ويضعها لبننة قوية في صرح المكتبة الإنسانية لتصل الباضي بالحاضر، ويقبها قنطرة ركنة للمورخو المستقبل المنتظر، وفي سبيل ذلك كله يتوجب عليه أن يستهين بكل صعب، ويتحدى كل عسير حتى يصل إلى الهدف المنشود، والغاية الشريفة النبيلة التي تبرر كل شاق من الوسائل، وتذلل كل وعر من السبل .

2 - إن أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري أحد علماء القرن الثاني

الهجري الذين خلفوا تراثاً علمياً تمتاز به المكتبة الإسلامية، ولما كان أكثر علماء الأمة الإسلامية - ولا سيما في عصرنا هذا الذي انتشرت فيه وسائل الاتصال الفكري والثقافي - أكثر هؤلاء العلماء - باستثناء الإباضية - لا يعرفون عنه وعن إنتاجه العلمي شيئاً، وآية ذلك - وعلى سبيل المثال - أنه قدّر للباحث أن يجتمع - صدفة وعلى غير ميعاد - بأحد علماء السنة ورئيس قسم التفسير والحديث في إحدى الجامعات الإسلامية المعتمدة، ويسأله عما يدرس من كتب الحديث النبوي الشريف ؟ فذكر له الكتب المتاح، وعدد المسانيد، ولكنه لم يرد على لسانه ذكر للجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري . ولما سأله الباحث عن السبب في عدم تدريس مسند أبي عمرو في قسمه كبقية المسانيد التي تدرس ؟ أجاب : من الربيع هذا وما مسند الربيع ؟ فإذا كان عالم من علماء السنة، ورئيس لقسم التفسير والحديث بإحدى الجامعات الإسلامية المعتمدة، والتي يؤمها طلبة العلم المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها يجهل الربيع ، ولا يعلم عن مسنده شيئاً فكيف بالآخرين !!؟

لذلك رأى الباحث من واجبه أن يسهم بمجده المتواضع في التعريف به، ويثقي من إنتاجه العلمي، وفاء منه بحق السلف على الخلف، وتمكيناً لطلبة العلم من الاطلاع على جهود العاملين المخلصين من علماء السلف الصالح، دون النظر إلى الانتماءات المذهبية لأولئك الأعلام .

3 - وضع شخصية أبي عمرو هذا في المكان اللائق بها وضمن الثقات من رواة الحديث حيث أغفل ذكره من قبل أولئك الذين تداولوا رجالات الحديث بالجرح والتعديل، وتبعوا رواياتهم بالتصحیح والتضعیف، وشادوا بمجهود الثقات منهم، مع أنه كان من أوائل من دوّنوا الحديث في مطلع القرن الثاني الهجري ومسند من أقدم ما صنف من المسانيد في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التدوين .

- 4 - الكشف عن تلك الأسباب التي أدت إلى إغفال ذكر هذا المحدث الرائد، وعدم اعتبار مسنده ضمن كتب السنة المعتمدة لدى جمهور المسلمين .
- 5 - إبراز جهود علماء الإباضية المبكرة في مجال السنة، لنفي تلك المزاعم التي تدّعي أنهم لا يعتقدون من الحديث إلا ما جاء عن طريقهم .
- 6 - الكتابة عن السنة النبوية في أدوارها المختلفة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى زمن التدوين، وعن الحديث ومصطلحه باختصار، وذلك لقلة الكتابة من علماء الإباضية في هذا الخصوص إذا استثنينا ما كتبه الألمان المعاصرون أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي، وقطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش، حيث كتب السالمي في كتابه طلعة الشمس ما يتعلق بحجية السنة وشروط الراوي والرواية، وكتب اطفيش كتابه جامع الشبل في الحديث ومصطلحه، ولم يتعرض الاثنان لتأريخ السنة وجهود العلماء في مقاومة الوضع، وما تواضع عليه العلماء في علم الحديث ومصطلحه .
- ولعل هذه المحاولة المتواضعة من الباحث في هذا الخصوص ستكون بداية جادة ومنطلقاً فسيحاً لمن يريد طرق هذا الباب من طلبة العلم الإباضيين حتى يسد هذا النقص الذي لا حظه كثير من علماء المسلمين في مكتبته الإسلامية .
- تلك هي أم الأسباب التي أدت بالباحث لاختيار هذا الموضوع، وحلته على تبيين هاتيك الأهداف، وهو كله أمل في الله عز وجل أن يحقق له السعي، وبيلغه القصد : «فنعم المولى ونعم النصير»⁽⁴⁾ «وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»⁽⁵⁾ .

(2) سورة الحج : الآية : 78 .

(3) سورة هود : الآية : 88 .

ثانياً : طريقة البحث :

اتجهت همة الباحث لجمع مادة هذا البحث إلى نوعين من المصادر والمراجع، المخطوط منها والمطبوع والتي تتمثل في :

- 1 - ما كتبه الإباضية قديماً وحديثاً عن علمائهم وفقهائهم في طبقاتهم وسيرهم وغيرها من مؤلفاتهم التاريخية والفقهية .
- 2 - ما كتبه غير الإباضية في مصنفات التراث العربي الإسلامي، والكتب الحديثة من تراجم الرجال بعامة، وكتب رجال الحديث وعلومه بخاصة .
- أما بالنسبة للنوع الأول من تلك المصادر والمراجع فقد تعمم الباحث أن يجد بغية منها في موطنين اثنين من مواطن الإباضية، حيث يتعدر عليه الوصول إلى مواطن أبي عمرو الربيع بن حبيب الأصلي لأسباب لها مبرراتها .
- أ) في جبل نفوسة بليبيا الذي يعتبر موطناً للإباضية منذ منتصف القرن الثاني الهجري ومعضناً لتراثهم الفكري والعلمي، بما برز فيه من رجالات العلم على مرّ العصور الإسلامية، وبما اشتهر به من اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، فكتب التاريخ⁽⁴⁾ تذكر لنا أن مكتبة قصر (وَم) الشهير، والذي يقع في قمة جبل مرتفع يطل من ناحية الشرق على مدينة ثروس، هذه المكتبة وحدها كانت تضم على ما ذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي⁽⁵⁾ (المتوفى سنة 504 هـ ، ثلاثة وثلاثين ألف جزء من كتب المذهب التي وصلت من المشرق⁽⁶⁾) لذلك توجه الباحث إلى مكتباته الخاصة - إذ لا يوجد به اليوم مكتبات عامة لكتب الإباضية - إلا أنه لم يجد بها فيما يتعلق بأبي عمرو الربيع بن حبيب

(4) راجع : أبو العباس أحمد بن سعيد الدررقي . (ت 670 هـ) طبقات المشايخ بالمغرب . (محقق : إبراهيم خلافا) . الجزائر : مطبعة البحث بقسنطينة . لا ت . 2 . ص 442 .

(5) ذكره الدررقي من علماء الطبقة العاشرة وقال عنه بأنه كان في حياته بيت العلم . يفيده كل طالب وكل ذي حاجة . ولما دنت وفاته أودع علومه الكتب . نصف تصنيفات خمسة وعشرين كتاباً . وكتابه آخر تركه في الألوام . انظر : المربع نفسه . ص 443 .

(6) عمرو خليفة التامري . ملاحع الحركة العلمية بوارجلان منذ انبهار الدولة الرسنية حتى أواخر القرن السادس الهجري . مجلة الأسالة . (مارس 1977 م) ، 14 - 33 .

شيئا عدا مسنده المطبوع، وشرع الإمام السالمي على هذا المسند، ومن المخطوطات سوى ماييسى (بالديوان المعروف على علماء الإباضية (الجامع مجهول) والصور من مخطوطة في مكتبة الباروني بجزيرة في تونس وهاتيه المخطوطة من أنفس ما عثر عليه الباحث مما يتعلق بموضوعه، وقد جاء فيها :

- 1 - آثار الربيع عن ضام عن جابر بن زيد .
- 2 - فتيا الربيع بن حبيب .
- 3 - كتاب جابر بن زيد في الصلاة .
- 4 - رسالة أبي عبيدة مسلم في الزكاة .
- 5 - كتاب الصيام ويتضمن إجابات أبي عبيدة عن أسئلة ثلاثة من تلاميذه وهم : أبو المؤرج، والربيع بن حبيب ، ووائل أيوب حول الصوم .
- 6 - مسائل الحيف وتلخيصها (لمجهول) .
- 7 - سبعة أجزاء من أقوال قتادة .

هذا ولعل سبب قلة كتب الإباضية في جبل نفوسة هو احتراق المكتبات العامة التي ذكرها التاريخ والخاصة من جراء الفتن والحروب الأهلية التي تسبب فيها الاستعمار وأعوانه .

ب) في وادي ميزاب بالجنوب الجزائري الذي يعتبر من أهم مراكز الإباضية وأنشطتها في المحافظة على أصول المذهب وتراثه، وعلمائه من أعز علماء هذا المذهب إنتاجا وتأليفا في أصوله وفروعه .

ارتحل إليه الباحث وأطلع - في حدود ما سمع به الوقت - على بعض مكتباته العامة والخاصة، ولكنها هي الأخرى لم يجد فيها عن الربيع إلا ما هو موجود في جبل نفوسة .

أما بالنسبة للنوع الثاني من تلك المصادر والمراجع أي (ماكتبه غير الإباضية) فكان الباحث يتوقع أن يجد في بعضها طلبته، وبذلك ارتاد المكتبات العامة بطبرلس مثل : مكتبة الأوقاف، ومكتبات مراكز الإعلام الثقافي، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية التربية بجامعة الفاتح، ومكتبة أمانة العدل،

وبعض المكتبات الخاصة، كما ارتحل إلى المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة جامعة دمشق، ومكتبة حلب، واتصل ببعض أساتذة العلوم الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة دمشق واستفاد من توجيهاتهم وخاصة الدكتور نور الدين عتر . تصفح الباحث ما وقعت عليه يده في تلك المكتبات من أمهات الكتب والمعاجم ودوائر المعارف والموسوعات مما كان له علاقة بالإباضية أو رجالات الحديث في القرن الثاني الهجري زمن شخصية الموضوع، وقد اعتمد في بحثه بعد كتاب الله عز وجل على مجموعة من كتب الإباضية التي ألقت قديما وحديثا ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب وشرحه للإمام نور الدين السالمي ، وطبقات المشائخ بالهزب لأبي العباس الدرجيني ، وكتاب سير الأئمة وأخبارهم بالمشهور لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر ، والسير للشماخي ، وإسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للسياني ، وتحفة الأعيان للسالمي ، وغان تاريخ يتكلم لمحمد بن عبد الله السالمي وزميله، والإباضية في موكب التاريخ لمحيي معمر، والعقود الفضية في أصول الإباضية لسالم بن حد الحارثي، وغان والغليخ لعادل رضا، والجواهر المنتقاة للبرادي، وإزالة الوعناء عن اتباع أبي الشعثاء للسياني السائلي، والأزهار الرياضية لسليمان بن عبد الله الباروني، ومختصر تاريخ الإباضية لأبي الربيع الباروني، وعقيدة التوحيد لمحمد بن يوسف طفيش، وطلعة الشمس للسالمي وقواعد الإسلام للجيطالي، والدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني ودراسات في الإباضية لعمر وخليفة التامي وغيرها من الكتب التي سثبت في ثبوت المراجع .

وأما ما اعتقد عليه الباحث من كتب غير الإباضية فهذا :

كتب الحديث المعتمدة لدى جمهور الأمة الإسلامية بدون استثناء ، وفتح البارئ للعسقلاني، وشرح النووي على صحيح مسلم، وشرح الزرقاني على الموطأ، وشرح البخاري بمحاثة السندي، والتاريخ الكبير للبخاري، ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة الخطيب البغدادي، وكتاب

الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ومقدمة ابن الصلاح، والكفاية في علم الدراية للخطيب البغدادي وجامع بيان العلم وفضله، والتهذيب لابن عبد البر، والفهرست للنديم، والطبقات الكبرى لابن سعد، والتهذيب لابن حجر، والبيداية والنهاية والباغت الحديث لابن كثير، والسنة ومكائنها في التشريع الإسلامي لمصطفى حسني السباعي، ومصطلح الحديث وعلومه لصبحي الصالح، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي، وموسوعة أحمد أمين (فجر الإسلام، وضوح الإسلام، وظهور الإسلام) وغيرها من المراجع والكتب التي ستجد مكانها في الثبت المعد لها.

ثالثا : خطة البحث :

حصر الباحث بحثه هذا في ثلاثة أبواب بثنائية فصول عدا المقدمة والخاتمة... فجاءت كما يلي :

(أ) - الباب الأول : التمهيد ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وفيه تحدث الباحث عن السنة : مفهومها وطرق تلقيها ويشتمل على ستة مباحث بعد مقدمة الفصل .

المبحث الأول : مفهوم السنة لغة وشعرا .

المبحث الثاني : أقسام السنة .

المبحث الثالث : الفرق بين السنة والحديث .

المبحث الرابع : علاقة السنة بالقرآن الكريم .

المبحث الخامس : أدلة حجّة السنة .

المبحث السادس : السنة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في تدوين السنة ومقاومتهم للموضع فيها . وفيه أربعة مباحث عدا المقدمة .

المبحث الأول : الأسباب التي حالت دون كتابة السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .

المبحث الثاني : التدوين الرسمي للسنة النبوية .

المبحث الثالث : تسرب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .

المبحث الرابع : جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

الفصل الثالث : الحديث النبوي الشريف ، وفيه بعد المقدمة ثمانية مباحث .

المبحث الأول : معنى الحديث لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : علاقة الحديث بالخبر والأثر .

المبحث الثالث : الحديث القدسي .

المبحث الرابع : الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم .

المبحث الخامس : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .

المبحث السادس : مراتب الحديث .

المبحث السابع : شروط رواة الحديث وقبول روايتهم .

المبحث الثامن : الألقاب العلمية لرواة الحديث .

(ب) - الباب الثاني - وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، ويشتمل بعد المقدمة على سبعة مباحث :

المبحث الأول : صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب .

المبحث الثاني : الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب .

ضمن المحدثين الأول الذين اهتموا بتدوين السنة .

المبحث الثالث : عان المواطن الأول للربيع بن حبيب .

المبحث الرابع : الحياة العقلية بعان في العصور الإسلامية الأولى .

المبحث الخامس : مولد الربيع ونسبه وأسرته .

المبحث السادس : نشأته .

المبحث السابع : تحول الربيع إلى البصرة لطلب العلم .

الفصل الثاني : شيوخ الربيع بن حبيب . وفيه بعد مقدمة الفصل :

المبحث الأول : ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن أبي الشعثاء

ولم تصلنا رواياتهم عن الربيع في مسنده .

المبحث الثاني : ترجمة لبعض مشايخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيراً في

تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي وهم :

أ) أبو الشعثاء جابر بن زيد .

ب) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

ج) ضام بن السائب الندي .

د) أبو نوح الدهان .

الفصل الثالث : تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي . وفيه بعد

المقدمة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تراجم لبعض ممن حل العلم عن الربيع من أهل عمان

وحضرموت وهم :

أ) أبو المنذر النزواني .

ب) منير الجعلاني .

ج) موسى الأزكوي .

د) محبوب بن الرحيل .

هـ) محمد بن المعلى الكندي .

و) أبو أيوب وائل .

المبحث الثاني : أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية

عن مدرسة الربيع بالبصرة .

المبحث الثالث : إنتاج الربيع الفكري ومكانته الاجتماعية والعلمية .

(ج) - الباب الثالث : ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدث، وفيه مقدمة وأربعة مباحث :

المبحث الأول : مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث والسنة .

المبحث الثاني : نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث

وكيفية تلقيه له .

المبحث الثالث : جهود أبي عمرو في أداء الحديث واتصافه بصفات

الرواية الأمثل .

المبحث الرابع : مجاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من

أحاديث .

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه . وفيه مقدمة للفصل وخمسة

مباحث :

المبحث الأول : معنى الفقه لغة وإصطلاحاً .

المبحث الثاني : الفقيه والصفات التي يجب أن تتوفر فيه .

المبحث الثالث : المدرسة الفقهية التي ينتهي إليها الربيع بن حبيب .

المبحث الرابع : نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب، وبعض أقواله التي

لم يجرعها العمل في المذهب .

المبحث الخامس : وفاة الربيع .

(د) - الخاتمة : وهي ملخص لما جاء في البحث .

هذا ويعتقد الباحث أن العمل المتواضع الذي قام به هو الأول من نوعه يقدم في هذا الموضوع ، ويرجو من الله العلي الكريم أن يكون قد وفق لعرضه بشكل يحقق الفائدة المرجوة منه ، إذ أنه لم يدخر وسعا ، ولم يبخل جهدا يصل به إلى استكمال مقوماته ، ومع ذلك فهو لا يدعي - إطلاقا - أنه بلغ الغاية التي سعى إليها عندما اختاره موضوعا لبحثه ، وكل الذي قام به فهو لا يعدو فتح باب لمن يريد ولوجه من أولئك الباحثين الصابرين الذين يعتزون بترأفهم الإسلامي العربي ، ومن أجله يستهينون بكل صعب ويتحدون كل عسير .
وختاماً يتوجه إلى الله عز وجل أن يسدد خطاه ، ويلهمه الصواب في كل ما يأتي وما يذر ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنه هو التواب الرحيم . وآخر دعوانا أن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ .

الباب الأول

الباب الأول

التهديد ويحتوي على ثلاثة فصول

الفصل الأول :

السنة مفهومها وطرق تلقيها :

- مقدمة الفصل .
- مفهوم السنة لغة وشرعا .
- أقسام السنة .
- الفرق بين السنة والحديث .
- علاقة السنة بالقرآن الكريم .
- أدلة حجية السنة .
- السنة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني :

جهود علماء المسلمين في تدوين السنة، ومقاومتهم للوضع فيها :

- مقدمة الفصل .
- الأسباب التي حالت دون كتابة السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .
- التدوين الرسمي للسنة .
- ترسب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .
- جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

الحديث النبوي الشريف

- المقدمة
- معنى الحديث لغة واصطلاحاً
- علاقة الحديث بالخبر والأثر
- الحديث القدسي
- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم
- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي
- مراتب الحديث
- شروط رواية الحديث
- الألقاب العلمية لرواة الحديث

الفصل الأول

السنة

مفهومها وطريق تلقيها

يتحدث الباحث في هذا الفصل بعد المقدمة عن :

- 1 - مفهوم السنة لغة وشرعاً .
- 2 - أقسام السنة .
- 3 - الفرق بين السنة والحديث .
- 4 - علاقة السنة بالقرآن الكريم .
- 5 - أدلة حجية السنة .
- 6 - السنة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

السنة النبوية مفهومها وطريق تلقيها

مقدمة الفصل :

لقد شاعت إرادة الله عز وجل أن يكون محمد بن عبد الله بن عبد المطالب الهاشمي القرشي العربي رسولاً إلى الناس كافة ، فقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽¹⁾ ، وأن يظهر الدين الإسلامي الذي جاء به على الأديان السابقة كلها ، فقال جل شأنه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾ ، وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽³⁾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁴⁾ .

ولقد تلقى صلى الله عليه وسلم مادة هذا الدين من عند الله تعالى بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام في صورة وحي متلو يتمثل في القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽⁵⁾ .

أو في صورة وحي غير متلو يتمثل في السنة النبوية المظهرة لقوله تعالى :

(1) سورة ص : الآية 28 .
(2) سورة الصف : الآية 9 .
(3) آل عمران : 85 .
(4) آل عمران : 19 .
(5) الشعراء : 192 - 195 .

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾⁽⁶⁾، وقوله : ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة⁽⁷⁾ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً⁽⁸⁾ .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»⁽⁹⁾ . والذي يهم الباحث في هذا الفصل هو : الصورة الثانية من الوحي، وهو الوحي غير المتلو الذي يتتل في السنّة النبوية المطهرة .

1 - مفهوم السنّة لغة واصطلاحاً

(أ) المعنى اللغوي للسنّة⁽¹⁰⁾ :

السنّة بضم السين مفرد (سنن) جاءت في اللغة العربية بعدة معان منها :
1 - السنّة : بمعنى الوجه لصفاته وملابسته . ففي الصحاح : رجل مسنون الوجه إذا كان في أنفه ووجهه طول، وسنة الوجه : صورته، قال ذو الرمة⁽¹¹⁾ :
تريك سنة وجه غير مرفقة

ملساء ليس به خال ولا ندب⁽¹²⁾
2 - وفي الحديث : إنه حصص على الصدقة فقام رجل قبيح السنّة، أي قبيح الصورة .

(6) التيم : 4 - 3 .

(7) المكة : فسرنا السفي بالسنّة ، انظر تفسيره للقرآن الجليل المسمى بدارك التنزيل . دمشق : المكتبة الأموية لات ، المجلد الأول ، ص 357 .

(8) النساء : 13 .

(9) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) ، الكفاية في علم الدراية . لاب ، المكتبة العلمية . لا ت ، ص 8 . ابن منظور ، جلال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ) لسان العرب . مادة : سن .

(10) ذو الرمة : هو فيلان بن عتبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة ، وذو الرمة : لقب لثقة به (مبة) راجع الأغاني . (حقق : إبراهيم الأبياري) . دار الشعب ، سنة 1970 م ، مج 3 ، ص 6733 .

(12) ندب : جمع الندبة وهي أثر الجرح الباقي على الوجه راجع : الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ج 4 ، مادة ندب .

3 - والسنّة : ضرب من تمر المدينة معروف .

4 - والسنّة : السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عتبة الهذلي : فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها... فأول راض سنة من سيرها ومن هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»⁽¹³⁾ .

5 - والسنّة : الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل : فلان من أهل السنّة، أي من أصحاب الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السنّ، وهو الطريق .

6 - والسنّة : الطبيعة ، وبها فسر بعضهم قول الأعشى :⁽¹⁴⁾

كريم شائله من بني معاوية⁽¹⁵⁾ الأكرمين السنّ

7 - والسنّة هي : أمر ابتداء شخص وعمل به قوم من بعده، وفي هذا المعنى قال نصيب⁽¹⁶⁾ :

كأني سننت الحب أول عاشق من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي
8 - وجاء لفظ السنّة في القرآن الكريم بمعنى الطريقة، والسيرة المتبعة،

(13) أخرجه مسلم في صحيحه : ج 2 .

(14) الأعشى هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن العارث بن نظام ، وينتهي له إلى بسبب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى أبا المسبح وهو شاعر فصح من شراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الفقيه الشعبي ، قتله الحجاج بن يوسف صبرا .

(15) معاوية الأكرمين : هو معاوية بن العارث الأصغر من معاوية من كندة . من قحطان جد جاهلي من نسله الأشعث بن قيس ، ويعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف . راجع : الزركلي . الأعلام ، ج 3 ، بيروت : (1162) . ج : 8 ، ص 170 .

(16) هو : نصيب بن رباح أبو عجم مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل ، مقدم في السبب والمداخل . توفي سنة 108 هـ . راجع المرجع نفسه ص 355 .

اهتمامهم والأغراض التي عينت كل فئة منهم . فهي تعني عند علماء الحديث غير ماتعنيه عند الأصوليين والفقهاء⁽²³⁾ .

1 - معنى السنة عند علماء الحديث :

فالمحدثون عندما بنوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره الأسوة والقُدوة للمؤمنين تقلوا كل ما يتصل به من سيرة ، وخلق ، وشاغل ، وأخبار ، وأقوال وأفعال ، وتقارير ، سواء أثبت المتقول عنه حكما شرعيا أم لم يثبت . فصارت السنة في اصطلاحهم هي :

(كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، أو سيرة ، سواء كان ذلك قبل البعثة - كتحثه في غار حراء أم بعدها)⁽²⁴⁾ .

2 - السنة عند الأصوليين :

وعلماء الأصول كان الذي يهمهم من بحثهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو دوره كشرع يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبن للناس دستورهم في الحياة ، لذلك عنوا بأقواله ، وأفعاله ، وتقاريراته التي تثبت الأحكام وتقررها ، فصارت السنة في اصطلاحهم هي :

(كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم - غير القرآن - من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي)⁽²⁵⁾ .

وحكمة الله ، ونظامه في خلقه . قال تعالى : ﴿وإن يعمدوا فقد مضت سنة الأولين﴾⁽¹⁷⁾ وقال سبحانه : ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستنا تحويلا﴾⁽¹⁸⁾ وقال : ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين ، أو يأتيهم العذاب قبلا﴾⁽¹⁹⁾ . وقال جل وعلا : ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾⁽²⁰⁾ . وقال ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾⁽²¹⁾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾⁽²²⁾ ، وقال : ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾⁽²³⁾ ، وقال : سبحانه وتعالى : ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾⁽²⁴⁾ .

ب) المعنى الشرعي :

المراد بالسنة في الشرع هو ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم به ، أو نهى عنه ، أو ندب إليه : قولا كان أو فعلا ، وبذلك أمكن القول في ادلة الشرع : الكتاب أي القرآن ، والسنة أي الحديث النبوي الشريف . ويختلف معناها الاصطلاحي باختلاف تخصصات علماء الشريعة ، وتباين

(17) الأنعام : 38 .

(18) الأبرار : 77 .

(19) الكهف : 55 .

(20) الأحزاب : 38 .

(21) الأحزاب : 62 .

(22) فاطر : 43 .

(23) غافر : 85 .

(24) المتح : 23 .

جمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع ألفاظ القرآن الكريم . القاهرة : لا ، ت ، ج : 21 - ص 62 .

(25) ينظر في ذلك كل من :

الإسلامي . القاهرة : مكتبة دار العربية ، 1161م - ص 61 .

(26) محمد عجاج الخطيب ، مرجع سابق ، ص 19 .

(27) محمد عجاج الخطيب ، مرجع سابق ، ص 16 .

3 - السنة عند الفقهاء :

وأما علماء الفقه فإنهم بحثوا عن أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي لا تخرج عن الدلالة على حكم شرعي .
فهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد ، وجوبا ، أو حرمة ، أو ندبا ، أو كراهية ، أو إباحة ، وهذا جاءت السنة في اصطلاحهم هي :
« كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب »⁽²⁸⁾ .
وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة ، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة ، ومنه قولهم : « طلاق السنة كذا... » ، وطلاق البدعة كذا⁽²⁹⁾ .
ولعله واضح من تلك الإطلاقات الثلاثة أنَّ أوسعها هو إطلاق المحدثين الذين أطلقوا السنة على كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو سيرة ، أو صفة خلقية ، أو خلقية ، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، وسواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لم يثبت .

2 - أقسام السنة

تبين لنا مما تقدم أنَّ السنة تشتمل على ثلاثة أقسام ، هي : قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، وتقريره .
أ - فقول الرسول صلى الله عليه وسلم هو : ما قاله في مختلف الأغراض والمناسبات وترتب على ذلك حكم شرعي ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر ، وما سقي بالنضح نصف العشر »⁽³⁰⁾ . وقوله « الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى »⁽³¹⁾ .

(28) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(29) مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، ص 60 .

(30) محمد بن إسماعيل الصنعائي ، (ت 1182 هـ) . سبل السلام . مراجعة : محمد خليل هراس . القاهرة : مكتبة الجمهورية العربية . لا . ت . ج 2 : ص 174 .

(31) الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري ، (ت حوالي 171 هـ) - الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب (ترتيب : أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الأوزاعي) . ط 2 : القاهرة : المطبعة الملكية ، سنة 1346 هـ . ج 1 : ص 5 .

ب - وفعله صلى الله عليه وسلم يشمل جميع أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة عنه ، مثل : وضوئه عليه الصلاة والسلام ، وأدابه في الصيام وما إلى ذلك .
ج - وتقريره يشمل كل ما أقره صلى الله عليه وسلم من أقوال ، وأفعال صدرت من بعض أصحابه بسكوته وعدم إنكاره ، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده ، فيعتبر ماصدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه كأنه صادر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

1 - من النوع الأول (سكوته وعدم إنكاره) : ما روي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها : « اتقي الله واصبري » ! فقالت المرأة : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبي ! وهي لم تعرفه فقيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت إلى بيته فقالت له : لم أعرفك ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » فهو صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة خروجها من بيتها إلى القبر ، فكان تقريراً دالاً على جواز زيارة النساء للقبور ، وأنهن كرجال في الحكم⁽³²⁾ .

2 - ومثال النوع الثاني (موافقته وإظهار استحسانه) هو : ما روي أنَّ المتنافقين كانوا يطعنون في نسب أسامة بن زيد بسبب التخالف بينها في اللون ، حيث كان أسامة شديد السواد ، وأبوه زيد شديد البياض ، وبينما أسامة وأبوه نائمان في المسجد ، وقد تغطيا بثوب من القטיפ ، ولم يظهر منها سوى أقدامهما ، رآهما القائف فقال : هذه الأقدام بعضهما من بعض ، فظهر السرور على النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائف ، فكان ذلك إقراراً بأنَّ القيافة طريق من طرق ثبوت النسب ، وهذا أخذ جمهور الفقهاء⁽³³⁾ .

(32) انظر : زكي الدين شعبان . أصول الفقه الإسلامي . ط 4 : منشورات جامعة قارون ، سنة 1979 م . ص 57 .

(33) المرجع السابق ص 57 - 58 .

هناك بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه عموم وخصوص، فالحديث عام يشمل أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، أما السنة فخاصة بأعماله، وهي طريقته الدينية التي سلكها في سيرته . يقول الدكتور صبحي الصالح في هذا الخصوص : «والسنة في الأصل ليست مساوية للحديث، فإنها تتبع لمعناها اللغوي كانت تطلق على الطريقة الدينية التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته المطهرة، لأن معنى السنة لغة : الطريقة، فإذا كان الحديث عاما يشمل قول النبي وفعله، فالسنة خاصة بأعمال النبي عليه السلام، وفي ضوء هذا التباين بين المفهومين ندرك قول المحدثين أحيانا : وهذا الحديث يخالف للقياس والسنة والإجماع . أوقولهم : إمام في الحديث، وإمام في السنة، أو إمام فيها معا .

وأغرب من هذا كله أن أحد المفهومين يدعم بالآخر، كأنها متغايران من كل وجه، حتى صح أن يذكر ابن التميمي كتابا بعنوان : (كتاب السنن بشواهد الحديث)⁽³⁴⁾

ولعل ما يزيد تأكيد مفهوم دلالة السنة على عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالخصوص أن المحدثين وعلماء أصول الفقه يطلقون كلمة السنة أحيانا على ما عمل به أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم، أم في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، أم لم يكن .

وحجتهم في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواحي»⁽³⁵⁾ وقوله

(34) صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ط 6 ، بيروت : دار العلم للناشرين ، 1977 م ، ص 9 .
(35) أبو داود ، سليمان بن الأصبغ ، (ت 275 هـ) ، سنن أبي داود ، القاهرة : مطبعة الباني الحلبي ، (1371 هـ) ، ج 2 ، ص 906 .

صلى الله عليه وسلم أيضا : «تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» قالوا : وما تلك الفرقة ؟ ما أنا عليه اليوم وأصحابي»⁽³⁶⁾ . «ومن أبرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى : سنة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، كحد شارب الخمر ، وتضمن الضناح، وجع المصاحف في عهد أبي بكر برأي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة، وتدوين الدواوين»⁽³⁷⁾ .

ولكن مع ذلك فلا نجد السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طريقته التي كان يؤديها بأقواله السديدة، وأحاديثه الرشيدة الموجهة، وليس موضوع الحديث بمغاير لموضوع السنة، فكلاهما يدور حول محور واحد، وينتهيان أخيرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله المؤيدة لأعماله، وفي أعماله المؤيدة لأقواله، مما حدا بأكثر المحدثين إلى القول : بأن الحديث والسنة شيء واحد وأنهما مترادفان⁽³⁸⁾ .

4 - علاقة السنة بالقرآن الكريم

سبق وأن عرفنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كلاهما وحي من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن وحي متلو، والسنة وحي غير متلو، وهنا ستبين تلك الأمور تتمثل فيها العلاقة بين السنة والقرآن وهي :

(36) جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت 911 هـ) ، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ط 3 ، المدينة المنورة : مطابع الرشيد ، 1979 م ، ص 58 .

(37) انظر :

أ - إبراهيم بن موسى الشافعي - (ت 790 هـ) . الموافقات في أصول الشريعة . (شرح : عبد الله دراز) ، بيروت : دار المعرفة ، لا ت ، الجزء 4 ، ص 4 - 5 .

ب - مصطفى الباعلي ، مرجع سابق ، ص 60 .

(38) صبحي الصالح ، مرجع سابق ، ص 9 - 10 .

أ - منزلة السنة النبوية بالنسبة للقرآن العظيم :

تأتي منزلة السنة النبوية المطهرة في المرتبة الثانية بالنسبة للقرآن الكريم لأدلة كثيرة، منها :

1 - القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى، ومن ذلك جاءت معجزته بخلاف السنة فمعناها فقط من عند الله، وبذلك فهي ليست بمعجزة مثله، واستحقت التأخير عنه، واستأهل هو بدوره التقدم عليها .

2 - القرآن الكريم كله قطعي الثبوت جملة وتفصيلاً، أما السنة فتقطوعة الثبوت جملة، ومظنونة تفصيلاً إلا ما تواتر منها، والقطعي رتبته التقديم، والظني منزلته التأخير، كما هو متعارف عليه ومعلوم .

3 - السنة إما بيان لما ورد في الكتاب، وإما زائدة عما ورد فيه، فإن كانت بياناً فهي تابعة للمبين، وإن كانت زائدة عما جاء به الكتاب العظيم فلا تعتبر إلا بعد التأكد من عدم اشتغال القرآن الكريم على ما جاءت به من أحكام، كالرهن في الحضر على سبيل المثال⁽³⁹⁾ .

4 - ماورد من أحاديث وأثار تدل على ذلك : كحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه والذي قال له فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء؟» قال : أقضي بكتاب الله، قال : «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال : فيسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»⁽⁴⁰⁾ .

(39) عبد العظيم الدين - تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعية - ط 3 ، منشورات جامعة قاروبوس ، 1978 م ، ص 266 .

(40) جلال الدين السيوطي - مرجع سابق ، ص 42 .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى شريح⁽⁴¹⁾ : «إذا أتاك أمر فاقض بما في كتاب الله، فإن أتاك ماليش في كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽⁴²⁾ ، وفي رواية عنه . «إذا وجدت شيئاً في كتاب الله فاقض فيه ، ولا تلتفت إلى غيره»⁽⁴³⁾ ، وقد بين معنى هذا في رواية أخرى أنه قال : «انظر ما بين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁴⁾ .

ومثل هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «من عرض له منكم قضاء ، فليقض بما في كتاب الله ، فإن جاءه ماليش في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁵⁾ ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا شل عن شيء ، فإن كان في كتاب الله قال به ، وإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال به ، ومثل هذا كثير في كلام السلف والعلماء⁽⁴⁶⁾ ، مما يدل على أنه لا يصار إلى السنة إلا إذا عدم الحكم في القرآن .

ب) السنة ودلالاتها على الأحكام :

تتنوع السنة النبوية المطهرة من حيث دلالاتها على ما جاء في القرآن الكريم من أحكام على أربعة أنواع :

(41) شريح بن العطار أبو أمية القاضي الكندي حليف لم . استضاف عمر بن الكوفة وأقره علي ، أقام على القضاء ستين سنة ، 53 سنة بالكوفة ، و 7 سنوات بالبيعة زمن بني أمية ، مات بعد سنة من استشفاء الجراح له عام 78 هـ ، وكان عمره 120 سنة .

راجع : أ - البخاري (256 هـ) ، التاريخ الكبير ، بيروت : دار الكتاب العلمية ، لا ب ، جلد : 4 القسم الثاني من الجزء الثاني م ص 228 .

ب - ابن حجر المصقلاني (ت 852 هـ) تهذيب التهذيب جدير أباد : مطبعة دائرة المعارف ، 1325 هـ ، ج 4 : ص 326 .

(42) الشاطبي - مرجع سابق ، ص 8 .

(43) نفس المرجع ، ن ص .

(44) نفس المرجع ، ن ص .

(45) نفس المرجع ، ن ص .

(46) نفس المرجع ، ن ص .

1 - مقررته للكتاب ومؤكدة له : - فيكون للحكم في هذه الحالة دليلان : أحدهما مثبت للحكم وهو ما نص عليه القرآن الكريم ، والثاني مؤكدة له ، وهو النص الوارد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

قوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبية من نفسه»⁽⁴⁷⁾ فإنه يوافق قوله تعالى : «وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ»⁽⁴⁸⁾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الله في النساء فإنه عوان عندهم، اخذقوهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»⁽⁴⁹⁾ ، فإنه يطابق قول الله عز وجل : «وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»⁽⁵⁰⁾ .

2 - سنة شارحة للكتاب وموضحة لما جاء فيه من النصوص المحتاجة إلى الإيضاح والبيان وهذه على ثلاثة أقسام :

أ - سنة مفسرة لنصوص القرآن المجملية : كالأحاديث الواردة لبيان مواقيت الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وكيفية القراءة فيها ، والأحاديث المبينة لما يترك من الأموال ، ولتقدير الزكاة وأنصبتها ، فهي مبينة للمراد من مجمل الكتاب في قوله تعالى : «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ»⁽⁵¹⁾ ، أو موضحة لما فيه من غامض الالفاظ ومشكلها : كالحديث الذي بين المراد من الخيطين في قوله تعالى : «وَوَكُلُوا وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكُمْ الْخِطُّ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِطِّ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»⁽⁵²⁾ بأنه يبيض النهار وسواد الليل، حيث إن بعض الصحابة⁽⁵³⁾ فهم

أن المراد بالخيطين لما نزلت هذه الآية : العقال الأبيض ، والعقال الأسود ، فأخذ عقالي أحدهما أبيض والآخر أسود ، ووضعهما تحت وسادة ، وما زال يأكل ويشرب حتى استطاع رؤيتها ، والتمييز بينهما ، ولما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم بين له المراد بها يبيض النهار وسواد الليل .

ب - سنة مختصة لعام القرآن الكريم : ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يرث القتال»⁽⁵⁴⁾ فإنه يخص للمعوم من قوله جل جلاله : «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِهِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى»⁽⁵⁵⁾ ، إذ هو يدل على أن كل ولد يرث ، قاتلا كان أو غير قاتل ، فجاءت السنة وخصصت المعوم بغير القتال . ومن هذا أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا على ابنة أخيها ، ولا على ابنة اختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»⁽⁵⁶⁾ ، فإنه يخص لمعوم قول الله تعالى : «وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ»⁽⁵⁷⁾ ، وذلك بعد ذكر المحرمات من النساء .

ج - سنة مقيدة لمطلق الكتاب : وذلك كما في قوله جل شأنه : «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»⁽⁵⁸⁾ ، فإن الأيدي لم تقيد في هذا النص بأنها اليمنى أو الشمال ، والسنة هي التي دلت على تقيدها باليمن ، وكذلك القطع لم يقيد فيه بوضع خاص فقيده السنة من الكوع .

3 - سنة ناسخة لحكم ثبت بالكتاب على رأي الجمهور : مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «لا وصية لوارث»⁽⁵⁹⁾ فإنه نسخ الوصية للوارث الواردة في قوله

(54) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه . (ت 273 هـ) سنن ابن ماجه . (تحق) : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . لا . ت . ج : 2 ، رقم 2735 ، ص 913 .

(55) النساء : 11 .

(56) سنن النسائي ، (شرح جلال الدين السيوطي) . القاهرة : المطبعة المصرية بالأزهر . لا . ت . ج : 6 ، ص 98 .

(57) النساء : 24 .

(58) البقرة : 24 .

(59) ابن الأثير المنذرى . (606 هـ) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول . (تحق) : عبد القادر الأرناؤوط . لا . ت . ج : مطبعة المطابع سنة 1973 ، ج : 11 ، ص 623 .

(47) أبو عبد الله أحمد بن حنبل : (ت 241 هـ) . المسند . (تحق) : أحمد محمد شاكر ، ط 2 ، القاهرة : دار المعارف . 1950 م . ج : 5 ، ص 72 .

(48) النساء : 26 .

(49) أبو داود سليمان بن المغيرة (ت 275 هـ) . سنن أبي داود (تحق) : محمد علي الدين عبد الحميد . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية لا . ت . ج : 224 .

(50) النساء : 19 .

(51) البقرة : 110 .

(52) البقرة : 181 .

(53) قيل إنه : عدي بن حاتم الطائي .

تعالى : ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾⁽⁶⁰⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم : «قد جعل الله لمن سببلاً ، الشيب بالثيب والرجم»⁽⁶¹⁾ الحديث ناسخ لقوله تعالى : ﴿واللاق يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لمن سببلاً﴾⁽⁶²⁾ .

4 - سنة مؤسسة مثبتة لما سكت عنه القرآن الكريم ، ودليل القائلين بهذا حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال له فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟»... الحديث الذي سبق ذكره⁽⁶³⁾ ، وحديث أبي دوداد الذي أورده البيهقي عن العرياض بن سارية قال : نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر من معه من أصحابه ، وكان صاحب خيبر رجلاً مارداً متكبراً فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ألكم أن تدعوا حرمنا ، وتأكلوا تمرنا ، وتضربوا نساءنا ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : «يا ابن عوف ! اركب فرسك ، ثم ناد أن اجتمعوا» ، فلما اجتمع الصحابة صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فقال : «أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته ، لا يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا مافي هذا القرآن أو أكثر ، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم إذ أعطوكم الذي عليهم»⁽⁶⁴⁾ هذا وإن الأحكام الثابتة بالسنة وحدها كثيرة ومنها :

(60) البقرة : 179 .

(61) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن . القاهرة : دار الكتب العربي

1968 م ، ج 5 ص 85 .

(62) النساء : 15 .

(63) انظر : ص 26 من هذا الفصل .

(64) جلال الدين السيوطي ، مرجع سابق ، ص 20 - 21 .

ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، من خال أوم أو أمه أو أخه»⁽⁶⁵⁾ ، ومنها أيضاً : ثبوت ميراث الجدة ، وجوب صدقة الفطر ، وجوب الدية على العاقلة ، وصلاة الوتر ، وتحريم أكل كل ذي ناب من السباع ، ومغلب من الطير ، وتحريم استعمال الرجال للذهب والحريز ، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، إلى غير ذلك من الأحكام الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الإلهام ، أو الاجتهاد ، أو الوحي⁽⁶⁶⁾ .

5 - أدلة حجية السنة

تعتبر السنة أحر مصادر الشريعة الإسلامية ، بل هي المصدر الثاني بعد كتاب الله وتستمد حجيتها من الأدلة التالية :

أ - القرآن الكريم : هناك آيات كثيرة من القرآن الكريم دلت صراحة على وجوب العمل بالسنة النبوية وذلك في قوله تعالى : ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾⁽⁶⁷⁾ ، وقوله : ﴿لقد كان لكم في رسول الله إبرة حسنة»⁽⁶⁸⁾ ، وقوله : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً﴾⁽⁶⁹⁾ وقوله : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾⁽⁷⁰⁾ وقوله جل وعلا : ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن

(65) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري . بيروت : دار المعرفة ، لا ت . مع : 9 . ص 120 .

(66) عمر مولود عبد الحميد . حجية القياس في أصول الفقه الإسلامي ، منشورات جامعة بغداد . بيروت : مطابع

الشرق ، لا ت . ص 33 .

(67) المائدة : 7 .

(68) الأحزاب : 21 .

(69) النساء : 64 .

(70) النور : 63 .

الله لا يجب الكافرين»⁽⁷¹⁾، وقوله: «وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً»⁽⁷²⁾.

ب - الأحاديث والآثار: وردت أحاديث وآثار تبين أنّ السنة مصدر تشريعي متمم ومبين للقرآن: كقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «تركتم فيكم اثنين لن تضلوا ما تمسكتم بها كتاب الله وسنتي»⁽⁷³⁾، وما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مهما أوتيت من كتاب الله فالعمل به، لا يكن عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنّة نبي ماضية»⁽⁷⁴⁾، وعن خزيمة بن حبيب ابن عبد الرحمن بن عمر الأنصاري الأسدي أنه سمع عرياض بن سارية يقول: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت لها العيون، ووجلت لها القلوب، فقلنا يا رسول الله! إن هذه موعظة مودّع فإذا تمهد إلينا؟ قال: «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك، ومن يعيش منكم فسيروا اختلافاً كبيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهتدين الراشدين، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً، عضواً عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجلل الأنف كلما قيد اقتاده»⁽⁷⁵⁾.

وأخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد! أنك تحدثونا

(71) آل عمران: 32.

(72) الأحزاب: 36.

(73) ابن عبد البر، (ت 463 هـ). جامع بيان العلم وفضله، (فقه: إدارة الطباعة المديرية). مصر: إدارة الطباعة المديرية، لا، ت، ج 2: ص 18.

(74) جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ص 45.

(75) ابن عبد البر، المرجع السابق، ص 181.

بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن!، فغضب عمران وقال للرجل: «قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً، ووجدت المغرب ثلاثاً، والغداة ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألسنتم عنا أخذتموه؟! وأخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوجدتم فيه من كل أربعين شاة، وفي كل كذا بعيراً كذا، وفي كل كذا درهما كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألسنتم عنا أخذتموه، وأخذنا عن النبي صلى الله عليه وسلم؟، وقال: وجدتم في القرآن «وليطوفوا بالبيت العتيق»⁽⁷⁶⁾ أوجدتم فيه فطوفوا سبعاً، واركموا ركعتين خلف المقام؟ أو وجدتم في القرآن لا جلب⁽⁷⁷⁾، ولا جلب⁽⁷⁸⁾، ولا شغار في الإسلام؟ أما سمعتم الله قال في كتابه: «وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا»⁽⁷⁹⁾. قال عمران: فقد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم⁽⁸⁰⁾. إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تؤكد أن السنة مصدر للتشريع الإسلامي.

ج - الإجماع: أجمع المسلمون في حياته عليه صلاة والسلام وبعد مماته على وجوب اتباعه، والأخذ بما صدر عنه، ولم يثبت أنهم فرقوا بين ما ورد عنه على أنه قرآن، وبين ما ثبت عنه أنه غير قرآن من جهة العمل به، لعلهم تمام العلم بأنه صلى الله عليه وسلم معصوم، ولا ينطق عن الهوى، فما ثبت عنه سواء أكان قرآناً أم سنة فهو مقبول.

(76) الحج: 29.

(77) الحلب: أن يزل عامل الزكاة موضعاً ثم يرسل من يحمل إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها.

(78) الحلب: أن يحب ربّ المال ياله، أي يعمده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإيماء في طلبه عند جمع الصدقة، أو أن يزل العامل بأقصى مواضع الصدقة ثم يأمر بالأموال أن يحب إليه أي يحلب.

انظر: القاموس المحيط، مادة: جلب، وجلب.

(79) العنبر: 7.

(80) السيوطي، مرجع سابق، ص 10.

د - بيان السنّة: كثيرا ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة ، أو مطلقة غير مقيدة ، أو عامة ليست مخصصة ، كالأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، والسنّة هي التي كانت تبين المجمع وتفصل ، وتقيد المطلق ، وتخصص العام ، وتوضح الغامض من اللفظ . فلو لم تكن هذه السنّة البيانية حجة ودستورا وجب اتباعه لما أمكن تنفيذ كثير من فرائض القرآن ولا اتباع الكثير من أحكامه ، مما ورد عاما ، أو مطلقا ، أو مجملا ، ويراد به غير ذلك سواء كان ذلك في العبادات أم في المعاملات .

ولعل مقالته الإمام الشافعي خير دليل في هذا الخصوص . قال : «لو ردنا السنّة كلّها لصرنا إلى أمر عظيم لا يمكن قبوله ، وهو أنّ من يأتي بأقل ما يسمى صلاة أو زكاة فقد أدى ما عليه ، ولو صلى ركعتين في كل يوم أو أيام ، إذ له أن يقول : ما لم يكن في كتاب الله فليس على أحد فيه فرض ، ولكن السنّة بينت عدد الصلوات وكيفيةها ، والزكاة وأنواعها ومقاديرها ، والأموال التي تجب فيها»⁽⁸¹⁾ . وقال الأستاذ محمد تقي الدين في هذا المعنى أيضا : «الحديث حول حجة ما صدر عن النبي من قول ، أو فعل ، أو تقرير أوضح من أن يطال فيها الحديث ، إذ لو لاها لما اتضحت معالم الإسلام ، ولتعطل العمل بالقرآن ، ولما أمكن أن يستنبط منه حكم واحد بكل ماله من شرائط وموانع ، لأنّ أحكام القرآن لم يرد أكثرها لبيان جميع خصوصيات ما يتصل بالحكم ، وإنما هي واردة في بيان أصل التشريع ، وربما لا تجد فيه حكما واحد استكمل جميع خصوصياته ، قيودا وشرائط وموانع . خذ على ذلك مثلا هذه الآيات المباركة :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾⁽⁸²⁾ . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁽⁸³⁾ . ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾⁽⁸⁴⁾ . ثم حاول التجرد عن تحديدات السنّة لمفاهيمها ، وأجزائها ،

وشرائطها ، وموانعها ، فهل تستطيع أن تخرج منها بحدود عدد ؟ . وما يقال عن هذه الآيات يقال عن غيرها .

فالقول بالاكْتِفَاءُ بالكتاب عن الرجوع إلى السنّة تعبير آخر عن التنكر لأصل الإسلام وهمد لأهم معالمه وركائزه العالوية⁽⁸⁵⁾ .

6 - السنّة وكيفية تلقى الصحابة لها

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد سعد الصحابة رضوان الله عليهم جميعا بنعمة الإسلام ، وحظوا برعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، وبخالطته إياهم ، والالتقاء بهم كيفما اتفق ، وحيث ما كان ، في المسجد ، والسوق ، والبيت ، والسفر ، والحضر ، وكانت أفعاله وأقواله وتقريراته محل عناية ، وموضع اهتمام وتقدير منهم إذ كان عليه الصلاة والسلام مثلهم الأعلى ، وأسوتهم الحسنة ، ومحو حجابهم الدينية والدنيوية . وكيف لا يكون ذلك منهم ؟ وهم الذين تربوا - منذ نشأته الإسلامية الأولى - على مائدة القرآن الكريم ، وسمعوا الله يقول لهم فيه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽⁸⁶⁾ ، ويقول : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽⁸⁷⁾ ، ويقول : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾⁽⁸⁸⁾ ، ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾⁽⁸⁹⁾

(85) محمد تقي المكي - الأصول العالافان - ج 2 : 2 .

لا . ب . دار الأندلس للطباعة والنشر سنة 1979 ، 124 .

(86) الحشر : 7 .

(87) الأحزاب : 21 .

(88) آل عمران : 132 .

(89) الأنفال : 34 .

(81) محمد إدريس الشافعي . (ت : 0404هـ - تحقيق : أحمد محمد شاكر) - القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده ، 1940م .

(82) البقرة : 110 .

(83) البقرة : 183 .

(84) آل عمران : 7 .

ويقول : «من يطع الرسول فقد أطاع الله»⁽⁹⁰⁾ ، ويقول تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»⁽⁹¹⁾ .
أَيُّقِنُوا رضوان الله عليهم أن الرد إلى الله هو الرد إلى القرآن ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته القولية والعملية والتقريرية ، سواء في حياته أم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وإلى جانب استجابتهم لأوامر القرآن الكريم بطاعته ، والعمل بسنته ، امتثلوا أيضا لأوامره صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص والتي يقول في بعضها :

«تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتكم بهما : كتاب الله وسنتي»⁽⁹²⁾ ، ويقول : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معي»⁽⁹³⁾ ، ويقول : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»⁽⁹⁴⁾ .
ولم يكنف الرسول صلى الله عليه وسلم بحث الصحابة ومن آمن به على التمسك بسنته فحسب ولكنه شدد التأكيد على من يترك حديثه ، ويتخلى عن سنته متعللا باكتفائه بما جاء في القرآن الكريم ، وعلا بقوله تعالى : «ما فرطنا في الكتاب من شيء»⁽⁹⁵⁾ ، فقال صلى الله عليه وسلم : «ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحد لكم الحبار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطعة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها»⁽⁹⁶⁾ ، ويقول : «لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به

(90) النساء : 80 .

(91) النساء : 59 .

(92) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 180 .

(93) الخطيب البغدادي . مرجع سابق ، ص 8 .

(94) أبو داود السجستاني . مرجع سابق ، ص 506 .

(95) الأنعام : 38 .

(96) الخطيب البغدادي . مرجع سابق ، ص 8 .

أو نهيت عنه فيقول : ما أدري ما هذا ؟ عندنا كتاب الله ليس هذا فيه»⁽⁹⁷⁾ ، ويقول : «لعل أحدهم أن يأتيه حديث من أحاديثي وهو متكئ على أريكته فيقول : دعونا من هذا ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا»⁽⁹⁸⁾ وفي رواية أخرى : «ألا عسى رجل أن يبلغه عني حديث هو متكئ على أريكته فيقول : لا أدري ما هذا ؟ عليكم بالقرآن : فمن بلغه عني حديث فكذب به ، أو كذب علي متعمدا فليتبئوا بقعدة من النار»⁽⁹⁹⁾ .

كان هذين العاملين : أمر الله باتباع رسوله والعمل بما جاء به ، وحث الرسول عليه الصلاة والسلام على الأخذ بسنته ، وتشديد التأكيد والنهي على من يتخلى عنها - كان لها أعق الأثر وأبلغه على إقبال الصحابة لتلقي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بتماليها ، والعمل بما جاء فيها وتطبيقها .

أما الكيفية التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون بها السنة فتتبل في يلي :

أ - حرص الصحابة على مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأوقات التي خصصها لمجالسة الطافحة بالعلم والفائدة ، إلى جانب قيامهم بشؤونهم الخاصة وأعمالهم المعاشية من زراعة وتجارة ورعاية للماشية ، وما إلى ذلك .
وكان من لا يتكئ منهم من الحضور باستمرار يتناوب مجالسة عليه الصلاة والسلام مع الآخرين ، ذلك كما كان يفعل عشرين الخطباء رضي الله عنه ، فقد قال : «كنت أنا وجارلي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا تناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بنجر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك»⁽¹⁰⁰⁾

(97) نفس المرجع ، ص 10 .

(98) نفس المرجع ، ص 11 .

(99) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(100) ابن حجر العسقلاني ، مرجع سابق ، مج : 1 ، ص 167 .

وكانوا رضوان الله عليهم يتذكرون دائماً مايسمعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث ، فإذا قنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»⁽¹⁰⁷⁾ .
 ب - الأحكام التي كانت تنتشر بين المسلمين ويحكم بها الرسول عليه الصلاة والسلام في الحوادث التي تقع أمامه ... مثال هذا مارواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاماً ، فسأله كيف تبيع ؟ فأخبره ، فأوحي إليه أدخل يدك فيه ، فأدخل يده فإذا هو مبلول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من غش»⁽¹⁰⁸⁾ .

ج - حوادث كانت تقع للمسلمين فيسألون عنها فيفتيهم ويجيبهم مبيناً حكم ما سألوه عنه .
 يسأله الشخص في ذات نفسه ، أو فيما يتعلق بغيره - إن كان هذا الغير يحجل من مواجهته بالسؤال .

فن ذلك مارواه علي أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت رجلاً مناء فكنت أَسْتَحْي أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَ كان ابنته ، فأمرت المقداد فسأله فقال : «يفضل ذكره ويتوضأ»⁽¹⁰⁹⁾
 وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أو سأله رجل فقال : بينا أنا في الصلاة أحك فغدي ، فأصابني يدي ذكري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هل هو إلا بضعة منك»⁽¹¹⁰⁾ .

(107) عهد عجاج الخطيب . السنة قبل التكوين : القاهرة : مكتبة وهبة ، 1963 م ، ص 60 ، عن الجامع لأحاديث الروي وأدب السامع ن ص 46 : ب .
 (108) أحمد بن حنبل . (ت : 241 هـ) المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) . ط 2 : مصر دار المعارف ، 1950 م ج : 13 . رقم الحديث : 7290 . ص 18 .
 (109) أحمد بن حنبل . (ت : 241 هـ) المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) . ط 2 : مصر دار المعارف ، 1950 م ج : 2 ، رقم الحديث : 606 م ص 39 .
 (110) أبو عبد الله محمد بن عبد الله البياضوري . (ت 405 هـ) . معرفة علوم الحديث (تصحیح : معظم حسين) . ط 3 : بيروت : دار الأمان الجديدة ، 1979 م ، ص 132 .

وقد يُسأل عليه الصلاة والسلام عن أخص من ذلك ، كما روى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قال : جاءت امرأة رفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن رفاعة طلقني فأبى طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإن مامعه مثل هبة الثواب ، فقال : «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» ، وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له فقال : ياأبا بكر ! ألا تسمع مايجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟⁽¹¹¹⁾
 إن هذه الأجوبة ، وتلك الفتاوى والأقضية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يواجه بها مایعترض المسلمین من الحوادث النابعة من واقع ما یصاد فهم في حياتهم اليومية ، ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية لتبثل مادة غزيرة في مختلف كتب السنة النبوية المطهرة .

د - مشاهدته الصحابة من تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء عبادته ، كصلاته ، وصيامه ، وحجّه ، وفي شؤونه العامة من سفر وإقامة ، ومعاملات لأتباعه وغيرهم ، وما سجلوه عنه من هديه وسيرته ، وتقلوا هذه الوقائع والحوادث - وهي كثيرة جداً - إلى التابعين ، وهؤلاء بلغوها إلى من بعدهم . ومن ذلك مارواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل وآخره وأوسطه ، فاتته وتبره إلى البحر»⁽¹¹²⁾ .

ومن ذلك أيضاً مارواه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباً بكر ، وعمر ، يمشون أمام الجنازة»⁽¹¹³⁾ .
 ومنه أيضاً مارواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بينا نحن مع رسول

(105) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ص 14 .
 (106) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج 2 : حديث رقم 653 ، ص 64 .
 (107) المرجع نفسه ، ج 6 : رقم الحديث 453 ، ص 247 .

الله صلى الله عليه وسلم نصلي إذ انصرف ونحن قيام ، ثم أقبل ورأسه يقطر ، فصلّى لنا الصلاة ثم قال : «إني ذكرت أني كنت جنباً حين قمت إلى الصلاة ، لم أغتسل فمن وجد منكم في بطنه رزاً أو كان على مثل ماكنت عليه فليتنصرف حتى يفرغ من حاجته أو غسله ، ثم يعود إلى صلاته»⁽¹⁰⁸⁾.

وما رواه أيضاً فقال : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيها ملكك أيمانكم»⁽¹⁰⁹⁾. تلك هي الطريقة التي تلقى الصحابة بها السنة الرضية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد معرفتنا لها يحق لنا في الفصل اللاحق أن نعرف الجهود التي بذلها علماء المسلمين في تدوين السنة ومقاومتهم للوضع فيها .

﴿ الفصل الثاني ﴾

جهود علماء المسلمين في تدوين السنة ومقاومتهم للوضع فيها

الباحث في هذا الفصل بعد المقدمة مايلى :

- 1 - الأسباب التي حالت دون كتابة السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .
- 2 - التدوين الرسمي للسنة النبوية .
- 3 - تسرب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .
- 4 - جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

(108) المرجع نفسه ، ج : 2 ، رقم الحديث 668 ، ص 74 .

(109) المرجع نفسه ، ج : 2 ، رقم الحديث 585 ، ص 29 .

جهود علماء المسلمين في تدوين السنة ومقاومتهم للوضع فيها

مقدمة الفصل :

ليس هناك من شك في أن السنة النبوية تأتي منزلتها في المرتبة الثانية - بعد كتاب الله العزيز - بالنسبة لمصادر الشريعة الإسلامية وأصولها ، وفي أنها وحي - غير متلو - من الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽¹⁾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»⁽²⁾ ، ولكن بالرغم من تلك المنزلة التي كانت تتمتع بها السنة النبوية فإنها لم تحظ بالكتابة والتدوين الرسمي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطيلة عهد خلفائه الراشدين من بعده ، كما حظي القرآن الكريم ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام قد نهى - في أول عهده بالوحي... عن أن يكتب منه شيء غير القرآن .⁽³⁾ من جهة أخرى فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا فَلْيَحْمِهِ»⁽⁴⁾ ، غير أنه في الوقت ذاته حث أتباعه على تبليغ ما سمع منه ، وأمرهم

(1) التاج : 3 ، 4 .

(2) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . (ت 463 هـ) . الكفاية في علم الدراية . (بيروت) : المكتبة العلمية . لات ، ص 8 .

(3) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . (ت 261 هـ) صحيح مسلم (القاهرة) : مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، لات ، ج 8 . باب التثبت في الحديث ، ص 229 .

بالعمل بما جاء عنه إذ قال : «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ، ثم أذاها
وبلفها»⁽⁴⁾ ، وقال «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله
وسنتي»⁽⁵⁾ ، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»⁽⁶⁾ . مما جعل صحابته
رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم من كبار التابعين وتابعيهم يبذلون الجهد ،
ويستنفدون الطاقة في جمع السنة واستظهار نصوصها ، والمحافظة عليها في
الصور أولا ، ثم إخراجها إلى عالم السطور والتدوين الرسمي ثانيا .
وفي هذا الفصل سيبحث الباحث عن مسيرة السنة النبوية قبل مرحلة
التدوين ، وعن جهود علماء المسلمين في تدوينها وصيانتها من الوضع .

أولا : الأسباب التي حالت دون كتابة السنة في عهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين

لقد عزا أكثر العلماء الذين تتبعوا مسيرة السنة النبوية المظهرة قبل مرحلة
التدوين ويعدها عدم العناية بكتابة الأحاديث النبوية الشريفة في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين إلى أسباب نذكر أهمها فيما يلي⁽⁷⁾ :

- (4) أبو عمرو يونس بن عبد البر . (ت 463 هـ) . جامع بيان العلم وفضله . (حق : إدارة الطباعة المنيرية) .
القاهرة : الطباعة المنيرية ، لا . ت . ج : 2 . ص 124 .
- (5) أبو عمرو يونس بن عبد البر . (ت 463 هـ) . جامع بيان العلم وفضله (حق : إدارة الطباعة المنيرية) .
القاهرة : الطباعة المنيرية : لا . ت . ج : 2 . ص 180 .
- (6) أبو داود سليمان الجسائي (ت 275 هـ) . سنن أبي داود ج 2 ص 506 .
- (7) راجع :
أ) مصطفى السباعي . السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ط : بيروت : المكتب الإسلامي ، 1976 م ، ص 58
وما بعدها .
ب) محمد حجاج الخطيب . أصول الحديث علومه ومصلحته . ط : دار الفكر ، 1975 م ، ص 147 وما بعدها .

1 - في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

أ - «هي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء» عنه غير القرآن الكريم
في بداية نزوله عليه حتى لا يلبس على المسلمين من صحابته بغيره مما يكتبون
عنه ، وذلك قبل ترسمهم على أسلوبه وخصائصه ، وألفاظه ومعانيه السامية
المعجزة . فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قوله صلى الله عليه
وسلم : «لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليحجه»⁽⁸⁾ ، وما يؤيد
حديث النبي هذا من الآثار :

- 1 - مرواه عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري في قوله : «استأذنت
النبي صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي»⁽⁹⁾ .
- 2 - ماجاء أيضا عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال : «ما هذا الذي
تكتبون ؟» قلنا : أحاديث سمعناها منك ، قال : «أكتابا غير كتاب الله
تريدون ؟» «ما أضل الأمم قبلكم إلا ما كتبوا من الكتب مع كتاب الله»
قال أبو هريرة فقلت : أنتحدث عنك يا رسول الله ! قال : نعم . تحدثوا عني
ولا حرج فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»⁽¹⁰⁾ .
- 3 - مقاله زيد بن ثابت رضي الله عنه لمعاوية : «إن رسول الله أمرنا ألا
نكتب شيئا من حديثه»⁽¹¹⁾ .

ب - صعوبة تدوين كل ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كلمات وأعمال ومعاملات خلال فترة الوحي وهي ثلاث وعشرون سنة ، لعدم
توفر الإمكانيات البشرية والبادية اللازمة للتدوين ويأتي في مقدمة ذلك قلة

- (8) سبقت الإشارة إلى مصدر الحديث بأحسن مقدمة هذا الفصل .
- (9) الخطيب البغدادي . تنقيح العلم . (حق : يوسف العث) . ط : 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1975 م ،
ص 32 .
- (10) نفس المرجع ، ص 33 .
- (11) نفس المرجع ، ص 35 .

الكاتبين في صدر الإسلام ، حيث كانوا يُعَدُّون على الأصابع مما جعلهم يهتمون بكتابة القرآن الكريم الذي هو المصدر التشريعي الأساسي دون غيره يؤدوه لمن بعدهم عزراً مضبوطاً تاماً لم ينقص منه شيء .

ج - أمية العرب واعتادهم على النفاذة وحدها يمدان من استيعاب السنة الواسعة الكثيرة النواحي ، الشاملة لأعمال الرسول التشريعية ، وأقواله ، وتقاريراته منذ بدء رسالته حتى لحق بربه إلى جانب القرآن الكريم الذي نزل متجلاً على آيات وسور صغيرة جعلته ميسور الحفظ سهل الاستذكار دون سواء .
د - تدوين السنة يستدعي إكباب الصحابة على حفظها إلى جانب القرآن ، وفيه من الحرج ما فيه .

ها - خشية اختلاط بعض أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الموجزة الحكمة أو ما يسمى (بجوامع الكلم) بالقرآن سهواً وعن غير قصد ، وذلك خطر على كتاب الله تعالى ، قد يفتح باب الشك لأعداء الإسلام ينفذون منه إلى المسلمين لحملهم على التحلل من أحكامه ، والتفلسف من سلطانه .

تلك هي أهم الأسباب التي حالت دون تدوين السنة النبوية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يراها العلماء ، إلا أن الذي يراه الباحث أن نهي الرسول عليه الصلاة والسلام عن كتابة السنة إنما أراد به التدوين الرسمي لها ، ولم ينه عن كتابتها من قبل الأفراد الذين يؤمن الخطأ من جانبهم ، كعبد الله بن عمرو بن العاص الذي ورد في بعض الأحاديث ما يدل على إذن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قلت : يا رسول الله ! إني أسمع منك شيئاً فأكتبه ؟ قال : «نعم»⁽¹²⁾ . وفي رواية أخرى عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال : (كنت أكتب كل شيء

أسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهني قریش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»⁽¹³⁾

وعن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : «لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب»⁽¹⁴⁾ .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة قال : (كان رجل يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه فيأني فأحدثه ، فشكا قلة حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «استعن على حفظك بيمينك»⁽¹⁵⁾ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أنه قال : (إن خزيمة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة يقتل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب) فقال : «إن الله حيس عن مكة القتل أو الغيل (قال أبو عبد الله : كذا قال أبو نعيم) وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، ألا وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتي هذه ، حرام لا يَحْتَلِي شوكتي ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين ، إما أن يعقل ، وإما أن يقاد أهل القتل» فجاء من أهل اليمن فقال : (اكتب لي يا رسول الله) فقال : اكتبوا لأبي فلان»⁽¹⁶⁾ .

(13) الخطيب البغدادي . تهذيب العلم . (عق : يوسف العث) . ط 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية . 1975 م . ص 80

(14) نفس المراجع . ص 82

(15) نفس المراجع . ص 65

(16) الرجل : هو أبو شاه

(12) الخطيب البغدادي . تهذيب العلم . (عق : يوسف العث) . ط 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية 1975 م .

ص 74 .

فقال رجل⁽¹⁷⁾ من قريش : إلاً الإذخر يارسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إلاً الإذخر»⁽¹⁸⁾ .

وعن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : «إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللفظ . قال : «قوموا ولا يتبعني عندي التشايع» فخرج ابن عباس يقول : «إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه»⁽¹⁹⁾ .

ولقد كان للعلماء في أحاديث نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن تارة وإباحتها تارة أخرى آراء ومذاهب للتوفيق بينها نجملها فيما يلي⁽²⁰⁾ :
1 - هناك من العلماء من رأى أنَّ حديث أبي سعيد الخدري الذي أورده مسلم عن النبي عن الكتابة موقوف عليه ، فلا يصح أن يحتج به في هذا الخصوص ، ومن هؤلاء الإمام البخاري .

2 - ومنهم من قال : إن النهي عن الكتابة إنما كان في أول عهد الناس بالإسلام غافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين وميزوا القرآن من الحديث نسخ الحكم إلى الجواز .
ويمكن هنا إلحاق الرأي الذي يقول : إن النهي إنما كان عن كتابه الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة .

3 - ومن العلماء من قال : إن النهي كان في حق من وثق بحفظه ، وخيف اتكاله على الكتابة ، والإذن كان في حق من لا يوثق بحفظه كابي شاه ، والصحابي الذي اشترك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سوء حفظه .

(17) رجل من قريش : هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب - م رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(18) أبو الفضل أحمد بن حجر المستطفي (ت 853 هـ) . فتح الباري شرح صحيح البخاري . ط : 2 . بيروت . دار المعرفة . لا . ت . ج : 2 . ص 183 - 184 باب كتاب العلم .
(19) نفس المرجع ، ص 185 - 187 .
(20) انظر : محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التنوين ، القاهرة : مكتبة وعية ، 1963 م ، ص 306 - 309 .

4 - ومن العلماء من قال : كان النهي عاما وخص بالساح له من كان قارئاً وكتاباً مجيداً لا يخطيء ، في كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

5 - ويمكننا أن نضيف إلى هذه الآراء رأياً آخر للدكتور محمد عجاج الخطيب الذي قال : «ورأينا في هذه الأخبار هو صحة ما روى عن أبي سعيد الخدري من النهي ، وصحة ما ورد عن غيره من إباحة الكتابة . فنحن لا نقول بوقف خبر أبي سعيد عليه ، فالرأي الأول مردود ، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صواباً ، فنهيه عليه الصلاة والسلام عن كتابه الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس ، وربما يكون نهيه عن كتابه الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا يشغل المسلمين بالحديث عن القرآن الكريم ، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيداً لحفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية ، لأنهم كانوا يطبقونه : يرون الرسول فيقلدونه : ويسمعون منه فيتبعونه ، وإلى جانب هذا سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يذون السنة كعبد الله بن عمرو بن العاص : وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده ، حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم ، وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالإباحة عامة ، وإن وجود علة من علل النهي السابقة لا يفتني تخصيص هذا النهي بالساح لبعض من لا تتحقق فيه هذه العلة ، فالنهي لم يكن عاماً ، والإباحة لم تكن عامة في أول الإسلام ، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة ، وحيثما زالت أبيضت الكتابة ، وأرى في حديث أبي شاه ، وفي حديث ابن عباس : (إئتوني بكتاب ...) إذنا عاماً وإباحة مطلقة ، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات»⁽²¹⁾ .

والباحث يتفق مع قالة الدكتور محمد عجاج الخطيب ويقول : إنه لو لم تتسخ أحاديث النهي عن كتابه السنة ، ولم لم تبح كتابتها لما انتهى إلينا ما كتب

(21) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث . مرجع سابق ، ص 152 - 153 .

من الصحف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص المسماة (الصادقة)، وصحيفة حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة في السنة الأولى من الهجرة م وصحيفة سعد بن عباد، ونسخة سمرة بن جندب التي ورثها ابنه سليمان ورواها عنه، وصحيفة جابر بن عبد الله، وغيرها من الصحف التي دونت في النصف الأول والثاني من القرن الأول الهجري وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كصحيفة أبي هريرة التي دونها ورواها عنه تلميذه التابعي همام بن منبه ومنه وسأها (الصحيفة)، وما كتبه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من السنة في ألواح يحملها معه في مجالس العلم⁽²²⁾.

ولو لم يكن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذنا عاما ذهبت تلك الفائدة العممية التي تحققت من كتابة السنة وتدوينها للتشريع الإسلامي، مما جعله تنسج نصوصه ويواكب كل ما يستجد في حياة الإنسان من وقائع وأحداث ونوازل يلجأ فيها - إذا لم تسعفه نصوص القرآن الكريم - إلى السنة النبوية المظهرة لكشف أسرارها، وإجراء أحكامها، وتحقيق مقاصدها وفق مآقتضيه الحكمة وتتطلبه المصلحة وينشده العدل.

فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره آخر الرسل، وخاتم النبيين، وشريعته هي خاتمة الشرائع وناسختها لا بد أن يأمر بما فيه صالح البشرية وخيرها ودوام سعادتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارين.

2 - السنة في عهد الخلفاء الراشدين:

استمرت الحال على ما هي عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بنهي عدم تدوين السنة النبوية تدوينا رسميا في عهد الخلافة الراشدة. فهي:

أ - عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد واجهته - منذ أيامه الأولى - حروب الردة التي مات فيها عدد كبير من حفظه القرآن الكريم، واقتضى الأمر أن يعمل سريعا على جمع القرآن في كتاب واحد بعد ما كان مفرقا في مصادره ليكون مرجعا للمسلمين إلى جانب حفظهم له في الصدور.

أما السنة فلم يجد سبيلا إلى تدوينها بعد أن وجه جميع إمكانيات الكتابة - وهي محدودة - إلى القرآن الكريم، فلا بد - إذا - من الاستمرار في الاعتماد على الذاكرة وحفظ السنة في الصدور كما هي الحال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، مع عدم إشغال المسلمين كثيرا برواية الحديث، خصوصا أولئك الذين لم يتيسر لهم حفظ القرآن الكريم، أو حفظوه وجعوا معه كثيرا من الأحاديث حتى لا يقعوا في مغبة الخطأ والنسيان فينسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله من حيث لا يدرون.

فقد روى أبو مليكة مرسلا: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جمع الناس بعد وفاة نبيه فقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فن سألهم فقالوا: بيننا وبينك كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»⁽²³⁾.

وكان أبو بكر رضي الله عنه على جانب كبير من التثبت وأخذ الحيطة في قبول الرواية الحديثية إذ كان له في الراوي نظر، وفيما يروي نظرات ونظرات. جاء عن الإمام مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن إسحاق بن خرشة عن قبيصة ابن ذؤيب أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثا، فقال لها أبو بكر: «مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فأرجعي حتى أسأل الناس» فقال الناس فقال المغيرة بن

(23) محمد بن أحمد المعروف بشي الدين الذهبي (ت 748 هـ). تذكرة الحفاظ، بيروت: دار إحياء التراث العربي. لا ت. ج: 1، ص: 403.

(22) راجع: صحيح الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط: 6، بيروت: دار العالم للملايين، 1977 م، ص: 23 وما بعدها.

شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة . فأنقذه أبو بكر الصديق⁽²⁴⁾ .

وإذا كان من الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحذر في قبول رواية الحديث ليس معناه أنه أغلق باب الرؤية وسد مسالك الاحتجاج بها كما توهم ويتوهم الكثيرون ، ولكنه التثبت والتحري منه رضي الله عنه في الأخيار .

ب - في عهد الخليفة الثاني : أمّا الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد فكر في تدوين السنة وكتابتها ، واستشار الصحابة من المهاجرين والأنصار في ذلك حتى يأمن التبديل والتحريف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن ، فاستقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثم أصبح وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبو عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشي أبداً⁽²⁵⁾ . وقد سار رضي الله عنه على نهج سلفه أبي بكر رضي الله عنه في الإقلال من الرواية والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتثبت في قبول الأحاديث . قال الذهبي : «والفاروق هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب»⁽²⁶⁾ . روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال : «كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه

(24) انظر : مالك بن أنس (179 هـ) البوطي (محقق) : محمد فؤاد عبد الباقي بيروت : دار إحياء التراث العربي . لا .

ت . مج : 2 . ص 513 باب ميراث الجدة .

(25) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 64 .

(26) شمس الدين الذهبي . مرجع سابق ، ص 5 .

مذخور فقال : استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي ، فرجعت . قال : مامنعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» فقال : والله لتقبن عليه بيئته ! أمكن أحد سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فقصت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك⁽²⁷⁾ . هذا وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين للصحابة المحدثين الغرض الذي يقصد من وراء طلب البيئته منهم فيقول : «إني لم أهتمك ، ولكني أحببت أن أتثبت»⁽²⁸⁾ .

وليس معنى ذلك أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكتب في عهده من السنة شيء ، فإنه رضي الله عنه طالما حث الكتّاب على كتابه العلم وتدوينه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . فقد روى ابن عبد البر بقوله : حدثنا الضحاک بن مخلد عن ابن جريح عن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : «قيّدوا العلم بالكتاب»⁽²⁹⁾ . ثم إنه هو نفسه وجد يكتب بشيء من السنة إلى بعض عماله ، فقد قال أبو عثمان النّهدي : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان فيما كتب إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة منه شيء»⁽³⁰⁾ .

ج - في عهد الخليفة الثالث : وأمّا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فهو الآخر كان لا يتحدث إلا بما يتقن حفظه ، خشية أن يقع في الخطأ سهواً ودون قصد .

(27) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق ، ج : 11 . ص 23 - 24 . كتاب الاستئذان - باب التسليم والاستئذان ثلاثاً .

(28) شمس الدين الذهبي . نفس المرجع ، ص 8 .

(29) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ص 72 .

(30) أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) المسند . (شرح) : أحمد محمد شاكر ط 2 . مصر : دار المعارف . 1955 م

ج : 1 . ص 261 .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : «ما يمنعني أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون أوعى أصحابه ، ولكنني أشهد سمعته يقول : «من قال عليّ ما لم يقل فليتبوأ مقعده من النار»⁽³¹⁾ . وقال عنه أيضا عمود بن لبيد : سمعت عثمان على المنبر يقول : لا يجل لأحد يروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر ، فإنه لا يمنعنا أن نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون أوعى أصحابه عنه إلا أني سمعته يقول : «من يقل عليّ ما لم يقل فقد تبوأ مقعده من النار»⁽³²⁾ .

د - في عهد الخليفة الرابع : أما أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه فلم تسعف الظروف للاهتمام بتدوين السنة وكتابة العلم لانشغاله المتواصل بحروب المشيقيين عن خلافته طيلة حياته الخلفية ، إلا أنه يمكننا أن نتبين منهجه في قبول رواية الحديث وحرصه الشديد على التثبت لما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال قوله : «كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه ، وإن حدثني غيره استخلفته ، فإذا حلف صدقته ، وإن أبأ بكر حدثني - وصدق أبو بكر - أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال : «ما من رجل يذنب ذنبا فيبتوضأ فيحسن الوضوء ويسلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له»⁽³³⁾ .

الخلاصة :

لقد رأينا من خلال تلك الآثار التي سقناها ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - زمن الخلافة الراشدة - من التثبت وأخذ الحيطة والحذر

(31) أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) . المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) ط : 2 . مصر : دار المعارف ، 1955 م ، ج : 1 ، ص : 163 .

(32) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 180 .

(33) الخطيب البغدادي . الكفاية في علم الدارينة . مرجع سابق ، ص : 28 .

في قبول الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم خشية الوقوع في الخطأ ، والخوف من الدس والوضع في الحديث النبوي الشريف من الجهلة وأصحاب الأهواء ، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب فيكون الحكم بخلاف ما أريد به . وكان فعل الصحابة هذا كما قال صاحب كتاب السنة قبل التدوين : «احتياطاً للدين ، ورعاية لمصلحة المسلمين ، لا زهداً في الحديث النبوي الشريف ، ولا تعظيلاً له ، فلا يجوز لإنسان أن يفهم من متناج الصحابة - ومن تشدد عمر خاصة - هجر الصحابة للسنة أو زهدهم فيها ... فلقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث الشريف ، وإجلالهم إياه ، وأخذهم به ، وقد تواتر خبر اجتهد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية ، من حلال أو حرام ، وفزعهم إلى كتاب الله فإن وجدوا فيه ما يريد تمسكوا به ، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه ، وإن لم يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى السنة ، فإن روي لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأي»⁽³⁴⁾ . وقد استطاعوا رضوان الله عليهم جميعاً بعملهم هذا أن يحافظوا على السنة بعيدة عن الوضع والكذب إلى أن جاء دور التدوين الرسمي لها . فتى كان ذلك ؟ ومن الذي قام بهذا الدور الخطير ؟ هذا ما سيتولى الباحث الإجابة عنه في الفقرة التالية .

ثانياً - التدوين الرسمي للسنة النبوية :

يعتبر علماء الحديث أن نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني خاتمة حاسمة لما كان من كراهة كتابة السنة ، والإعلان عن تدوينها رسمياً من قبل الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز (61 - 101 هـ) . فقد زدودوا في

(34) محمد مجاز الخطيب . السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص : 98 - 99 .

كتبهم عبارة (وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز)⁽³⁵⁾

يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب : «وفهم من هذا أن التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن عبد العزيز ، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والمظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقطع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، بل بقي جنباً إلى جنب مع الحفاظ حتى قيص للحديث من يودعه المدونات الكبرى»⁽³⁶⁾ . ولعل خير دليل على ذلك هو : صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص المسماة بالصادقة ، وكتب ابن عباس ، وصحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ، والصحيفة الصحيحة لمهام بن منبه وغيرها مما كتب بطريق فردٍ ، وعناية شخصية .

خشي عمر بن عبد العزيز اندراس السنة وتسرب الوضع إليها ، فأمر بجمعها على أيدي بعض كبار علماء التابعين ، وربما شجعه على هذا أيضاً نشاط التابعين العلمي ، وإباحتهم للكتابة حين زالت أسباب الكراهة ، إذ لا يمكن أن يأمر بجمع السنة وتدوينها والعلماء كارهون لهذا ، ولو أنهم كرهوا كتابتها مآصخوا لدعوته ، ولا استجابوا لمقتصره .

اتخذ الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز قراراً حازماً لجمع السنة النبوية المطهرة ، فكتب إلى الأنصار يقول : «انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه»⁽³⁷⁾ . وكان فيما كتب إلى أهل المدينة «انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله»⁽³⁸⁾ وكان في كتابه إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (117 هـ) عامله على

(35) جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) . تدریب الراوي في شرح تقريب النواوي . القاهرة : المطبعة الخيرية ، 1307 هـ . ص 40 .

(36) محمد عجاج الخطيب . نفس المرجع ، ص 332 .

(37) ابن حجر المصلي . مرجع سابق ، ج 1 : ص 204 .

(38) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي . (ت 255 هـ) مسند الدارمي . ج 1 : ص 126 .

المدينة (أن اكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديث عمرة فإني خشيت دروس العلم وذهابه)⁽³⁹⁾ . وفي رواية : «أمره أن يكتب له العلم من عنده عمرة»⁽⁴⁰⁾ بنت عبد الرحمن (98 هـ) ، والقاسم⁽⁴¹⁾ بن محمد (107) فكتب له . وفي رواية : «فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفتشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا عليك حتى يكون سرا»⁽⁴²⁾ ، كما أمر ابن شهاب الزهري⁽⁴³⁾ (124 هـ) وغيره بجمع السنن ، فقد قال ابن شهاب : «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا»⁽⁴⁴⁾ .

وهذا العمل الجليل يرجع الفضل الكبير إلى عمر بن عبد العزيز في حفزه للمعلماء لخدمة السنة النبوية وكتابتها وتحصيل الدولة مسؤولية حفظها رسمياً . ثم مالبث هذا التيار العلمي وكتابة الحديث النبوي أن طالع العالم الإسلامي بدونات حديثة مختلفة على يد أبناء النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، فبعد أن كان المشتغلون بالسنة يقدون المفرق المشتت في ديوان (أي في كتاب) أصبحوا يرتبون الحديث على الأبواب ، ويضمون هذه الأبواب إلى بعضها في مصنف واحد أو جامع .

(39) انظر : أ - الخطيب البغدادي . تقييد العلم . مرجع سابق . ص 105 .

ب - محمد عجاج الخطيب السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 329 .

(40) عمرة بنت عبد الرحمن : هي خالة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم نشأت في حجر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكانت من أثبت التابعين في حديث عائشة .

(41) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وعالم أهل زمانة ، تلقى عنه من عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي المعروفة بقرارة علمها وتمسكها في السنة النبوية .

(42) ابن حجر المصلي . مرجع سابق ، ج 1 : ص 204 .

(43) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري . (50 - 124 هـ) . قال عنه مكحول : ما رأيت أحداً أعلم سنة ما بيني من الزهري ، وكان أول من استجاب لطلب الخليفة عمر بن عبد العزيز فدون له السنن في دفتار ، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دون السنن . وروى عنه خلق كثير . راجع ترجمته . ابن حجر المصلي تبيين التهذيب .

حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ، سنة 1326 هـ . ج 9 ص 445 وما بعدها ...

(44) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج 1 : ص 76 .

وعلى هذا ، «فلم يكن مطلع القرن الثاني الهجري مبدأ لتدوين السنة وتقييدها ، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب ، وقد ظهرت هذه المصنفات في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الإشعاع العلمي بالدولة الإسلامية ، ثم ظهرت المسانيد ، فالصحيح ، وبهذا يكون تدوين الحديث قد مر بمراحل منتظمة حتى انتهى إلينا في كتب الصحيح بالمانيد»⁽⁴⁵⁾ .

ثالثاً : تسرّب الوضع في الحديث :

سبق للباحث وأن تحدث عن حرص الصحابة رضوان الله عليهم بعمامة والخلفاء الراشدين بخاصة وتبشّتهم في رواية الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبلها ، إلا أنه مع ذلك الحرص وتلك الحيلة فقد بدأ الوضع يتسرّب إلى الحديث النبوي الشريف .

فما أسباب الوضع في الحديث ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما موقف علماء المسلمين من الوضاعتين والأحاديث الموضوعة ؟ .
قبل أن يجيب الباحث عن هذه الأسئلة يتحدث عن :

1 - معنى الموضوع لغة واصطلاحاً :

أ - المعنى اللغوي : الموضوع في اللغة اسم مفعول من وضع يضع ، ويأتي وضع في اللغة لمعان عدة منها :

1 - الإسقاط : كوضع الجنازة عنه أي : أسقطها ، ووضع الأمر أو الشيء عن كاهله أي : أسقطه .

2 - الترك : ومنه إبل موضوعه ، أي : متروكة في المرعى .

3 - الافتراء والاختلاق : كوضع فلان هذه القصة : أي اختلقها وافتراها .

ب - المعنى الاصطلاحي لدى المحدثين : هو ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاقاً وكذباً مما لم يقله ، أو يفعله ، أو يقوله . قال ابن الصلاح في مقدمته : «الموضوع هو المختلق ، وهو شر الأحاديث الضعيفة ، ولا تحل روايته لأحد علم حال في أي معنى كان إلا مقرّونا ببيان وضعه»⁽⁴⁶⁾ .

2 - بداية الوضع في الحديث على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأسبابه :

لقد كان للفتنة الكبرى التي انتهت بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تلاها من حروب دامية بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة والزبير في واقعة الجمل ، وبينه وبين معاوية في صفين ، وبينه أيضاً وبين المحركة (الخوارج) في النهروان ، ثم بين أشياعه ومعاوية من جهة ، وبين الخوارج وبين بني أمية من جهة أخرى ، كان لذلك كله أثره العميق في انقسام المسلمين على أنفسهم سياسياً ، فأصبحوا طوائف متعددة . فالجمهور مع علي في خلافه مع معاوية ، والخوارج يسخطون على معاوية وعلي معا بعد ما كانوا أنصار علي المتحمسين لإمامته ، المخلصين لبيعتهم ، وآل البيت صاروا - بعد قتل علي وتولي معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين ، وتنازل الحسن له عن حقه في الخلافة - صاروا بطلابون بالخلافة ويشقون عصا الطاعة على الدولة الأموية ، مما أدى إلى نشأة الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياً له أثره البالغ في قيام المذاهب الدينية في الإسلام . وقد حاول كل حزب من هذه الأحزاب أن يدعم رأيه وما يدعيه بالقرآن والسنة ، ولكنه لا يمكن بحال أن تتحمل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كل ماتدعي تلك الفرق ، وتزعم هاتيك الأحزاب ، لذلك لجأ بعضهم إلى تأويل القرآن على غير حقيقته ،

(46) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت 642 هـ) . مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث بيروت : دار الكتب العلمية 1978 م ، ص 47 .

(45) محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، مرجع سابق ص 342

وتحصيل نصوص السنة مالا تتحملها ، وأن يضع البعض الآخر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تؤيد دعواه ، وتدعم هواه إن عز عليه ذلك في القرآن العظيم لحفظه ، وتوفر المسلمين على روايته وتلاوته ، ومن هذا كان الوضع في الحديث وابتدأه ، واختلط الصحيح منه بالمتعلق الموضوع .

ولعل أول معنى طرقة واضع الحديث هو فضائل الأشخاص ، فقد وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضائل أئمتهم ورؤساء أحرارهم ، ويقال : إن أول من فعل ذلك هم الشيعة على اختلاف طوائفهم . فقد جاء في شرح نهج البلاغة قول ابن أبي الحديد : «اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عدواة خصومهم ، فلما رأت البكرية ماصنعت الشيعة وضعت (هي الأخرى) لصالحها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث»⁽⁴⁷⁾ .

ولم يقتصر الوضع في الحديث على مناقب الأشخاص ، ودع الأفكار والآراء العقائدية والمذاهب السياسية بل تجاوزها إلى مختلف أبواب الحديث ، حتى كادت الأحاديث المختلفة أن تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث في الفضائل والمثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وغيرها في العبادات والمعاملات المختلفة ، وفي الأطعمة ، والآداب ، والزهد ، والذكر ، والدعاء ، وفي الطب ، والمرض ، والفن ، والمواريث وغيرها⁽⁴⁸⁾ .

هذا وتعتبر السنة الأولى من العقد الخامس من القرن الأول الهجري هي الحد الفاصل بين صفاء السنة النبوية وخلوصها من الوضع ، وبين التزديد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية ، ومطية للزناجات والأهواء .

يقول الدكتور مصطفى حسني السباعي في هذا الخصوص : «كانت سنة أربعمين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب

والوضع ، وبين التزديد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية ، والاتصافات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلا حرجيا سالت به دماء ، وأزهقت أرواح ، وانقسم المسلمون إلى فرق متعددة»⁽⁴⁹⁾ .
ومن خلال تحديد السنة التي بدأ فيها الوضع في السنة والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن القول :

إن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد سبيلا إلى السنة الوضاعين طيلة حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، ومدة الخلافة الراشدة ، وكيف يتصور مسلم أو من له مسكة من عقل أن يتجرأ أحد من صحابته صلى الله عليه وسلم الأبرار الطيبين الأخيار الذين تربوا على يدي المباركتين ، وتخرجوا من مدرسة ينابيع حكته ، واستمعوا إلى توجيهاته وقوله : «إن كذبا على ليس ككذب على أحد ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁵⁰⁾ ، وكيف يتصور أن يتجرأ أحد من هؤلاء المؤمنين حقا أن يفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله من المناسب أن نستع إلى مايقوله بعض الصحابة أنفسهم في هذا الشأن :

أخرج البيهقي عن البراء قال : «ليس كلنا كان يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب»⁽⁵¹⁾ .

وأخرج البيهقي أيضا عن قتادة : «أن حدث يحدث قال له رجل : أسمعتم هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . أو حدثني من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب»⁽⁵²⁾ .

(49) مصطفى حسني السباعي ، مرجع سابق ، ص 90 .

(50) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (ت 911 هـ) . مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة - ط : 3 .

المدنية المنورة : مطابع الرشيد ، 1979 م ص 36 .

(51) نفس المرجع ، ص 37 .

(52) نفس المرجع ، ن ، ص .

(47) عبد الحميد بن هبة الله المكِّي باين أبي الحديد ، (ت 655 هـ) . شرح نهج البلاغة . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، لا ، ت : 2 ، ص 134 .

(48) راجع : محمد صالح العلي ، السنة قبل التنوين . مرجع سابق : ص 189 .

بذلك تكون أية محاولة قد يقوم بها بعض من تسول له نفسه بالوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ممن لم يتمكن الإيمان من قلوبهم - قد وجدت حصاراً شديداً، وتعرية من الصحابة وكبار التابعين الذين يسهل عليهم معرفة الحديث الصحيح من الموضوع، لوعيمهم ورسوخهم في الحديث النبوي الشريف، وامتلاكهم الجرأة المثالية في الحق مكتنتهم من عدم السكوت عن آباؤهم وأعز الناس إليهم إذا اغرقوا عن سواء الصراط .

وكان لهذه الصفة وتلك الأخلاق أثرها الحميد في سلوك من جاء بعدهم من كبار التابعين وأوساطهم وصغارهم وعلماء تابعيهم في مقاومة الوضع والوضعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيتبين مما يلي .

رابعاً : جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع في السنة :

لم يقف صفار الصحابة وكبار التابعين ومن جاء بعدهم من علماء المسلمين رضي الله عنهم جميعاً مكتوفي الأيدي أمام ظاهرة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاق الباطل في الدين، وإنما قاوموا تيارها الجارف بما حباهم الله وأيدهم بوعونه وتوقيفه من الوسائل الناجعة التي كانت السبب المباشر في إنقاذ السنة النبوية الرضية مما دبر لها من كيد، وحيك حولها من دسائس ومؤامرات، ومنها :

1 - إسناد الحديث : صار علماء الحديث يشددون في طلب الإسناد من الرواة، وألزموه في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبروه للخبر كالنسب للمرء .

فهذا الإمام محمد بن سيرين يخبرنا عن ذلك ويقول : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالو : سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ»⁽⁵³⁾ .

(53) أبو الحسين محمد بن الحجاج بن مسلم القشيري . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 11 .

وقد ابتدأ التثبت في نقل الأخبار وإسنادها منذ عهد صفار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة .

فقد روى الإمام مسلم في مقدمته عن مجاهد : أن بشر العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كذا» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كذا» فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال : يا ابن عباس ! مالي أراك لا تسمع حديثي ! أحذثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس . إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتدأته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»⁽⁵⁴⁾، ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، وازدادت دواعيه .

يقول أبو العالية : «كنّا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم»⁽⁵⁵⁾، وكان محمد بن شهاب الزهري إذا حدّث أتى بالأستاذ ويقول : «لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجة»⁽⁵⁶⁾، ويقول الأوزاعي : «ما ذهب العلم إلا ذهاب الإسناد»⁽⁵⁷⁾، ويقول سفيان الثوري : «الإسناد سلاح المؤمن، فإن لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل؟»⁽⁵⁸⁾، ويقول عبد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»⁽⁵⁹⁾، ولا ينقص ما ذكرنا من التزام التابعين بالإسناد المتصل صحة ما روي عن بعضهم من

(54) أبو الحسين محمد بن الحجاج بن مسلم القشيري . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 10 .

(55) ابن عبد البر . مقدمة التهذيب ، ص : 15 .

(56) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي . (ت 327 هـ) . كتاب الجرح والتعديل . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ، 1933 م ، ج : 1 ، ص : 16 .

(57) ابن عبد البر . المرجع السابق ، ص : 15 .

(58) الخطيب البغدادي . شرف أصحاب الحديث . (نقح : محمد سعيد خطيب أوغلي) . دار إحياء السنة النبوية . لا ت . ص : 42 .

(59) أبو الحسين مسلم بن الحجاج . مرجع سابق ، ص : 12 .

المراسل : كأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وسعيد بن المسيب وغيرهما ، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإنسان . ومن هذا مارواه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن الإمام مالك بن أنس قال : «كنا نجلس إلى الزهري ، وإلى محمد بن المنكدر ، فيقول الزهري : قال ابن عمر : كنا «وكذا» ، فإن كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لي محمد ابن سيرين : سل الحسن عن سمع دية العقيقة ؟ فأنشأه : فقال : من سمرة . قال ابن عبد البر : فهذا من الثقات ، إذا سئلوا أحالوا على الثقات ، وقال سليمان الأعشى : قلت لإبراهيم (يعني النخعي) : إذا حدثتني حديثاً فأسنده ، قال : إذا قلت : عن عبد الله - يعني ابن مسعود - فأعلم أنه من غير واحد عنه ، وإذا سميت أحداً فهو الذي سميت»⁽⁶⁰⁾ .

- التوثيق من صحة الأحاديث : إن الذي ساعد علماء السنة على استبانة صحيح الحديث من سقيه هو وجود عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ممن أمدَّ الله في عزمهم ، وجعل منهم مرجعاً يهتدي الناس بهم ، فلما وقع الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لجأ علماء الحديث من التابعين إليهم يسألونهم ما عندهم أولاً ، ويستقونهم فيما يسمعون من أحاديث وأثار . ولهذا الغرض كثرت رحلات علماء التابعين ومن جاء بعدهم من تابعيهم .

يقول التابعي الكبير سعيد بن المسيب : «إني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»⁽⁶¹⁾ ، وحدثت الشعبي مرة مجدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لمن حدثه به : «خذها بغير شيء» فقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»⁽⁶²⁾ ، ويقول بشير بن عبد الله الحضرمي : «إني كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في طلب الحديث الواحد لأسمعه»⁽⁶³⁾ .

(60) محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التنوين - مرجع سابق ، ص 224 - 225 .

(61) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله - مرجع سابق ، ج 1 ، ص 94 .

(62) نفس المرجع . ص 92 .

(63) نفس المرجع . ص 96 .

3 - نقد الرواة وبيان حالهم من صدق وكذب : تتبع رجال الحديث وجهابذة الجرح والتعديل أحوال الرواة ، ودرسوا حياتهم دراسة وافية ، وعرفوا تاريخهم وسيرهم ، وما ظهر من أمورهم وما خفي ولم تأخذهم في ذات الله لومة لائم ، ولا منعه من نقد الرواة وتجريحهم والتشهير بهم حرج ولا ورع ، أو عاطفة أو قرابة . فهذا زيد بن أبيه يقول : «لا تأخذوا عن أخي»⁽⁶⁴⁾ ، وذلك علي بن المديني يقول لمن سأله عن أبيه : سلوا عنه غيري «فأعادوا المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : «إنه ضعيف»⁽⁶⁵⁾ ، وكان وكيع بن الجراح إذا روى عن والده يدم روابيته عنه برجل آخر ، لاشيء إلا لأنه كان على بيت المال»⁽⁶⁶⁾ . وقيل ليحيى بن سعيد القطان : أما تحشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصاً لك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصي أحب إلي من أن يكون خصي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم لا تذب الكذب عن حديثي»⁽⁶⁷⁾ .

هذا وقد وضع هؤلاء العلماء التقاد قواعد وأساساً ساروا عليها لمعرفة من يؤخذ عنه الحديث ومن لا يؤخذ ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ، وانتهوا إلى أضاف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم وهم :

- أ - الكذابين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ب - الكذابين في أحاديثهم العامة ، ولو لم يكنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اتفقوا على أن من عرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه .
- ج - أصحاب البدع والأهواء . فقد اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته أو إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته .⁽⁶⁸⁾
- د - كل من لا تتوفر فيه صفات الضبط والعدالة والنهم ، والزنادقة ، والفاسق ، والمغفلون الذين لا يفهمون ما يتحدثون .

(64) أبو الحسين مسلم بن الحجاج . مرجع سابق ، ج 1 ، ص 121 .

(65) محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التنوين - مرجع سابق ، ص 233 . من كتاب الإيمان بالتوبيخ لمن ذم

التاريخ ، ص 66 .

(66) نفس المرجع . نفس الصفحة .

(67) مصطلح حنن السباعي - مرجع سابق ، ص 108 .

4 - وضع قواعد عامة لتقويم الحديث وتقييمه :

لقد قسم هؤلاء العلماء الحديث إلى ثلاثة أقسام : صحيح ، وحسن ، وضعيف .
أ - الحديث الصحيح : عندما هو متصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذاً أو معللاً بعلّة قاذحة .

ب - الحديث الحسن ... وهو قسبان :

1 - الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ ، ولا هو متها بالكذب ، ويكون متن الحديث قد روي مثله أو نحوه من وجه آخر .

2 - الحديث الذي يكون رواه من المشهورين بالصدق والأمانة ، ولم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والإتقان ، ولا يعد ماينفرد به منكرًا ، ولا يكون المتن شاذاً ولا معللاً .

والحديث الحسن بتسميه لم يكن معروفاً عند المحققين الأول في القرن الثاني الهجري ، وإنما عرف بعد ذلك . ويعتبر كتاب الترمذي أصلاً في معرفة الحديث الحسن .

ج - الحديث الضعيف : وهو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن وسمي ضعيفاً لنشأ الضعف إما في سنده ، أو في متنه ، وهو أنواع ومنها :
1 - المرسل : وهو ماسقط منه الصحابي .

2 - المنقطع : وهو ما سقط من سنده رجل غير الصحابي أو ذكر فيه رجل مبهم .

3 - المعضل : وهو ماسقط من سنده اثنان فصاعداً .

4 - الشاذ : وهو ما ليس له إلا إسناده واحد يشذ به ثقة أو غير ثقة ، فيتوقف فيها شذ به الثقة ولا يحتاج به ، ويرد ما شذ به غير الثقة .

5 - المنكر : هو ما شذ به الراوي الذي هو ليس بعدل ، ولا ضابط فإنه يرد ولا يقبل .

6 - المضطرب : وهو الذي تختلف روايات الحديث في متنه أو سنده ، ولا يمكن ترجيح إحدى هاته الروايات على الباقية لاستوائها في الصحة ورواية الثقات⁽⁶⁸⁾ .

5 - الحديث الموضوع وعلامات الوضع فيه :

وكما وضع علماء وجهابذة النقد قواعد دقيقة لمعرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، فقد وضعوا أيضاً قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع من سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ... وسيذكر الباحث بإيجاز هذه العلامات في كل منها :

أ - علامات الوضع في السند :

1 - أن يكون راوية الحديث كذاباً معروفاً بالافتراء ، ولا يروي حديثه عن غيره ممن يوثق^{٣٣} .

2 - أن يعترف الواضع للحديث بوضعه له ، كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبي مريم بوضعه أحاديث فضائل سور القرآن ، وكما اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بوضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ، ويحل فيها الحرام .

3 - وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بوضع الحديث ، كأن يروي الراوي عن شيخ لم يلقه ، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل إليه ، أو يروي عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفي هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك .

وفي هذه الحالة يكون الاعتداد على تاريخ مواليد الرواة ، وإقامتهم ورحلاتهم ، وشيوخهم ووفاتهم ، حتى لا يستغل الوضعون الشيوخ الثقات لترويج ما يوضعون من الأحاديث ، وبذلك صار علم الطبقات قائماً بذاته ، ولا يستغني عنه نقاد الحديث .

(68) مطبوع حسي السامي . مرجع سابق ، ص 111 - 113 .

وفي هذا قال حفص بن غياث القاضي : «إذا اثم الشيخ فحاسبوه بالسنين ، يعني سنه وسن من كتب عنه»⁽⁶⁹⁾ . وقال سفيان الثوري : «لما استعمل الرواية الكذب استعملنا لهم التاريخ»⁽⁷⁰⁾ .

4 - استفادة الوضع من حال الراوية وبواعثه النفسية : كما كان من أمر سعد بن طريف الذي وضع حديث : (معلو صيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المساكين) وذلك عندما جاء ابنه من الكتاب يبكي بحضرة سيف بن عمر التيمي الذي أخرج الحاكم عنه هذا الخبر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً»⁽⁷¹⁾ .

ومثل حديث : «الهرسة تشد الظهر» فإن واضعه محمد بن الحجاج النخعي الذي كان يبيع الهرسة»⁽⁷²⁾ .
علامات الوضع في المتن :⁽⁷³⁾

هناك علامات كثيرة تدل على الوضع في متن الحديث أهمها مايلي :
1 - ركافة اللفظ : بحيث يدرك الذي عنده علم بأسرار اللغة العربية ويلاحظها وفصاحتها أن هذا القول ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم .

وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها بوضعها . قال الحافظ ابن حجر : «المدار في الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى

الرداءة ، وأما ركافة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لا حتال أن يكون رواه بالمعنى فغير ألفاظه بغير فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب»⁽⁷⁴⁾ .

2 - فساد المعنى : بأن يكون المروي من الأحاديث مشتتاً على سخافات وساجات لا تتفق وما عليه العقلاء من الكياسة والحصافة مثل : «الديك الأبيض حبيبي ، وحبيب حبيبي جبريل»⁽⁷⁵⁾ ، أو أن يكون مخالفاً لمبنيات العقول من غير أن يمكن تأويله بوجه من الوجوه مثل : (إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ، وصلت عند المقام ركعتين)⁽⁷⁶⁾ .

أو أن يكون مخالفاً للقواعد العامة في الحكم والأخلاق مثل : «جور الترك ولا عدل العرب»⁽⁷⁷⁾ ، أو مخالفاً لقواعد الطب المتفق عليها مثل : «الباذنجان شفاء من كل داء»⁽⁷⁸⁾ أو مخالفاً لقطعيات التاريخ ، أو سنة الله في الكون مثل : حديث عوج بن عنتى ، وأن طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأن نوحاً لما خوفه الغرق قال : احملني في قصعتك هذه (يعني السفينة) ، وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه كان يدخل يده في البحر فيلتقط السمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس...»⁽⁷⁹⁾ .

3 - مخالفة الحديث لصريح القرآن : بحيث لا يقبل التأويل مثل : «ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء»⁽⁸⁰⁾ ، فإنه مخالف لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾⁽⁸¹⁾ .

4 - مخالفته لصريح السنة المتواترة ، مثل : «إذا حدثتني عن حديث يوافق

(74) محمد عجاج الخطيب . نفس المرجع ، ص 242 من الباب الحديث ، ص 90 .
(75) أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكاظمي (ت 163 هـ) : تزييه الشريعة المرفوعة . (تحق : عبد الوهاب عبد الطيف وزميله) . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1971 م ، ج 2 ، ص 241 .
(76) مصطفى حسني السباعي . المرجع السابق ، ص 116 .
(77) علي القناري العروبي (ت 1014 هـ) . المنصرع في معرفة الحديث الموضوع . (تحق : عبد الناج غنط) ط 2 ، بيروت : مؤسسة الرسالة 78 م ص 88 .
(78) ابن قيم الجوزية (ت 75 هـ) . المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية لا ، ت ، ص 39 .
(79) ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) . المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، لا ، ت ، ص 29 - 30 .
(80) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 116 .
(81) سورة التجم : 38 .

(69) أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) . الباء الحديث ، بيروت : دار الفكر ، لا ، ت ، ص 131 .
(70) نفس المرجع . نفس الصفحة .
(71) محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ) . اللوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية . (تحق : عبد الرحمن المعلى) القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، 1978 م ، ص 272 .
(72) أبو عبد الله محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) . المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، لا ، ت ، ص 25 .
(73) راجع : أ - مصطفى السباعي . مرجع سابق ، ص 115 - 120 .
ب - محمد عجاج الخطيب السنة قبل التصوين . مرجع ساب . ص 241 - 247 .

الحق فخذوا به حدثت به أول ما أحدث⁽⁸²⁾ فإنه يخالف للحديث المتواتر : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁸³⁾.

5 - مخالفته للقواعد العامة المأخوذة من القرآن السنة ، مثل : «من ولد له ولد فسماه محمدا كان هو ومولوده في الجنة»⁽⁸⁴⁾ . ومثل : «آليت على نفسي ألا أدخل الدار من اسمي بعد أو أحد»⁽⁸⁵⁾ . فإن هذا يخالف للمعلوم المقطوع به من أحكام القرآن والسنة من أن النجاة بالأعمال الصالحة ، لا بالأسماء والألقاب .

6 - أن يكون مخالفا للإجماع ، مثل : «من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة»⁽⁸⁶⁾ فإن هذا يخالف لما أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شيء من العبادات .

7 - مخالفة الحديث لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل : حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع الجزية على أهل خيبر ، ورفع الخرة عنهم بشهادة سعد بن معاذ ، وكتابة معاوية بن أبي سفيان⁽⁸⁷⁾ ، فهذا الحديث كذب من عتة وجوه :

أ - إن فيه شهادة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وسعد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق .

ب - أن الجزية - من الثابت في التاريخ - لم تكن معروفة ولا مشروعة في عام خيبر ، ولما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك حين وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن .

ج - إن معاوية لم يكن أسلم عام خيبر ، ولما دخل الإسلام عام الفتح⁽⁸⁸⁾ .

(82) أبو عبد الله أحمد بن حنبل (241 هـ) . مسند الإمام أحمد ، (شرح) أحمد محمد شاكر ، ط 2 ، مصر : دار المعارف ، 1950 م ج 2 ، ص 29 . رقم الحديث 584 .

(83) مصطلح السباعي . المرجع السابق ، ص 117 .

(84) ابن قيم الجوزية . المرجع السابق ، ص 31 .

(85) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(86) علي الهروي - مرجع سابق ، ص 191 .

(87) ابن قيم الجوزية . نفس المرجع ، ص 37 - 38 .

(88) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

8 - موافقة الحديث لمذهب الراوي وهو متعصب مغال في تعصبه : كأن يروي رافضي حديثا في فضائل أهل البيت ، أو حديثا في الإرجاء ، مثل ما رواه حجة بن جوين إذ قال : سمعت عليا رضي الله عنه قال : عبت الله مع رسوله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، قال ابن حبان : كان غالبا في التشيع ، وأهيا في الحديث⁽⁸⁹⁾ .

9 - أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لأنه وقع بشهد عظيم ، ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد . وهذا حكم أهل السنة ومن رأى رأيهم على حديث (غدير خم)⁽⁹⁰⁾ بالوضع والكذب .

قال العلماء إن من أمارات الوضع في هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعا ، ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعا على كتابته حين استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ، ومثل هذا بعيد ومستحيل في العادة والواقع ، انفراد الرافضة بنقل هذا الحديث دون جمهور المسلمين دليل واضح على كذبهم فيه⁽⁹¹⁾ .

10 - اشتغال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل بسيط . مثال ذلك : «من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له»⁽⁹²⁾ .

تلك هي أهم القواعد والأسس التي بني عليها العلماء جهودهم لنقد الحديث ، ومعرفة صحيح السنة من مخطئها وموضوعها . وإلى جانب هذه القواعد وتلك الأسس يأتي ذوقهم الفني وملكتهم المكتسبة من كثرة الممارسة والدراسة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثيرا ما رفقوا أحاديث مجرد سماعها لها ، لأن ملكتهم الفنية لم تقبلها ولم تستسها ، ومن هذا كثيرا ما يقولون : «هذا الحديث عليه ظلمة ، أو مته مظل ، أو ينكره القلب ، أو لا تطعمن إليه النفس»⁽⁹³⁾ .

(89) مصطلح حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 118 .

(90) مصطلح حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 118 .

(91) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(92) محمد عجاج الخطيب . السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 247 .

(93) مصطلح حسني السباعي . نفس المرجع ، ص 119 .

الفصل الثالث :

الحديث النبوي الشريف :

- المقدمة .
- معنى الحديث لغة واصطلاحاً .
- علاقة الحديث بالخبر والأثر .
- الحديث القدسي .
- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .
- مراتب الحديث .
- شروط رواة الحديث .
- الألقاب العلمية لرواة الحديث .

الحديث النبوي الشريف

مقدمة الفصل :

لقد شاعت كلمة الحديث على لسان كل مسلم ، وذلك لعلاقتها الوثيقة بأعظم شخصية هدت البشرية بعد حيرتها إلى طريق الخير والسعادة في الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة ... ذلك هو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي سمي بنفسه قوله (حديثاً) .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله عن أسعد الناس يشفاعة يوم القيامة ؟ «إنه علم أن لن يسأله عن هذا الحديث أحد قبل أبي هريرة لحرصه على طلب الحديث»⁽¹⁾ .

ولعله صلى الله عليه وسلم بهذا قد وضع الأصل لما اصطلاح عليه - فيما بعد - علماء الحديث وسموه (حديثاً) .

والباحث في هذا الفصل سيتحدث عن الحديث النبوي الشريف بصفة خاصة بعد أن تكلم عن السنة بصورة عامة ، وسيكون تناوله للموضوع من خلال ما يأتي :

1 - معنى الحديث لغة واصطلاحاً

أ - المعنى اللغوي للحديث

إذا تتبعنا كلمة (الحديث) ومشتقاتها في لغة العرب ، ومن خلال نصوص القرآن الكريم ، نجد أنها تأتي بمعان كثيرة من بينها مايلي :

(1) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) . شرح البخاري بحاشية السدي . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . ج : 1 ، ص : 83 . كتاب : العلم . باب : الحرص على الحديث .

- 1 - الحديث : الجديد من الأشياء أي نقض القديم ، ومن ذلك حديث ابن مسعود أنه سلم عليه وهو يصلي فلم يرد عليه السلام قال : فأخذني ما قدم وما حدث ، يعني هومو وأفكاره القديمة والحديثة .
- 2 - الحديث : الخبر يأتي على القليل والكثير .
- 3 - الحديث : ما يحدث به المحدث ، ويجمع على أحاديث وهو شاذ على غير قياس ، وقالوا في جمعه أيضا : حدثان وحدثان .
- 4 - الحديث : كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع ، أو الوحي في يقظته أو منامه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَوْفَىٰ بِوَعْدِهِ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾⁽²⁾ وقوله : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾⁽³⁾ ، وقوله جل جلاله : ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ قَابِلٍ الْأَحَادِيثَ﴾⁽⁴⁾ .
- 5 - الحديث : تسمية الله عز وجل كتابه العزيز (حديثا) إذ قال : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾⁽⁵⁾ . وقوله : ﴿أَفَنُفِثَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُوجُونَ وَتَضْحَكُونَ﴾⁽⁶⁾ . وقال : ﴿فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَقْهَوْنَ حَدِيثًا﴾⁽⁷⁾ . وقال : ﴿وَمَنْ أَسَدَقَ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾⁽⁸⁾ .
- 6 - الحديث : بمعنى الطري من الثار .
- 7 - رجل حدث : أي حسن الحديث .
- 8 - رجل حدث وحديث السن بمعنى واحد⁽⁹⁾ .

- (2) سورة النجم : 3 .
- (3) سورة الغاشية : 1 .
- (4) سورة يوسف : 101 .
- (5) سورة الطور : 34 .
- (6) سورة النجم : 59 .
- (7) سورة النساء : 78 .
- (8) سورة النساء : 87 .
- (9) يراجع : أ - رجال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) - (ت 711 هـ) . - لسان العرب . مطابع كوتانوسما طبعة مصورة عن مطبعة بولاق . لا . ت . ج : 2 . مادة : حدث .

ب - الحسين بن محمد - الرافع الأسبغاني (ت 502 هـ) . المفردات في غريب القرآن . (إثرائي) : محمد أحمد غلث) ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . لا . ت . ص 158 - 159 .

ب - المعنى الاصطلاحي :

- ذهب العلماء في تعريفهم الاصطلاحي للحديث النبوي الشريف ثلاثة مذاهب :
- 1 - مذهب عرّف الحديث بأنه هو ما أنشئ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابي والتابعي من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية .
 - وهذا المفهوم يكون الحديث شاملا للرفوع ، وهو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وللموقوف ، وهو ما أضيف إلى الصحابي ، وللمقطوع ، وهو ما أضيف إلى التابعي . وهذا المذهب نسب إلى جمهور العلماء .
 - 2 - مذهب ثان لفريق من العلماء رأى أنّ الحديث هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقط - دون الصحابي والتابعي - من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، وعلى رأي هذا الفريق يكون الحديث خاصا بالرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .
 - 3 - مذهب ثالث لبعض آخر من العلماء : ذهب إلى أن الحديث هو ما أسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل دون التقريرات والصفات ، وهذا يصير الحديث - عندهم - خاصا بالرفوع من أقواله النبي وأفعاله فقط⁽¹⁰⁾ .
 - 4 - أما الباحث فإنه يرى رأي الجمهور إذ هو الذي يؤيده ما جرى به العمل في تدوين السنة ، ونقل الحديث وروايته ، فكتب السنة بما تحتو به من الأحاديث الموقوفة على الصحابة ، والمقطوعة على التابعين ، وماتشمل عليه من الصفات الخلقية والخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه لخبر شاهد على سناد رأي الجمهور .

2 - علاقة الحديث بالخبر والأثر

أ - علاقته بالخبر :

- 1 - معنى الخبر في اللغة : يأتي الخبر في اللغة العربية بمعنى النبأ ، وما يتحدث به الناس ، وفي اصطلاح البلاغيين والمناطق هو ما يحتمل الصدق والكذب لئاته .

(10) أنظر : أ - أبو الملا علي أبو الملا وزينه ، دراسات في علوم الحديث . القاهرة : دار التراث العربي 1973 م ص 71 .
 ب - ظفر أحمد الطائي التهامي . قواعد في علوم الحديث . (مطبع : عبد الفتاح غنم) ط 3 - بيروت : مكتبة المطبوعات الإسلامية . مطب . لا . ت . ص 24 وما بعدها .

2 - أمّا معناه في اصطلاح المحدثين فعلى أربعة مذاهب :

أ - عند الجمهور : الخبر مرادف للحديث وهو ما أضيف إلى النبي ، أو الصحابي ، أو التابعي من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، والخبر بهذا المعنى يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع .

ب - مذهب آخر يرى أن الحديث هو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الخبر فإنه ما جاء عن غيره من صحابي ، أو تابعي ، أو عن نبي من الأنبياء السابقين ، أو حكيم من الحكماء ، وعلى هذا الرأي يكون الخبر مبايناً للحديث ومغايراً له . ويطلق على من يشتغل بالتواريخ والتراجم اسم الاخباري ، بخلاف من يشتغل بالسنة فقد شاع إطلاق اسم المحدث عليه .

ج - مذهب ثالث عرف الخبر بأنه ما أضيف إلى النبي ، أو الصحابي ، أو التابعي ، أو إلى غيرهم ، وعلى هذا الرأي يكون الخبر أعم من الحديث ، فكل حديث خبر ، وليس كل خبر حديث .

د - مذهب فقهاء خراسان الذين كانوا يسمون الموقوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبراً ، والموقوف أثر⁽¹⁷¹⁾ .

هـ - والذي يراه الباحث ويغفل إليه من هذه المذاهب هو مذهب الجمهور ، نظراً لأن رواية الخبر لم يقتصر على نقل المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل عتوا - إلى جانبه - بنقل الموقوف على الصحابي ، والمقطوع على التابعي ، ولما كانت الرواية - في حد ذاتها - هي إخباراً فلا مانع من تسمية الحديث خبراً والخبر حديثاً .

ب - علاقته بالأثر :

1 - معنى الأثر في اللغة : الأثر معناه في اللغة بقية الشيء ، ويجمع على

أثار ، وأثور ، والآثار : الأعلام ، والأثر : الخير . يقول الله تعالى : ﴿ وَنُكَتِبَ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾⁽¹⁷²⁾ أي ما أسلفوا من أعمال . فمن سن سنة حسنة كتب له ثوابها ، ومن سن سنة سيئة كتب عليه عقابها .

وسنن النبي صلى الله عليه وسلم هي آثاره . وأثره العلم ، وأثرته : بقیته منه يؤثر أي : تروى وتذكر ، وقرئ : «أو أثره من علم ، وأثره من علم ، وأثارة من علم . وقال الزجاج : أثارة في معنى علامة ، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم⁽¹⁷³⁾ .

2 - معناه اصطلاحاً : أما معناه اصطلاحاً فقد انقسم المحدثون على أنفسهم في تعريفه إلى ثلاثة مذاهب :

أ - الأثر : هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، وإلى الصحابي والتابعي من قول أو فعل . فهو هذا المعنى مرادف للحديث والخبر والسنة ، وهذا هو مذهب الجمهور .

ب - الأثر : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة دون الصحابي والتابعي ، فهو خاص بالمرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقط .

ج - الأثر : هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل ، فهو خاص بالموقوف على الصحابي ، وعلى هذا يكون الأثر - عند أصحاب هذا الرأي - أخص من الخبر والخديث والسنة أيضاً .

د - والذي يراه الباحث من التعريفات السابقة للأثر أن ما عليه الجمهور هو الأرفق والأنسب ، فتخصيص الأثر بما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من سلف الصحابة والتابعين ، أو بما أضيف إلى الصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لا مبرر له ، إذ الموقوف والمقطوع ماهي إلا

(172) يس : 12

(173) مجال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) . مرجع سابق . مادة : أثر .

(171) راجع : أ - أبو العلا أبو الغلا وزميله . المرجع السابق . ص 72 .

ب - طهر أحمد العثان التهامي . المرجع السابق . ص 25 .

روايات تعزى إلى رواها ، فالموضوع يعزى إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، والموقوف يعزى إلى الصحابي ، والمقطوع يعزى إلى التابعي .
وقد يقال : أثرت الحديث بمعنى رويته أو ذكرته عن غيره كما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة أ ث ر . وكذلك يسمى المحدث أثريا .
والحاصل كما يقول الدكتور نور الدين عتر : إن هذه العبارات الثلاثة : الحديث ، الخبر ، الأثر ، تطلق عند المحدثين بمعنى واحد هو : «ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة خلقية أو خلقية أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي»⁽¹⁴⁾ .

3 - الحديث القدسي

أ - معناه :

1 - سمي بالحديث القدسي نسبة إلى القداسة وهي التكريم والإجلال والتعظيم والتطهير ، من حيث إضافته إلى الله تعالى .
2 - وهو كل حديث أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنده إلى ربه عز وجل مثل : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه» أو : «قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم» . ويقال أيضاً : الحديث الإلهي ، أو الرباني .
ب - والأحاديث القدسية كثيرة ، وقد جمعها بعض علماء الحديث في جزء كبير . إلا أن شهاب الدين ابن حجر الهيتمي⁽¹⁵⁾ قال في شرح الأربعين النووية :

(14) نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، ط : 2 ، دمشق : دار الفكر ، 1979 م ، ص 26 .

(15) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي . فقيه باحث مصري مولده بمحلة أبي الهيثم سنة 909 هـ . ومات بمكة سنة 974 هـ . ومن مؤلفاته : ملج الأرب في فضل العرب ، والوجه المنظم ، شرح الأربعين النووية وغيرها . انظر : غير الدين الزركلي . الأعلام . المطبعة الثالثة ، بيروت : لا ت ، ج : 1 ، ص 223 .

«هي أكثر من مائة» ، وقد بلغت الأحاديث القدسية التي جمعها المحدث الشيخ عبد الرؤوف بن علي المناوي اثنين وسبعين ومائتي حديث»⁽¹⁶⁾ .

من أمثلة الحديث القدسي :

- 1 - حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»⁽¹⁷⁾ .
- 2 - عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : «إذا تقرب العبد إلي شراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»⁽¹⁸⁾ رواه البخاري .
- 3 - عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل قال : «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منها الجنة»⁽¹⁹⁾ رواه البخاري .

4 - الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم

أ - يختص القرآن الكريم بخصائص ومزايا دون الحديث القدسي تتبيل كما أوردها بعض العلماء في :
(1) القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور ، محفوفة من التغيير والتبديل متواترة اللفظ في جميع الكلمات والحروف والأسلوب .

(16) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث علومه ومسطح له . ط : 3 دار الفكر ، 1975 م ، ص 29 .

(17) أبو الحسن علي بن الحجاج القفري . (ت : 261 هـ) صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد صبيح وأولاده ، ج : 8 ، ص 223 .

(18) هي الدين أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ) . رياض السالخين . (تليق : السيد علي مالك وزميلة) . مطبعة الحالة الجديدة ، 1960 م ، ص 74 .

(19) نفس المرجع . ص 35 .

- (2) حرمة روايته بالمعنى .
- (3) حرمة مسه للحدث وتلاوته للجذب .
- (4) تعين قراءته في الصلاة .
- (5) التعبد بقراءته .
- (6) تسمية الجملة منه آية .
- (7) تسميته قرآناً .
- (8) لفظه ومعناه من عند الله عز وجل .

ب - أمّا الحديث القدسي فهو :

- (1) ما كان لفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى بالإلهام أو برؤيا المنام ، وقد يكون بوحى جلي ولكنه ليس شرطاً له ، بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يكون إلا بوحى جلي : أي ينزل الملك به من عند الله تعالى بلفظه ، في حين أنه لا تنحصر الأحاديث القدسية في كيفية واحدة من صور الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم ، والإلقاء في الرّوع ، وعلى لسان الملك .
- (2) يجوز روايته بالمعنى لأن لفظه للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك لا تجزئ قراءته في الصلاة وإنما تبطلها⁽²⁰⁾ .

5 - الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

أ - الأحاديث النبوية هي التي تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتحكي عنه أمّا الأحاديث القدسية فهي التي تنسب إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يحكيها ويروها عنه ، ويقال عنها قدسية أو إلهية .

(20) محمد عجاج الخطيب - أصول الحديث علومه ومسطحاته ، مرجع سابق ، ص 30 بالهامش .

ب - الأحاديث النبوية قد تكون بوحى من الله تعالى ، وقد تكون من اجتهاده عليه الصلاة والسلام ، إلا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ ... أمّا الأحاديث القدسية لا تكون إلا بوحى معناها من الله تعالى ، ولفظها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج - من أمثلة الحديث القدسي : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي «قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره»⁽²¹⁾ . ومن أمثلة الحديث النبوي الشريف ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان»⁽²²⁾ .

6 - مراتب الحديث النبوي الشريف

سبق وأن ألمحنا في الفقرة الرابعة من الفصل الثالث إلى أن فريقاً من علماء المسلمين قد اهتموا بتنقية السنة النبوية من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعوا أسساً وقواعد استطاعوا بمقتضاها تقويم الحديث وتقييمه ، وتقسيه إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف . وفي هاته الفقرة سنتحدث عن مراتب هذه الأقسام الثلاثة من حيث حكم العمل بموجبها :

(21) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - مرجع سابق ، ج 2 ، ص 34 .

(22) نفس المرجع ، ج 1 ، ص 11 باب الإيمان .

أ - الحديث الصحيح :

هو الحديث المسند الذي يتصل إسنادُه بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً⁽²²⁾ ويوصف بأنه متواتر أو أحادي .

1 - المتواتر : هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، عن جمع مثله في أول السند ، ووسطه ، وآخره . وينقسم إلى :

أ - متواتر لفظي : وهو الذي رواه الجمع المذكور في أول السند ووسطه وآخره بلفظ واحد وصورة واحدة ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»⁽²⁴⁾ .

ب - متواتر معنوي : وهو الذي لا يشترط في روايته المطابقة اللفظية ، وإنما يكتفى فيه بأداء المعنى ، ولو اختلفت رواياته عن الجمع الذي يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، ومثاله :

«أحاديث رفع اليدين في الدعاء» فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم نحو مائة حديث في رفع يديه في الدعاء⁽²⁵⁾ .

«وليس هناك خلاف بين المحدثين في أن كلاً من المتواتر اللفظي والمعنوي يوجب العلم القطعي اليقيني .

وتتفرع على القطع بصدق الحديث المتواتر - كما يقول الإمام السالمي - مسائل كثيرة منها :

- وجوب اعتقاده إن كان من المسائل الاعتقادية .
- وجوب اتباعه والأخذ بمذلوله إن كان من المسائل العملية .
- تفسيق من خالفه وإن كان متأولاً ، إلى غير ذلك من الفروع⁽²⁶⁾ .

2 - الحديث المشهور : وهو دون مرتبة الحديث المتواتر ، ولم يتصف في القرن الأول - وهو قرن الصحابة - بشرط التواتر الذي يقضي أن ترويّه جماعة يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، عن جمع مثله في أول السند ، ووسطه ، وآخره ، وإنما رواه في أول القرون من يجوز تواطؤهم عادة على الكذب ، ثم اشتهر في القرن الثاني والثالث فقبولوه واستمر معهم على القول ، وعبر عنه البعض بالمستفيض⁽²⁷⁾ .

ومن أمثلة الحديث المشهور أو المستفيض الصحيح : قوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا بغير علم فضلوا وأضلوا»⁽²⁸⁾ .

وحكم الحديث المشهور إفادة الطمأنينة ، والظن القريب من اليقين⁽²⁹⁾ .

3 - الأحادي : هو كل حديث يرويه صحابي أو صحابيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله عنها كذلك عدد من التابعين لا تتوفر فيهم شروط التواتر .

(26) راجع : عبد الله بن عبد السالمي . (ت 1332 هـ) . شرح طلحة الشيس . القاهرة : مطبعة الموسوعات . لا .

ت ن ج 2 . ص 12 .

(27) عند غير الإضافة والحقبة ينقسم الحديث إلى : متواتر وأحاد . أمّا المشهور أو المستفيض فهو من قبيل الأحادي وليس نوعاً مستقلاً . (الباحث) .

(28) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري . مرجع سابق . ج 8 . ص 60 . باب رفع العلم وقبضه .

(29) ركي الدين شعبان . أصول الفقه الإسلامي . ط : منشورات جامعة قارونيس 1971 م . ص 62 .

(23) أبو الفدا إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) . الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث . بيروت : دار الفكر . لا .

ت . ص 17 .

(24) أبو عمرو الربيع بن حبيب (ت حوالي 170 هـ) . الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب (تصحیح) : عبد الله بن

حيد السالمي . بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر . لا . ت . ص 191 .

(25) سبهي الصالح . علوم الحديث ومسطلمه . ط : بيروت : دار العلم للملايين . (1971 م) . ص 149 .

وهذا القسم من الحديث يجب العمل به فيما يدل عليه دون العلم إذا كان راويه عدل ثقة ضابطاً⁽³⁰⁾.

ب - الحديث الحسن :

هو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، وسلم من الشذوذ والعلّة ، وهو نوعان :

1 - حسن لذاته : «وحيّ حسناً لذاته لأن حسنه ناشئ من شيء داخل فيه ذاتي له ، لا من شيء خارج عنه . فهو قد بلغ - بنفسه - درجة الصحيح في شروطه ، وإن كان أخف منه بضبط رجاله»⁽³¹⁾.

2 - حسن لغيره : «وهو ما في إسناده مستور لم تتحقق أهليته ، ولا عدم أهليته غير أنه ليس مغفلاً كثيراً الخطأ ، ولا متهاً بالكذب ، ويكون متنه معضداً بتابع أو شاهد»⁽³²⁾.

والحديث الحسن بتوجيه يفيد الظن لا اليقين القطعي ، ويوجب العمل فيما دلّ عليه دون العلم .

ج - الحديث الضعيف :

هو ما لم يجمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا نعمت الحديث الحسن . جاء عن الدكتور صبحي الصالح في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) بخصوص الحديث الضعيف والعمل به قوله : «يتناقل الناس هذه العبارة - يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال - فيسوّغون بها جميع مايتساهلون في روايته من الأحاديث التي لم تصح عندهم ، ويدخلون في الدين كثيراً من التعاليم التي لا تستند إلى أصل ثابت معروف ... إلى أن يقول : فما لا ريب فيه - في نظر

الدين - أن الرواية الضعيفة لا يمكن أن تكون صدراً لحكم شرعي ، ولا لفضية خلقية ، لأنّ الظن لا يغني عن الحق شيئاً ، والفضائل كالأحكام من دعائم الدين الأساسية ، ولا يجوز أن يكون بناء هذه الدعائم وأهيا على شفا جرف هار»⁽³³⁾ . وهذا ترى أن الحديث الضعيف لا يمكن العمل بمضونه مطلقاً سواء أكان في الأحكام الشرعية أم الفضائل الخلقية ، وهذا ما حكاه ابن سيد الناس عن يحيى ابن معين ، وإليه ذهب أبو بكر بن العربي⁽³⁴⁾ .

7 - الشروط التي ينبغي توفرها في رواية الحديث وفي قبول الرواية

لقد أجمع جمهور أئمة الحديث والأصول والفقه على أنّه يشترط فيمن يحتج بروايته ذكرًا كان أو أنثى الشروط الآتية :

أ - أن يكون الراوي مسلماً : فلا تقبل رواية المشرک إجماعاً ، واختلف فيمن يلحقه الشرك بالتأويل ، وفي فاسق التأويل أيضاً . فقيل لا تقبل روايتها ، وقيل تقبل ، وعدم القبول أرجح⁽³⁵⁾ ، إذ أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نتوقف في خير الفاسق في قوله : «يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين»⁽³⁶⁾ .

ب - أن يكون عاقلاً ، فلا تقبل رواية المجنون والمعتوه اتفاقاً ، لأنّ الاعتبار من النوع الإنساني حصول العقل ، فعند عدمه ترتفع الأحكام .

ج - أن يكون بالغاً ، فلا تقبل رواية الصبي ، لأنه - كما يقول الإمام السالمي : «إذا علم أنّه لا إثم عليه في الكذب فلا يؤمن منه أن يجترئ عليه ، فيفيد ذلك الشك في صدقه . وأيضاً فإنّ العدالة شرط في قبول الرواية ، وهي في الصبي

(33) نفس المرجع ، ص 210 - 211 .

(34) محمد مجاز الخطيب ، أصول الحديث علومه ومصطلحه . مرجع سابق ، ص 351 .

(35) عبد الله بن حيد السالمي . مرجع سابق ج 2 - ص 32 .

(36) سورة الحجرات : 6 .

(30) عبد الله بن حيد السالمي ، مصدر سابق ، ص 15 .

(31) صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 156 .

(32) صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 156 .

غير متحقة . أما إذا تحملها وهو صبي ثم أداها بعد بلوغه ففي قبول روايته قولان ، ونسب القول بقبولها إلى الأكثر . قال البدر الشاخي (37) . «والصحيح قبول روايته وشهادته ولو تحملها قبل البلوغ إذا كان ضابطاً» (38) .

د - أن يكون ضابطاً : والمراد بالضبط هنا إتيان المعنى عند السماع ، والمحافظة على حفظه حتى يؤديه كما سمعه ، ويتناول الضبط الحفظ في الصدر ، كما يتناول الحفظ في الكتاب ، فالمراد هو أن يكون الراوي حافظاً إن حدث من حفظه ، وحافظاً لكتابه عن دخول التحريف أو التبديل أو النقص عليه إن حدث من كتابه .

ولا يشترط حفظ اللفظ لجواز تأديته بالمعنى إذا اتقنه إتقاناً تاماً . ولا تقبل رواية من غلب سهوه على ضبطه اتفاقاً (39) .

هـ - أن يكون ذا مروءة تحفظه من فعل يهلكه من المعاصي ، وما يشينه عند ذوي المروءات .

و - ألا يكون الراوي عمل بخلاف ما روى ، فإن من روى رواية ثم عمل بخلاف مدلولها كان ذلك موجباً لتهمة إمّا في الرواية ، وإمّا في المساهلة في العمل ، وجميعها محلّ بقبول الرواية إن لم تحكم بسقوط عدالته لحسن ظن به لاحتقال أن يكون اطّلع على ناسخ لها (40) .

ز - ألا يترك الأخذ بروايته غيره من العلماء ، فإن ترك العلماء الأخذ بروايته مع سماعه منه إمّا يكون الطعن في الراوي أو الطعن في الرواية ، وإذا ثبتت عدالة الراوي دلّ ترك العمل بها على نسخها بديل آخر ونحو ذلك ، لأن العلماء لا يطبقون على ترك حقّ سمعوه فيدخل الشك في تلك الرواية (41) .

(37) المراد بالبدر الشاخي هذا : أبو العباس أحمد بن سعيد الشاخي من يقرن بجبل نفوسة ومن علماء القرن العاشر ، بلغ مائة نقوص في العلم ، ومؤلفاته تمتد من الأبحاث : فله في أصول الفقه مختصر لكتاب العدل والإصناف لأبي يعقوب البرجلاني ، وفي التاريخ : كتاب السير . وفي أصول الدين حاشية على مقدمة التوحيد لابن جريح . كانت وفاته سنة 938 هـ . راجع ترجمته في : أبو حفص عمر بن جريح . مقدمة التوحيد ، (نقح : أبي إسحاق إبراهيم طليش) ، ط 2 ، لا . ب . 1973 ، ص 9 .

(38) عبد الله بن حيد السامي . المرجع السابق ، ص 31 .

(39) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(40) نفس المرجع ، ص 35 - 36 ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

ح - ألا يتأول الرواية راوياً ، فإن تأولها وقف عن قبولها وعن ردّها ، لأن ذلك التأويل منه إمّا يكون لشئ في تلك الرواية كحديث معارض لها أو نحو ذلك فلحسن الظن بالراوي ، وتقف عن قبول روايته (42) .

ط - ألا يكون مدلساً في روايته ، كأن يروي الرواية ويومئ أنها عن غير من أخذها عنه ليقبل السامع ما روى (43) .

يقول ابن الصلاح : «التدليس قسبان :

1 - تدليس الإسناد : وهو أن يروي عنّ لقبيه مالم يسمعه منه موها أنه سمعه منه . أو عنّ عاصره ولم يلقه موها أنه قد لقّبه وسمعه منه . ثم قد يكون بينها واحد ، وقد يكون أكثر ، ومن شأنه ألا يقول في ذلك : (أخبرنا فلان) ولا (حدثنا فلان) وما أشبهها ، وإنما يقول : قال فلان عن فلان ونحو ذلك . مثال ذلك : ماروينا من علي بن خشرم قال : كنا عند ابن عيينة فقال : (قال الزهري ، فقيل له : أحذركم الزهري ؟ فسكت ثم قال : قال الزهري ، فقيل له : سمعته من الزهري ؟ فقال : لا . لم أسمع من الزهري ، ولا من سمعه من الزهري ، حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري .

تدليس الشيوخ : وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه فيسببه ، أو يكتنيه ، أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف .

مثاله : ماروي لنا عن أبي بكر بن مجاهد الإمام المقري أنه روى عن أبي بكر عبد الله بن داود الجستاني فقال : «حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله . وروى عن أبي بكر ابن الحسن النقاش المفسر المقري فقال : حدثنا محمد بن سند نسيه إلى جد له» (44) .

(42) عبد الله بن حيد السامي . المرجع السابق ص 35 - 36 .

(43) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(44) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) : (ت : 642 هـ) . مقدمة ابن الصلاح في علم الحديث . بيروت دار الكتب العلمية 1978 م ، 34 - 35 .

ي - ألا يكذب الراوي أصله الذي روى عنه ، كما إذا روى عن ابن عباس مثلاً ، فقال ابن عباس ما رويت هذه الرواية ، ولا حدثت بها أحداً ، فإن تلك الرواية لا تقبل ، وإن كان الراوي عدلاً لحصول الشك فيها ، فيحصل ضعف الظن في صدقة ، فلا تقبل رواية من شك في صدقة ، ولا يجرح في عدالتها ما لم يصرح أحدها بتكذيب الآخر . فن صرح منها بالتكذيب ابتداء سقطت عدالته⁽⁴⁵⁾ .

تلك هي أهم الشروط التي ينبغي توفرها في رواية الحديث وفي قبول رواياتهم وهي شروط وضوابط تكفل سلامة رواية السنة وصحتها ، مما يؤكد على قبولها والعمل بموجبها إيماناً وصدقاً بعد كتاب الله عز وجل .

8 - الألقاب العلمية لرواة الحديث

وقد صنف العلماء رواية الحديث كله بحسب كثرة مروياتهم ، وعنايتهم بالحديث وقنونه إلى درجات علمية خصوصاً كل واحدة منها بلقب يميزها عن غيرها وهي :

أ - المستند بكسر النون : وهو من يروي الحديث بإسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس إلا مجرد الرواية⁽⁴⁶⁾ .

ب - المحدث : وهو من اشتغل بالحديث رواية ودراسة ، وجمع رواية ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف خطه واشتهر به ضبطه⁽⁴⁷⁾ . أي : صار يقصد للإفادة في الحديث ورواياته حتى اشتهر بذلك ، وعرف خطه لكثرة ما يكتب من الأجوبة على أسئلة الناس⁽⁴⁸⁾ .

ج - الحافظ : أرفع من المحدث ، وهو من توسع في الحديث وقنونه

بحيث يكون ما يعرفه من الأحاديث وعللها أكثر مما لا يعرفه ، وقال ابن الجزري⁽⁴⁹⁾ : «والحافظ من روى ما يصل إليه ، ووعى ما يحتاج لديه»⁽⁵⁰⁾ .

وقد تفاوتت عبارات العلماء في تعريف الحافظ حتى بلغوا أحياناً ما عده بعض الباحثين تعالياً في الحفاظ . كقول الزهري : «لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة» ، وقولهم في الإمام أحمد بن حنبل : «كان يحفظ ألف حديث» . وصدر عنهم هذا باعتبار المرتبة العليا في الحفاظ ، كما أنهم تفاوتوا العرف ، وأثر اختلاف الزمان في ذلك⁽⁵¹⁾ .

ومن العلماء الحفاظ : أبو بكر بن محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهري (ت 124 هـ) ، وعبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق المشهور بابن محمد القرشي (ت 126 هـ) ، وأبو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ) ، وأحمد ابن علي الشهير بالحطيب البغدادي (ت 463 هـ) ، وعبد الرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الفرج بن الجوزي (ت 597 هـ) ، وشمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي وشهرته الحافظ الذهبي (ت 748 هـ) ، وشهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، وجلال الدين السيوطي المصري (ت 911 هـ) وغيرهم⁽⁵²⁾ .

د - الحجة : وهو من كل حفظه وإتقانه لعلوم الحديث متناً وإسناداً وأصبح مرجعاً للحفاظ في الإتيان وحفظ السنة ، وقد عرفه المتأخرون بأنه من حفظ ثلاثمائة ألف حديث بأسانيداً مع معرفة متونها وحال رجالها جرحاً وتعديلاً .

(49) ابن الجزري : هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف شمس الدين العمري الدمشقي شيخ الفراء في زمانه ، ومن حفاظ الحديث ، ولد ونشأ بدمشق (751 - 833 هـ) ، وإتقن فيها مدرسة ساجها دار القرآن ، وتولى القضاء في شيراز ومات فيها . وهو مؤلف أكثر ، ومن مصنفاته النشر في القراءات المشرقة ، وغاية النهاية في طبقات القراء . راجع ترجمته في : خير الدين الزركلي ، مرجع سابق ، ج 7 : ص 274 - 275 .
(50) و (51) نور الدين عثر ، نفس المرجع ، ص 76 - 77 .
(52) راجع مايلي :

أ - أبو العلا علي أبو العلا وزميلة . مرجع سابق ، ص 71 وما بعدها .

ب - طاهر أحمد العثاني التهانوي . مرجع سابق ، ص 27 .

ج - صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 75 - 76 .

د - نور الدين عثر . مرجع سابق ، ص 76 - 77 .

(45) عبد الله بن حبيب السالمي ، مرجع سابق ، ص 36 .

(46) و (47) و (48) نور الدين عثر . مرجع سابق ، ص 75 - 77 .

وقد بلغ درجة الحجة من علماء الحديث كثيرون من أشهرهم :

حسن بن ذكوان البصري (ت 145 هـ) ، وهشام بن عروة بن الزبير (ت 146 هـ) ، وبشر بن الفضل بن لاحق شيخ أحمد بن حنبل (ت 187 هـ) ، وعبد الملك بن محمد وشهرته أبو نعم الجرجاني (ت 313 هـ)⁽⁵³⁾ .

هـ - **الحاكم** : وهو من أتقن السنة وقيد أوابدها ، وأحاط بالأحاديث المروية متنا وإسنادا . وتقدا لكل من أفراد الأسانيد مع الخبرة بالرجال ، وصفاتهم ، ونشأتهم وبلدانهم ورحلاتهم وأشياخهم وتلاميذهم .

وعرفه البعض بأنه من حفظ ثمانمائة ألف حديث بأسانيدھا مع معرفة بحال رجالھا جرحا وتعديلا ، وردا وقبولا ، وإنّ الحاكم أعلى درجة من الحجة ، وأقل مرتبة من أمير المؤمنين في الحديث ، وقد وصل إلى درجة الحاكم من علماء الحديث كل من :

1 - عامر بن شراحيل الهمداني الشهير بالإمام الشعبي (ت 109 هـ) .

2 - محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ) .

3 - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري مصنف صحيح مسلم (ت 261 هـ) .

4 - سليمان بن الأشعث بن إسحاق وشهرته أبو داود الجستانی صاحب سنن أبي داود (ت 275 هـ) .

5 - محمد بن عيسى بن سورة بن موسى وشهرته أبو عيسى السلمي الترمذي مصنف كتاب الجامع (ت 279 هـ) .

6 - وأحمد بن شعيب بن علي وقد اشتهر بالنسائي صاحب كتاب المجتبى في السنة (ت 303 هـ)⁽⁵⁴⁾ .

(53) راجع ما يلي :

أ - أبو الملا علي أبو الملا وزيله . مرجع سابق ، ص 71 وما بعدها .

ب - طغر أحمد الثماني التهاوني . مرجع سابق ، ص 27 .

ج - صبي الصالح . مرجع سابق ، ص 75 - 76 .

د - نور الدين عثر . مرجع سابق ، ص 76 - 77 .

(54) المراجع السابقة ، الصفحات السابقة .

و - **أمير المؤمنين في الحديث** : وهو أرفع المراتب وأعلاھا ، وهو من فاق حفظا وإتقاناً وعمقا في علم الأحاديث وعلمھا كل من سبقه من المراتب ، بحيث يكون - لإتقانه - مرجعا للحكام والحفاظ وغيرهم .

ولقب بأمير المؤمنين في الحديث لآلھ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء السنن إلى المسلمين ومن أمراء المؤمنين في الحديث كل من :

1 - سفيان الثوري صاحب كتاب الجامع الكبير والصغير (ت 161 هـ) .

2 - شعبة بن الحجاج بن الورد التميمي الأزدي مولاهم (ت 160 هـ) .

3 - حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت 167 هـ) .

4 - عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم (ت 181 هـ) .

5 - أبو عبد الله أحمد بن حنبل صاحب المسند في الحديث (ت 241 هـ) .

6 - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم الذي اشتهر بالبخاري الجعفي مولاهم صاحب كتاب صحيح البخاري (ت 256 هـ) .

7 - أبو الحسن علي بن عمر الشهير بالدارقطني صاحب كتاب السنن المشهور ، (ت 179 هـ) .

8 - أبو عبد الله مالك بن أنس إمام الهجرة وصاحب كتاب الموطأ في الحديث ، (ت 171 هـ) .

9 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب كتاب فتح الباري . والتذهيب ، والتقريب وغيرها . (ت 852 هـ) . وغيرهم رحمهم الله جميعا⁽⁵⁵⁾ .

تلك هي الشروط والمواصفات والصفات التي تتحول للإنسان المسلم أن يتحول ويجعل رواية الحديث النبوي الشريف ، ويؤديه حق الأداء ، وهي شروط ومواصفات وصفات قد توفرت في أولئك الأعلام من الرجال الذين

(55) راجع :

أ - أبو الملا علي أبو الملا وزيله ، نفس المرجع السابق ، نفس الصفحات السابقة .

ب - نور الدين عثر . نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وثقت بهم الأمة الإسلامية ، واعتدت رواياتهم الصحيحة في أصلها التشريعي
الثاني الذي استوعبت نصوصه ومعانيه كل ما استجد ويستجد في شؤون الحياة
من نظريات قانونية وغيرها لتنظيم الحقوق الفردية والاجتماعية في مرونة تامة ،
ويسر ورفع حرج وتخفيف .

ومن بين أولئك العلماء الأعلام الذين توفرت فيهم تلك الشروط
والمواصفات والصفات ، ووقفوا حياتهم المباركة ، وجهودهم المخلصة الموفقة
لتنقية السنة من شوائب الوضع ، وتصفيها مما علق بها من أدران الدس والكذب
بتدوين ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث وتلقيها من
أفواه البررة الثقات من كبار التابعين وصغارهم الذين تتبعوا مسيرة السنة النبوية
المطهرة منذ خطواتها الأولى ، أداء وتحملا ، رواية وسندا ، جمعا وتصنفا ،
توثيقا وتضعيفا ، إن من أولئك العلماء أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي
البصري الأزدي العاني صاحب الجامع الصحيح مسند الربيع ، والذي هو
موضوع بحثنا في رسالتنا هاته ، فإليه رحمه الله ورضي عنه في أدوار حياته
وكفاحه العلمي من خلال الفصول الآتية .

الباب الثاني

الباب الثاني وفيه ثلاثة فصول

1 - الفصل الأول : حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسبابها .
- ☆ الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب ضمن المحدثين الذين اهتموا بتدوين الحديث .
- ☆ عمان الموطن الأول للربيع بن حبيب .
- ☆ الحياة العقلية بعان في القرون الإسلامية الأولى .
- ☆ مولد الربيع ونسبه وأسرته . .
- ☆ نشأته .
- ☆ تحول الربيع من عمان إلى البصرة لطلب العلم .

2 - الفصل الثاني : شيوخ الربيع بن حبيب .. وفيه مايلي :-

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن جابر بن زيد ولم تصلنا رواياتهم عن الربيع في مسنده .
- ☆ ترجمة لبعض مشائخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيرا في تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي .

3 - الفصل الثالث : تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي وفيه :

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ تراجم لبعض ممن حل العلم عن الربيع من أهل عمان وحضر موت .
- ☆ أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية عن مدرسة الربيع بالبصرة .
- ☆ إنتاج الربيع الفكري ، ومكانته الإجتماعية والعلمية .

حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

مقدمة الفصل :

إن ما يرمي إليه الباحث في هذا الفصل هو التعريف بحياة أحد أولئك الأعلام الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام والمسلمين ، فكان لهم بذلك فضل السبق في تدوين الحديث النبوي الشريف ، كما حصل لهم أيضا شرف النضال من أجل تخليص السنة النبوية الرضية من شوائب الوضع في تلك الفترة المبكرة من مرحلة التدوين ، منذ العقد الأول من القرن الثاني الهجري .

ذلك هو : أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني الأزدي ، الذي لم يعرف أكثر رجالات الحديث وطلبة العلم المسلمين عنه شيئا ، وليس أدل على ذلك من أنك مهما فتشت عن اسمه في كتب الرجال والحديث والفقه والأصول - عدا كتب الإياضية التي تعتبره أحد أئمتها في الحديث والفقه - لم تجد له ذكرا .

لذا كان من حقه علينا وحق المسلمين جميعا أن نعرف بحياته وسيرته وكفاحه العلمي ، حتى نكون بذلك قد أدبنا أمانة طال ما نازعتنا النفس بوجود أدائها ، وفي ذات الوقت نكشف عن صفحة مشرقة من تلك الصفحات الخالدة في سيرة هذا الإمام المكافح في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الحق ، ليكون قدوة صالحة لشبابنا المسلم الذي هو أحوج ما يكون في وقته الحاضر إلى من يتأسى به ، ويسترشد بخطاه .

صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسابها

إن الكتابة عن أبي عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري الأزدي العماني المحدث الرائد صاحب كتاب الجامع الصحيح مسند الربيع بن

حيب ، والذي يعتبر من أوائل من جمع الحديث ودوّنه في منتصف القرن الثاني للهجرة ليست بالسهلة اليسورة ، ولم يكن السيل إليها معبداً ، وذلك لما اكتف حياته ونشأته الأولى من غوض ، وما أحاط بها من نسيان أوتاس - إن صح هذا التعبير - حتى من أولئك الذين نديوا أنفسهم لتسج جهود علماء الحديث - منذ بداية تدوينه - والتأريخ لهم ، وتناول رواياتهم بالجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف ، حيث لم يوجد للربيع هذا مكان بين معاصريه بمن ماثت بطون الكتب بالثناء على جهودهم ، وسارت الركبان يذكروهم والإشادة بأعمالهم الجليلة المخلصة التي حفظت للأمة الإسلامية أسهلها التشريعي الثاني ، سنة رسولها محمد صلى الله عليه وسلم خالية من الوضع وشوائب الزيف ، سليمة من البدع والاختلاق ، وذلك من أمثال الأئمة الرواد : عبد العزيز جريج البصري (ت 150 هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت 158 هـ) والربيع ابن صبيح (160 هـ) وسعيد بن أبي عروبة (156 هـ) وسفيان الثوري (ت 161 هـ) ومعمّر بن راشد (ت 153 هـ) وعبد الرحمن بن عمرو الأزاعي (ت 157 هـ) وعبد الله بن المبارك (ت 181 هـ) وهشيم بن بشير (ت 183 هـ) وغيرهم .

والباحث إذ يقول هذا عن الربيع إنما يقر حقيقة لمها من خلال تنقيبه - ولدة لا تقل عن ثلاث سنوات - في كتب التراجم والرجال ، وكتب الجرح والتعديل ، وتأريخ تدوين السنة وعلوم الحديث ومصطلحه ، والمصنفات المعتمدة في هذا المجال ، غير أنه لم يجد له ولمسند ذكرها فيها ، باستثناء إشارة من الأمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في كتابه (التاريخ الكبير) يقول فيها ما نصه : «ربيع بن حبيب جمع الحسن وابن سيرين ، وروى عنه موسى البصري»⁽¹⁾ أو ذكر ابن حبان له في الثقات على ماورد بهامش هذه الإشارة ، وإلا تلك الإشارات الخفيفة في كتب بعض المصنفين المحدثين ككتاب تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني (كارل بروكلمان)⁽²⁾ ، وكتاب

(1) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256 هـ) التاريخ الكبير (مراقبة : محمد عبد المعيد خان) بيروت : دار الكتب العلمية ، لا . ت . جلد : 3 . القسم : ج : 2 : ص 277 .
(2) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (تر : عبد التعليم النجار) ط 4 : القاهرة : دار المعارف 1977 م . ج : 3 : ص 161 .

الأعلام للزركلي⁽³⁾ ، وكتاب تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سيزكين⁽⁴⁾ بالإضافة إلى ما كتبه علماء الإباضية عنه باعتباره إمامهم في الحديث بعد شيوخه أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وأن مسنده هو معتدّم بعد كتاب الله عز وجل ، حتى هؤلاء كتبوا عنه باختصار دخل أيضاً في سيرهم وفي طبقاتهم معرفين بشخصه ، ومنوهين بعلمه وورعه وتقاه ، دون أن يتعرضوا للتعريف ببينته الاجتماعية والأسرية ، وتنشئته الأولى في طفولته المبكرة والمتوسطة ، وتاريخ ميلاده ووفاته على وجه الدقة والتحديد ، مكتفين بتلك التعميمات التي توارثها الخلف عن السلف في تحديد زمن المترجم له من العلماء بطبقات معاصريه عند التأريخ له . كقول صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب الشيخ أبي العباس أحمد ابن سعيد الدرجيني مثلاً : (الطبقة الرابعة 150 - 200 الربيع بن حبيب) .

إن هاته الفترة الزمنية التي حددها الدرجيني لحياة أبي عمرو الربيع بن حبيب تقريبية ، ولا تتفق مع ما ذكره أبو عبد الله محمد⁽⁵⁾ بن محبوب بن الرحيل وهو من علماء القرن الثالث الهجري في سيره - وكان أقرب عهدا للربيع من الدرجيني المتوفى 670 هـ - ذكر أن الربيع قد أدرك أبا الشعثاء وهو شاب⁽⁶⁾ ، ولما كانت وفاة أبي الشعثاء هذا سنة 93 هجرية - على ما أثبتته أكثر المحققين من

(3) خير الدين الزركلي . الأعلام الطبعة الثالثة . بيروت ، لا . ت . ج : 3 : ص 30 .
(4) فؤاد سيزكين . تاريخ التراث العربي (تر : فهمي أبو الفضل ومن معه) . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب والنشر ، 1971 م : ج 1 : ص 267 .
(5) راجع : أ) عبد الله بن حيد السالمي (ت 1332 هـ) . العقد الثمين . (تفق : سالم بن حمد الحارثي) . القاهرة : دار الكتب ، 1397 هـ . ج : 1 : ص 19 .
(ب) نفس المؤلف . حفة الأحيان بسيرة أهل عمان . (حق : أي إسحاق إبراهيم طليش) ط 2 : القاهرة : مطبعة الشباب ، 1350 هـ . ج : 1 : ص 130 - 131 .
(6) راجع : أ) عبد الله بن حيد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية 1326 هـ . ج : 1 : ص 4 .
(ب) سالم بن حمد الحارثي . العقود الثمينية في أصول الإباضية . سوريا ولبنان : دار البقعة العربية ، لا . ت . ص 149 .

المؤرخين⁽⁷⁾ - تبين لنا مدى عدم دقة التأريخ للأشخاص بنظام الطبقات إجمالاً ، ثم بالتالي عدم صحة المعلومات المستمدة من هذا الحساب . ولعل ما ذكره الباحث عن الربيع بن حبيب من غوص في حياته الأولى وفي نهايته ، وعدم ضبط تاريخه هو نفسه ينسحب على معظم علماء الإباضية وأئمتهم منذ القرن الثاني الهجري ، حتى أواخر القرن الرابع عشر ، وأكبر شاهد على ما قاله : كتب السير والطبقات التي تتبعت أدوار كفاهم العلمي والسياسي والتي من بينها على سبيل المثال : كتاب الطبقات للدرجيني⁽⁸⁾ ، والسير للشماخي⁽⁹⁾ والإباضية في موكب التاريخ للمرحوم علي يحيى معمر⁽¹⁰⁾ مؤخرًا .

(7) انظر :

- أ) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . مرجع سابق - مج : 2 ، القسم الثاني ، ج : 1 - ص : 204 .
 ب) أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير . (ت 774 هـ) . البداية والنهاية : ط : 3 ، بيروت : مكتبة المعارف ، 1979 م . ج : 9 - ص : 93 .
 ج) أحمد بن علي بن حجر المصقلاني (ت 852 هـ) . تهذيب التهذيب . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، 1325 هـ . ج : 2 - ص : 38 .
 د) عبد الحمي بن العباد الحنبلي (ت 1089 هـ) . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (نق إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة) . بيروت : دار الأفاق الجديدة : لا . ت . ج : 1 ، ص : 101 .
 هـ) جد بن سعد (168 - 230 هـ) . الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر ، 1958 م . مجلد : 7 - ص : 179 .
 (8) الدررجمي : هو أبو العباس أحمد بن سلمان بن علي بن خلف التلثب بالدرجيني ، وهو من عائلة علمية من تيجار (أولاد جوحيد بالرحبات اليوم) وسنوتوت قططار بنواحي نفطة بالمجريد التونسي . ومن مؤلفاته كتاب طبقات مشائخ المغرب تولى سنة 670 هـ . راجع ترجمته : صالح باجي . الإباضية بالمجريد في المصور الإسلامية الأولى . دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي ، إشراف : د . علي الشاذلي تونس : دار أبو سلامة للطباعة والنشر ، 1976 م . ص : 206 ، 212 .
 (9) انظر ترجمته في

(10) علي يحيى معمر من مواليد النوات بجبل نفوسة سنة 1919 م . لغوي وفقيه ومؤرخ وشاعر . فنى جل عمره في خدمة التربية والتعليم ، شغل منصب موجه في اللغة العربية والتربية الإسلامية بالمدارس الابتدائية ، ثم رئيساً لسم التوجيه الفني ، فوفاً بتروياً بأمانة التعليم ، وله مؤلفات عدة من أهمها : الإباضية في موكب التاريخ في أربعة أجزاء ، نشأة الإباضية ، الإباضية في ليبيا ، الإباضية في تونس ، الإباضية في الجزائر ، وكتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية ، بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والفتاوى ، وله ديوان شعر غلوط . توفي بمرطليس في شهر يناير 1980 م ، وقبره بسيدي منير .

2 - الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب بن عمرو ضمن المحدثين الذين اهتموا بتدوين الحديث وإغفال إنتاجه

طرح الباحث هذه العبارة في شكل سؤال عن طريق المراسلة على الأستاذ بكلي⁽¹¹⁾ عبد الرحمن بن عمر من علماء الإباضية بوادي ميزاب في الجزائر فأجاب بما يلي : «أما عدم تعرض رجال الحديث لذكره أو تقويم عمله فكثير من علماء الحديث فيرجع معظمه عندي إلى عوامل :

أ) إن جل أئمتنا المتقطعين للعلم كانوا يعيشون في عزلة فرضوها على أنفسهم ، فقد ورد في ترجمة الإمام الربيع ما يلي : أراد أصحابنا⁽¹²⁾ وقوم من غيرهم أن يكتبوا العلم والحديث عن عالم ورع قريب الإسناد ، ويتركوا ما سواه ، فلم يجدوا إلا الربيع ، وكان يروي لهم عن ضام عن جابر بن زيد عن ابن عباس وغيره ، وخاف أن يشيع أمره فيطلب إلى ما هو أعظم ، أو يفتن⁽¹³⁾ فأغلق الباب إلا عن أصحابنا .

أجل إن جل أئمتنا قد جنى عليهم عكوفهم على العلم ، اللهم إلا الذين قاموا بأدوار حربية أو سياسية ، واكتف حياهم وقائع لفتت إليهم الأنظار ، وجعلت حياتهم محل اعتبار ، لذلك لا تجد تاريخ ميلاد هؤلاء ووفاتهم محددًا غالبًا ، وعليه فلا غرابة إن لم تجد في المصادر المتداولة بيننا منا أو من غيرنا تاريخ ميلاد الإمام الربيع بن حبيب ووفاته ، ولم يكن بدعا من الأئمة ، فقد نالت هذه الظاهرة كثيرًا من أئمتنا أمثال : أبي عبيدة مسلم ، وضام بن السائب ، وأبي نوح

(11) بكلي عبد الرحمن بن عمر . فقيه وشاعر عبيد ، ولد بالمطيف إحدى مدن وادي ميزاب بالجزائر سنة 1901 م . وخرج من الجامع الزيتوني ، حقق التيل لسياء الدين الشفي ، والتواعد للصطاني ، ومن مؤلفاته : فتاوى البكري . وهو عضو جمعية كبار العلماء الجزائريين .

(12) كلمة (أصحابنا) إذا ذكرت في كتب الإباضية تعني الإباضية ، و (قومنا) تعني غير الإباضية من المسلمين .
 (13) أو يفتن : لعله أراد أن يروي لمن لا يعرفه من غير أصحابه ، أو من لا يتق به اللغة الكلمة فيزيد في الحديث وتصح المحدث عليه ، إذ كان عهد - رحمه الله - عهد وضع واختلاف ، وبذلك أقل من الرواية تأسياً بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقين .

صالح بن نوح الدهان أسيّاه الذين تلقى عنهم مسنده وغيرهم كثير . ولم حاولت
- أثناء تعليقي على كتاب قواعد الإسلام⁽¹⁴⁾ - أن أحدد تاريخ ميلادهم ووفاتهم
على التحقيق فلم أتوصل إلا إلى حصره في فترة تقريبية .

(ب) إن العامل الأكبر الذي أثرهم على هذه العزلة يرجع إلى السياسة الجائرة
وقتلت ، سياسة الإرهاب ، وما أملت في نفوس الجماهير من الكره ضد الذين
أسمتهم (خوارج) لاعتبارها إِيّاهم الخشاش الذي يظلم في أنفها ما عشت .
(ج) وإذا أضفنا إلى ذلك انعدام مصادر تاريخنا ، وذهابنا ضحية الظلم ،
والفتن والتعصب والحسد ، كان ذلك ضغثاً على إيتالة .

هذا ولا أرى عدم التعرض للإمام الربيع - الذي يعتبر مسنده أول كتاب
ألف في الحديث على ما يظهر - كان عن عمد لعصبية ، أو نزعة دينية أو سياسية
كما يستشف من تساؤلك ، وإنما جاء هذا الإهمال من طرف أصحابنا الذين
يحتفظون بعصفتهم مخزونة في مكاتبهم ، ولم يتج لها من يتبنى نشرها وإظهارها
كغيرهم لعموم الأمة . وحتى العلماء المعاصرون المسمون بالنزاهة العلمية (نسبياً)
من أساتذة الشريعة في الجامعات الإسلامية الذين كتبوا في التشريع الإسلامي
وأشبعوا القول على الحديث وتدوينه ، ومشاهير المحدثين سيّاً محدثو القرنين
الثاني والثالث الذي يفترض أن يكون الإمام الربيع منهم ، أجل يستعرضون ما
عثرُوا عليه بين الأمة وتناوله المؤرخون الأولون في هذا الميدان ، كالحافظ
الذهبي⁽¹⁵⁾ الذي أطلق عليه بعض المؤلفين مؤرخ الإسلام كانوا أحرص ما

(14) كتاب قواعد الإسلام . الله العالم ألبني التونسي أبو طاهر إسحاق بن موسى الجبالي نسبة إلى جبالة إحدى
قرى الرحبات بجبل نفوسة ، من علماء القرن الثامن ، وكان وفاته سنة 750 هـ . جزيرة جربة بتونس ، ودفن في
مقبرة الجامع الكبير ، له من المؤلفات عدة قواعد الإسلام : كتاب فائز الخيرات في أجزاء . وشرح التوبة في ثلاثة
أجزاء ، أصول الدين على فريدة الشيخ أبي نصر فتح بن نوح التلوشاني ، وكتاب الحساب والغرائب ، وكتاب الحج
والسباك ، وكتاب أجوبة الآلة في ثلاثة أجزاء ، وله فوائد .

(15) الحافظ الذهبي : هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ولد سنة 673 هجرية . ساه صاحب الشذرات بنسخ الجرح
والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل ، ومن مؤلفاته تاريخ الإسلام الكبير في واحد وعشرين جزءاً ، وميزان الاختلاف في
نقد الرجال ، والمعاني في الصفات ، والتبليغ في شيوخ السنة ، والمعتق في سر الكنى ، وطبقات الحفاظ في مجلدين
وغيرها ، توفي سنة 748 هـ .

راجع ترجمته في عبد الحمي بن محمد الحسني . مرجع سابق . ج : 6 ص 153 - 156 .

يكونون على ذكر من أغفله من كان قبلهم استقصاء في البحث ، وإنصافاً
للمهضومين ، ومع ذلك لم يشر أحدهم هم أيضاً إلى الإمام الربيع من قريب أو من
بعيد فضلاً أن يترجموا له ، ويتناولوا مسنده بالتعديل أو الترجيح ، أفلا يدل
ذلك على ما أسلفت لك ذكره ؟ .

من خلال إجابة الأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عمر عن السؤال تتضح لنا تلك
العوامل التي أدت إلى عدم تعرض رجال الحديث للربيع بن حبيب كحدث ، أو
تقوم أعماله كغيره من علماء الحديث ، وتتأمل - من وجهة نظره - فيما يلي :
أ - عزلة فرضها الربيع على نفسه بغلق الباب في وجوه طلبة العلم من غير
أصحابه ، وامتناعه عن رواية الحديث لمن سواه ، خشية أن يشيع أمره فيطلب
لما هو أعظم أو يفتن .

ب - ظلم الحكام وسياساتهم الجائرة بما أصّلوه في نفوس الجماهير من
الكرهية ضد أولئك الذين أسمتهم خوارج ومنهم الربيع هذا .

ج - انعدام مصادر تاريخ الإباضية بصفة عامة ، وذهابها ضحية الظلم ،
والفتن والتعصب ، والحسد من مناوئهم .

د - احتفاظ الإباضية بعصفتهم مخزونة في مكاتبهم دون أن يمكنوا أحداً
غيرهم من الاطلاع عليها أو إذاعتها ، وأنه لم يتج لها منهم من يتبنى نشرها
 وإظهارها إلى حيز الوجود كغيرهم لعموم الأمة الإسلامية ، ولما كان مسند الربيع
 وإنتاجه العلمي من بينها فإنه لم يتمكن العلماء المعاصرون المسمون - على حد
 قوله - بالنزاهة نسبياً عن كتبوا في التشريع الإسلامي ، وفي الحديث النبوي
 الشريف وتدوينه ، وعلى مشاهير المحدثين ، ولاسيّما في القرنين الثاني والثالث
 الهجريين الذين يفترض في الربيع بن حبيب أن يكون منهم ، لم يتمكن هؤلاء
 - مع حرص بعضهم الشديد على ذكر من أغفله قبلهم كالحافظ الذهبي مثلاً ،
 استقصاء للبحث وإنصافاً للمهضومين - من الإشارة إلى الإمام الربيع بن حبيب
 من قريب أو بعيد ، فضلاً أن يترجموا ، أو يتناولوا مسنده بالجرح والتعديل .
 لعل تلك العوامل التي ذكرها الأستاذ بكلي كلها مجتمعة أو متفرقة تمثل بعض

الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع ضمن المحدثين ، وإلى إسقاط مسنده من حساب كتب السنة المعتبرة لدى جمهور الأمة الإسلامية .

ويمكن للباحث من جنبه أن يضيف إلى تلك العوامل التي رآها الأستاذ بكلي عبد الرحمن عاملين آخرين ربما كان لها أثر مباشر - من وجهة نظره - في حل رجالات الحديث وعلمائه على التفاضل عن الإمام الربيع وإنتاجه .

أما أحدهما فيقتل في اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج المبتدعة ، ولما كان الربيع بن حبيب هذا من زعماء الحركة الإباضية وأعلامها المفكرين بعد تأسيسها على يد إمامها الأول أبي الشعثاء جابر بن زيد وتلميذه - شيخ الربيع - أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي في البصرة بالعراق ربما لذلك اعتبره أهل الحديث مبتدعا داعيا لبدعته وتجنبوا الرواية عنه . ولم يهتموا بمسنده ، لأنهم اشتربوا فيه يؤخذ عنه الحديث ألا يكون مبتدعا داعيا لبدعته .

يقول ابن الصلاح في مقدمته : « وقال قوم : تقبل روايته (أي المبتدع) إذا لم يكن داعية ، ولا تقبل إذا كان داعية إلى بدعته . وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء ... إلى أن يقول : وقال أبو حاتم بن حبان البستي أحد المصنفين من أئمة الحديث : « الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة ، لا أعلم بينهم فيه خلافا »⁽¹⁶⁾ .

أما ثاني العاملين فيقتل في عدم مصانعة الإمام الربيع للسلطات الحاكمة الجائرة التي لاقى منها علماء الأمة وأئمة الحديث في القرنين الثاني والثالث كل عنت واضطهاد ، منهم من ضرب بالسياط وعذب ، ومنهم من سجن ، ومنهم من نفي ، ومع ذلك نجد منهم من صانع هؤلاء الحكام وهادئهم ، واتفق عنتهم فاستطاع بذلك أن يبرز آراءه ومؤلفاته ، وأن يجد لها طريقا إلى النشر والإذاعة ، وتشجيعا كاملا من أولئك الحاكين . بينما أهملت أعمال الربيع وأضرابه

(16) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) . (ت 642 هـ) . مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1978 م ، ص 54 .

وطست أخبارهم ، وبالتالي لم ترمصفاتهم طريقها إلى عالم النشر ، اللهم إلا ما تناوله الأيدي سرا ويتحفظ وفي نطاق محدود ، وبين فئة معينة .

هذا وحتى لا يظلم محدثنا يكتشفه القموض ، ولا يعرف أكثر الناس عنه شيئا كما كان عليه سابقا ، فإنه يجدد بالباحث أن يشير - وفي إيجاز - إلى موطنه الأول ، وكيف نشأ في أحضانه ، وأخذ تعليمه الأول من كتابته ، ثم ينتقل معه إلى موطنه الثاني البصرة في العراق حيث يتناول حياته العلمية مكتفيا في كلا القطرين بالحياة العقلية دون غيرها من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما ليس له علاقة بغرضه .

3 - عان الموطن الأول لأبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

عان بضم أوله وتخفيف ثانيه مشتق من الفعل عن يعمن ، وعن أي أقام . يقال : رجل عامن وعمون . والعمن : المقيمون في مكان . ومنه اقتبس عان . قال الأزهرى : عان يصرف ولا يصرف . فن جعله بلفظ صرفه في حالتي التكرار والمعركة ، ومن جعله بلدة ألحقه بطلحة⁽¹⁷⁾ . وقيل : سميت عانا باسم رجل يدعى عان بن قحطان هو أول من نزلها من العرب⁽¹⁸⁾ . وكانت عان تسمى - على ما ذكر بعض الكتاب - عند السومريين والأكاديين والأشوريين ب (ماجان)⁽¹⁹⁾ ، كما كانت تدعى عند الفرس ب (مازون)⁽²⁰⁾ . وفي ذلك قال الشاعر :

إن كسرى سعى عان مزونا ... ومزون يا صاح خير بلاد

(17) جمال الدين بن مكرم الأنصاري - ابن منظور (ت 711 هـ) لسان العرب مطابع مكتبة دار الفكر بولاق . لا . ت . ج : 17 ، ص 162 ، مادة ع . م . ن .

(18) نور الدين عبد الله بن حيد السالمي . نغمة الأعيان ج : 1 ، ص 4 .

(19) عادل رضا . عمان والحليج . مصر : دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، 1969 م ، ص 135 .

(20) أبو الحسن علي السعدي . (ت 346 هـ) مرجع الذهب . (حق : يوسف أسعد دافق) ط : 3 ، بيروت : دار

الاندلس للطباعة والنشر 1978 م ، ج 1 ، ص 169 .

(ب) نور الدين عبد الله بن حيد السالمي . نغمة الأعيان ج : 1 ، ص 5 .

(ج) عادل رضا . نفس المرجع . نفس الصفحة .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن أول من سكن عمان من العرب في القديم فرع من العرب البائدة وهم العالقي . إلا أن معظم مؤرخي العرب ونسائهم في العصور الإسلامية الأولى يذكرون : أن أول من نزل عمان من العرب هم مجموعة من قبيلة الأزد البنية بعد تصدع وانهار سد مأرب بزعماء مالك بن فهم . وعندما ما سطع نور الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية كان ملك عمان يدعى ابني الجلندي بن المستكبر : جيفر وعبد اللذين أسلم طوعاً على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بن وائل السهمي سنة (8 هـ) على أشهر الأقوال ، وأعاناه على الدعوة إلى سبيل المؤمنين بنفوذها الأدبي والهادي على أهل عمان ، فدخلوا في دين الله أفواجا ، وما لبثوا أن طردوا الفرس الساسانيين الذين كانوا يقطعون عمان وقتئذ عندما رفضوا الدخول في الإسلام . يقول الإمام السالمي : «ها ورد رسول جيفر على أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته ، إلا الفرس الذين كانوا في ذلك العهد بعمان ، واجتعت الأزد إلى جيفر ابن الجلندي وقالوا : لا يجوزنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج (مسكان) ومن معه من الفرس ، فدعا جيفر بالمرازبة والأساورة وقال لهم : «إنه قد بعث منا في العرب نبي فاختاروا من إحدى حالتين : إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم . فأبوا أن يسلموا وقالوا : لئنا نخرج . فعند ذلك اجتمعت الأزد وقاتلوه قتالا شديدا . وقتل (مسكان) «حاكمهم وزعيمهم» وكثير من أصحابه وقواده . ثم تحصن بقيتهم في (دستجرد) قرب صحار فحاصروهم أشد حصار ، فلما طال بهم ذلك طلبوا الصلح ، فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع ويعملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس ، فأجابوهم إلى ذلك ، وخرجوا من عمان⁽²⁷⁾ . ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام أهل عمان ودورهم الإيجابي في

(27) نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان ، ج 1 ، ص 47 .

الدعوة إلى الله ورسوله سرّ سرورا عظيما وقال : «رحم الله أهل غيبراء آمنوا بي ولم يروني»⁽²²⁾ . وكانت عمان تعرف في عهده صلى الله عليه وسلم باسم الغبراء أو الغيبراء⁽²³⁾ . وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث أخرى في فضل عمان والحث على إنتاجها للزرق ليس هنا محل ذكرها . وقد استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام على عمان بعد إسلامها عمرو بن العاص فظل بها مسموع الكلمة ، مطاعا معانا من قبل ملكيها جيفر وعبد ابني الجلندي ، يجمع الصدقات من المسلمين ، ويفرض الجزية على أهل الذمة ممن بقي على دينه حتى جاءه نبأ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى المدينة وبصحبته ملك عمان عبد بن الجلندي ، وجعفر بن خشم العتكي ، وأبو صفرة سارف بن ظالم وجماعة من الأزد ، فاستقبلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل حفاوة وإكرام ، واستمع لحظيبيهم بعد مبايعتهم له حيث قال : «يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ويا معاش قريش ! هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد برئنا منها إليكم»⁽²⁴⁾ . فأنقذ عليهم أبو بكر رضي الله عنه ، ثم قام عمرو بن العاص فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلا قاله في الأزد . فلما كان من الغد أمر الخليفة أبو بكر رضي الله عنه فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام فيهم خطيبا بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر الرسول فضلى عليه وقال : «معاشر أهل عمان !.. إنكم أسلمت طوعاً لم يبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشتموه ما جشتمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشئت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتوه إذ دعاكم على بعد داركم ،

(22) و (23) عبد القادر زلوم : عمان والإمارات السبع ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1963 م ، ص 10 .

(24) نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان ، ج 1 ، ص 9 - 10 .

وأطعته إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأبى فضل أبر من فضلكم ، وأبى فعل أشرف من فعلكم المعاد ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكربا ، ورحل عنكم إذ رحل مسلما ، وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندی ، وأعزكم الله به ، وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجيل ، حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهركم ما يضاعف فضلكم ، وقم مقامنا حمدناكم فيه ، ومحضه بالنصيحة ، وشارككم بالنفس والمال ، فثبت الله به ألسنتكم وعيدي به قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم الله خيرا⁽²⁴⁾ .

وهكذا نرى أن الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضي الله عنه - وهو من هو - قد قلّد - في خطبته اللاهجة بالثناء والحمد - أهل عمان وسام الشرف العظيم ، والمكانة السامية في الإسلام ، لم يسبق لأحد من القبائل العربية - عدا المهاجرين والأنصار - أن حظي بها أو نالها ، ويتبين لنا أيضا من خلال خطبته رضي الله عنه ما كان عليه العُمانيون في ظل حاكمهم جيفر وعبد ابني الجلندی من كثرة العدد ووفرة العدة ، وما هم عليه من الألفة والاتحاد ، وعدم الفرقة والتشتت ، إذ قال في هذا الخصوص : « ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ... إلى أن يقول : وأطعته إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، كما يتضح من هذا النص أيضا أن الحاكمين جيفر وأخاه عبد حاكمان صالحان حسنا الإيمان ، سعد بوجودهما أهل عمان ، وكانا يتنا و سلاما على بلادها عمان : « وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندی ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجيل » .

قد ظهرت - كما يقول السالمي - : إجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعاء خليفته لأهل عمان ، وصدق الله توسعها فيهم ، فهم أكثر الناس هدى وصوابا ، منهم الأئمة العادلون ، والعلماء الراشدون ، ولم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وإن غلبوا على دولتهم في بعض الأحيان لما أراد الله من تحييص المؤمنين وتحقيق الكافرين⁽²⁴⁾ .

ونفى السالمي مآذرك ابن الأثير في كماله من ردة كثير من أهل عمان بزعمه ذي الناج لقيط بن مالك الأزدي ، ويرى أن كلامه باطل لا أصل له ، ويقرر أن سبب هذه الواقعة أن امرأة من بني الحارث بن مالك بن فهم كان عليها أن تدفع الزكاة للعامل عليها ، ولكنها دفعت أقل مما يجب أن تدفعه ، فأخذ منها العامل حقّ المسلمين غير مبال برأها ، فاعتبرت المرأة هذا الإجراء عسبا واعتداء ، فاستغاثت بيا آل مالك !! وكانت دعوة جاهلية استجاب لها بعض الناس دون تثبيت ، فقاتلهم أمير الصدقات على عمان حذيفة بن حصن وانتصر عليهم وسى وغنم⁽²⁷⁾ .

وقد عين أبو بكر رضي الله عنه جيفر وأخاه عبدا عاملين له في عمان ليحكم بين الناس بالعدل ويقبض حدود الله ، وظلا كذلك إلى أن توفيا في أواخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقيت أمور عمان في نسل عبد بن الجلندی طيلة الخلافة الراشدة والدولة الأموية - باستثناء الفترة التي كان الحكم فيها لعبد الملك بن مروان حتى وفاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز والدولة العباسية - وعدا زمن السفاح⁽²⁸⁾ - وبذلك كانت عمان مستقلة عن كل تلك الأحداث والدويلات التي قامت زمن ضعف الدولة العباسية وبعد انهيارها على

(24) السالمي : تحفة الأعيان ، ص 10 .

(27) أ - السالمي : نفس المراجع ، ص 59 - 60 .

ب - أحمد شلي : نفس المراجع ، ص 297 - 299 .

(28) انظر : أ - نور الدين السالمي المراجع السابق ، ص 61 وما بعدها .

ب - أحمد شلي : نفس المراجع السابق ، ص 297 - 299 .

ج - محمد بن عبد الله السالمي وناجي عفاف : عمان تاريخ يتكلم . دمشق : المطبعة العمومية ، 1963 م ص 100 وما بعدها .

(25) النظر : أ - السالمي : تحفة الأعيان ، ص 10 .

ب - أحمد شلي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية . 1977 م ، المجلد 7 ، ص 295 .

يد التار. واستطاع العانيون أن يعقدوا الإمامة لمن يستحقها شرعا عن طريق الشورى والاختيار الحر، وظل حكم الإمامة قائما في عمان أكثر من ألف عام في سلسلة من الأئمة المتلاحقين حتى عهد الإمام غالب بن علي سنة 1954⁽²⁹⁾. وقد ذكر بعض المؤرخين أنه تولى إمامة عمان خمسة وعشرون إماما في الماضي، وكان لهم دور كبير في تاريخها، حيث كانت عمان تتمتع بكافة حقوق السيادة، وكانت لها جيوشها البرية وأساطيلها البحرية حتى بلغت تلك الأساطيل في أواسط القرن التاسع الميلادي أكثر من ثلاثمائة سفينة حربية تامة الأعداد والتجهيز، وكان التحرر الفكري والشعور بالكيان طابع العانيين على امتداد العصور.

4 - الحياة العقلية بعان

لم يحدثنا المؤرخون الإسلاميون الأولون عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار التابعين أنهم أسوا بعان مدارس على غرار تلك التي أقاموها بمكة المكرمة والمدينة المنورة، والبصرة والكوفة، ودمشق بالشام، والفسطاط بمصر، والين لتدريس القرآن الكريم وتفسيره، والحديث النبوي الشريف وتدوينه، والفتنة الإسلامي واستنباطه.

لذلك نجد أن معظم العلماء - وما أكثرهم - من العانيين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة قد أخذوا العلم وتخرجوا من مدارس العراق في البصرة والكوفة وبغداد، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

أ - صحرار بن عباس العبدى⁽³⁰⁾ الذي قال عنه النديم في كتابه الفهرست :

(29) أ - أحمد شلي. نفس المرجع، ص 304 وما بعدها.

ب - عادل رضا. المرجع السابق، ص 151.

(30) انظر: (أ) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر المصلاي: الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار صادر، مصورة عن دار الصاعدة، مصر سنة 1328 هـ. ج 2، ص 176 - 177.

ب - نور الدين السالمي. نفس المرجع، ص 11 بالهامش.

ج - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم (ت 380 هـ) كتاب الفهرست للنديم (تحق: رضا مجد) ، طهران: 1371 م، ص 102.

«أحد النساين الخطباء، في أيام معاوية بن أبي سفيان، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين أو ثلاثة، وله كتاب الأمثال».

ب - كعب بن سوار الأسلي (ت 36 هـ)⁽³¹⁾. وهو الذي أسند إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء البصرة بعد تقصيرها لعله ونزاعته وعده.

ج - أبو الشعثاء جابر بن زيد (21 - 93 هـ). والذي يعتبر من أول من ألف كتابا أسماء الديوان، أودعه الأحاديث التي رواها، وأراه في أصول العقيدة، وفتاويه في كثير من النوازل والمسائل، ويقال عنه: إنه ديوان ضخم جدا يعجز عن حمله البعير ويقع في عشرة أجزاء.

د - أبو عمرو الربيع بن حبيب صاحب الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب في الحديث وهو شخصية رسالة الباحث هذه.

هـ - الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽³²⁾ (100 - 170 هـ) صاحب كتاب العين ومبتكر علم العروض والقافية، له عدة مؤلفات - عدا العين - ذكرها النديم في الفهرست.

و - أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري المعروف بالمبرد⁽³³⁾، (210 - 285 هـ) يعتبر إماما في النحو واللغة العربية والأدب، له عدة مصنفات ومن أشهرها كتابه الكامل.

(31) راجع ترجمته في:

أ) الثمار بن محمد بن العراق. معتن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر. (تحق: محمد جيد الله). إسلام آباد: مطبعة

معهد البحوث الإسلامية، 1973 م، ص 38 - 40.

ب) - نور الدين السالمي. مجلة الأحياء، ص 12.

(32) انظر: (أ) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم. مرجع سابق ص 48.

ب) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت 208 هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحق: د. إسماعيل عيسى). بيروت: دار صادر 1978 م مجلد 2، ص 248.

(33) راجع: (أ) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم. نفس المرجع ص 65.

ب) - ابن خلكان. المرجع السابق، ص 319.

ز - أبو بكر محمد بن الحسن المكنى بابن دريد⁽³⁴⁾ (223 - 321 هـ) كان واسع الرواية، لم ير أحفظ منه للشعر، له كتب كثيرة ومن أجلها نفعا كتابه الجمهرة.

والباحث عند مقال: إن الصحابة وكبار تابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن لهم بعمان مدارس عليّة كالتي كانت لهم في الحجاز والعراق والشام ومصر واليمن - لا يعني - إطلاقاً - أنه ليس هناك لبعض هؤلاء جهود في تعليم أبناء عمان وأهله ممّا لم يكن للسلم منه بد من مبادئ الشريعة الإسلامية وأصولها، كتحفيظ القرآن الكريم، وما يتيسر من الأحاديث النبوية الشريفة ومسائل الاعتقاد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وإثبات ذلك في نطاق محدود، ليس بالكيفية التي جعلت من تلك المدارس المذكورة في الأقطار المشار إليها منارة للإشعاع الفكري الإسلامي، وجه إليها أنظار طلاب العلم من مشارق العالم الإسلامي ومغاريه، فتخرج منها علماء مفكرون أسدوا للإسلام والمسلمين وللعلوم العربية خدمات جليلة كان لها أثرها في صنع الحضارة الإنسانية بصفة عامة مثل هؤلاء العامين المتحدث عنهم.

هذا وإن عمان لم تكن بمنأى من تلك التيارات الفكرية السياسية التي عمت العالم الإسلامي بصفة عامة والجزيرة العربية بخاصة بسبب الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تلاها من نزاع دموي بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وطلحة والزبير في واقعة الجمل، وبينه أيضاً وبين معاوية وعمر بن العاص في معركة صفين التي كان من نتائجها تحكيم أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص للنظر في أمر النزاع والنزول عند حكم الله بما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولمّا كان هناك عدد كبير من أنصار علي عارضوا فكرة التحكيم معارضة

(34) راجع: ابن علكان. نفس المرجع، مجلد 4: ص 323.

شديدة، «وتفروا من أن يحكم في كتاب الله، ورأوا أن التحكيم خطأ، لأن حكم الله في الأمر واضح وجلي، والتحكيم يتضمن شك كل فريق من المعارين أيها الحق»، وليس يصح هذا الشك، لأنهم وقتلوا إما حاربوا وهم مؤمنون - بلا شك - أن الحق في جانبهم.

هذه المعاني المختلجة في نفوسهم صاغها أحدهم⁽³⁵⁾ في الجملة «لا حكم إلا لله»⁽³⁶⁾، وبذلك خلعوا بيعة علي من أعناقهم، ونصبوا عبد الله بن وهب الراسي الأزدي إماماً.

ولقد حاول علي رضي الله عنه إقناعهم بالرجوع إلى طاعته، وحاورهم كثيراً، فأبوا إلا أن يتسكوا برأيه الممثل في مطالبته بالتوبة للتكفير عن خطيئته التي ارتكبتها بإيقاف القتال من الفئة الباغية بصفين، وقبول التحكيم، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، أي بيعة عبد الله بن وهب الراسي. وبذلك اضطر علي إلى قتالهم في معركة النهروان التي أتت على أكثرهم. قال المسعودي: «وكان جلة من قتل من أصحاب علي تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة»⁽³⁷⁾. وأن هؤلاء تفرقوا في البلاد، فذهب منهم اثنتان إلى عمان، وكان أحدهما - على ما ذكر بعض الرواة⁽³⁸⁾ - هو عبد الله بن إياض⁽³⁹⁾، وإثنتان إلى كرمان، وإثنتان إلى سجستان، وإثنتان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن.

(35) أحمد: هو عروة بن جدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أي بلال مره اس بن جدير الشامي، قتله ابن زياد وصلبه.

(36) أحمد أمين. فجر الإسلام. الطبعة العاشرة. بيروت: دار الكتاب العربي، 1969، م، ص 256.

(37) أبو الحسن علي المسعودي. مرجع سابق، ج 2: ص 406.

(38) محمد عبد الله السالمي وتأجي صفاء. مرجع سابق، ص 131.

(39) عبد الله بن إياض بن تميم اللات بن لعلية التميمي من بني مرة بن عبيد رطه الأخنف بن قيس، وهو الذي غارق جمع الفرق المعاندة عن الحق من الخوارج والمعزلة والقدرية. إمام الإباضية وزعيم حركتهم إبان نشأتها في العهد الأموي. راجع ترجمته في:

أ) أبو العباس أحمد بن سعيد الديرجي (ت 670 هـ). طبقات المشايخ في المغرب: إبراهيم طحلّاي، قسنطينة: مطبعة البعث، لا، ت، ج 2: ص 273.

ب) - أبو العباس أحمد بن سعيد الشامي (ت 928 هـ). السير (تصحیح: محمد يوسف الباروني). القاهرة: مطبعة الأزهار البارونية لا، ت، ص 77.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت عمان مركزا للثروة والمحكمة، وأظهرت عداها السافر لمعاوية بن أبي سفيان ومن جاء بعده من ملوك بني أمية والعباسيين لأنهم حولوا إمامة المسلمين المبنية على الشورى والاختيار الحر إلى ملك عضوض .

ولقد كان لمدرسة التابعي الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد في البصرة، ولتلاميذه الذين تربوا على يديه الأثر الكبير في جعل عمان - موطنه الأصلي - يتذهب بمذهب من تسموا - بعد النهروان من الخوارج - بأهل الدعوة، ثم بالإباضية منذ خلافة عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ) . نسبة إلى عبد الله ابن إياض المقاصي المري التجبي . بسبب - كما يقول الشيخ علي يحيى معمر: «المناشآت والمناقشات الطويلة التي جرت بين عبد الله وعبد الملك»⁽⁴⁰⁾، وحوركته النشطة في نقد سلوك الحكام الأموي، بابتعاده عن منهج الخلفاء الراشدين السابقين، ودعوته الصريحة لحكام الدولة إلى الاعتدال، أو اعتزال أمور المسلمين، ثم لمواقفه الجدلية المتصلبة ضد الخوارج، بحيث ظهر عند العامة بمظهر الزعيم⁽⁴¹⁾. غير أنه - في الواقع - كان يصدر في آرائه الجدلية وتصرفاته السياسية عن الإمام أبي الشعثاء الذي يعتبر - بحق - مؤسس المذهب الإباضي وأصوله .

فقد قال عنه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب: «أصل المذهب وأسه الذي قام عليه نظامه، وعمار الدين ومن انتصبت به أعلامه»⁽⁴²⁾ ثم جاء من بعده أشهر تلاميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

(40) انظر رسالة عبد الله بن إياض إلى عبد الملك بن مروان كاملة في:

أ - أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي . الجوهري المنتقاء فيما أحل به كتاب الطبقات . طبعة حجرية مصورة . القاهرة: 1884 م ، ص 156 - 167 .

ب - سالم بن حنود بن شامس السبائي . إزالة الوشاح عن أتباع أبي الشعثاء . (نق: سيده إسحاق كاشف القارة: مطابع سجل العرب ، 1979 م ، ص 86 - 100 .

(41) علي يحيى معمر (ت 1980 م) . الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة . خطوطه . ورقة رقم 1 .

(42) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق ، ج 2 ، ص 205 .

الذي اتسعت في عهده حركة الإباضية حتى شملت بالإضافة إلى عمان والبصرة حضرموت واليمن وجزءا من شمال أفريقيا ، وخراسان عن طريق ما يسمى بمجملته العلم إلى المشرق والمغرب ، وقامت إمامة عبد الله بن يحيى طالب الحق⁽⁴³⁾ في حضرموت واليمن حتى شملت الحجاز سنة 129 هـ . وإمامه أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري⁽⁴⁴⁾ بطرابلس 140 هـ . حتى شملت القيروان وما والاها .

وبعد أن أدى أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة دورا إيجابيا كاملا في تنشيط الحركة الإباضية سلم زمام أمرها - وهو لا يزال على قيد الحياة - لمن رآه أهلا للسير بها على نهج من تلاميذه ، ألا وهو أبو عمرو الربيع بن حبيب محدثنا الذي سيتولى الباحث الترجمة له ، وعرض جهوده المغمورة - إن صح التعبير - في مجال تدوين الحديث النبوي الشريف والفقه ، منذ فترة مبكرة من حياة التصنيف والتأليف في العلوم الإسلامية . فإليه في أحوار حياته ، وكفاحه العلمي .

(43) عبد الله بن يحيى طالب الحق أعلن إمامة الإباضية باليمن بعد أن شجّت الأئمة من الجور والفسور للذين أتى بها عمال بني أمية ، فتمزقت إلى طوائف الحق وهو قاض يوشع مضمومت ، فقام بالأمر بعد استشارة الإمام أبي عبيدة ابتداء مرضاه الله ، وإقامة لشركه ، فاستولى قتاله جيشه أبو حمزة المختار بن عوف على الحرمين الشريفين وذلك سنة 130 هـ . ودامت إمامته نحو من ثلاث سنين وانتهت باستشهاده رحمه الله . عن الجليلي : كتاب قواعد الإسلام - (تلميح: يكتلي عبد الرحمن بن عمر) ، الجزائر: غرداية ، 1976 م ، ج 1 ، ص 64 بالهامش من أبي إسحاق الملقب (44) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري البني أحد خمسة الذين حولوا العلم إلى المغرب عن أبي عبيدة مسلم سنة 140 هـ . فأحسن السيرة ، وأثقت القيروان من جور قبيلة ورجعومة البربرية الصربية ، وكانت مدة إمامته 4 سنوات ، وقتل بوقعه تاورغاف على يد محمد بن الأشعث قائد أبي جعفر المنصور سنة 144 هـ .

راجع ترجمته في أ - أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471 هـ) . سير الأئمة وأخبارهم . (نق: إسماعيل المري) . الجزائر: المكتبة الوطنية 1979 م ، ص 37 .

ب - أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) . مرجع سابق ، ج 1 ، ص 22 - 34 .

أ - مولده :

ولد أبو عمرو الربيع بن حبيب بإحدى قرى السهل الساحلي المسماة (بودام) من الباطنة في عمان . إلا أن سنة ميلاده لم تحقق مع الباحث . وكل الذي يعلمه أن وجوده كان في زمان أبي الشعثاء جابر بن زيد (21 - 93 هـ) . بناء على ما ذكره أبو عبد الله⁽⁴⁵⁾ محمد بن محبوب بن الرحيل أحد علماء ومؤرخي القرن الثالث الهجري في معرض حديثه عن جابر بن زيد حيث قال : « أدرك الربيع جابر بن زيد والربيع شاب و روى عنه في المسند حديثاً »⁽⁴⁶⁾ .

وإذا افترضنا أن الربيع قد التقى بأبي الشعثاء الذي توفي على الصحيح سنة 93 هـ . في آخر أيام حياته وهو في أول مرحلة الشباب المتعارف عليها وهي سن السادسة عشرة - وهذا الذي ينبغي أن نقديره - لأن هناك اعتبارات لوفاته تحتم علينا ألا نذهب إلى أكثر من الحد الأدنى لمرحلة الشباب ، ولا أصبح الربيع من المعمرين لأكثر من قرن ، ولو كان ذلك لذكر من قبل من أرنخ له إهتماماً بن شدّ عن المؤلف لذلك غلب على ظن الباحث أن تكون ولادته في منتصف العقد الثامن من القرن الأول الهجري أي حوالي سنة 75 هـ . أو قبلها أو بعدها بقليل زمن الخليفة الأموي عبد الملك .

أما ما ذكره الإمام السالمي في آخر الجزء الثاني من مسند الربيع بن حبيب والأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عرّاذ ترجم للربيع في إحدى تعليقاته على كتاب

(45) أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل بن هيرة القرشي ، كان رأس علماء الإيضائية بالشرق بعد أبيه ، وكانت إقامته بكّة ثم انتقل إلى عمان وبها توفي في صهاربيوم الجمعة لثلاث غلون من شهر المحرم سنة 260 هجرية ، ونسب له من الكتب سيرته إلى أهل المغرب في خمسة وسبعين جزءاً . انظر ترجمته : د . عمرو خليفة التامي . أجوبة ابن غلّون . بيروت : دار الفتح 1974 م ، ص 112 .

(46) عبد الله بن حيد السالمي (ت 1332 هـ) حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . مرجع سابق ، ج 1 ، ص 1 - 5 .

قواعد الإسلام الجيطالي ، إن ما ذكرناه من أن الربيع قد روى أحاديث عن عبادة بن الصامت ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي أيوب الأنصاري فستبعد جداً - في نظر الباحث ... لأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم قد انتقلوا إلى جوار ربهم قبل هذا التاريخ المقدّر لميلاده .

فعبادة⁽⁴⁷⁾ بن الصامت كانت وفاته سنة (34 هـ) . وأبو مسعود⁽⁴⁸⁾ الأنصاري سنة (40 هـ) وأبو أيوب⁽⁴⁹⁾ الأنصاري سنة (53 هـ) ، ولوأنه قدر للربيع الرواية عن الصحابة لكان أولى أن يروي عن عاصر طفولته وشببته المبكرة بالبصرة مثل أنس بن مالك شيخ شيخه أبي الشعثاء ، ولكن من صغار التابعين لا من تابعي التابعين .

ب - نسبه :

ينسب أبو عمرو الربيع بن حبيب إلى بني فراهيد⁽⁵⁰⁾ بن مالك بن فهم بن غم

(47) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري أحد النقباء بالمدينة ، أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مرتد النخعي ، شهد بدرًا ومشاهد الرسول عليه الصلاة والسلام كلها ، وهو من جمع القرآن على عهد النبي عليه السلام ، مات رضي الله عنه بالربذة من أرض الشام سنة 34 هـ . وهو ابن 72 سنة . راجع ترجمته :

أحمد بن سعد . الطبقات الكبرى . مرجع سابق ، ج 2 ، ص 546 .

(ب) ابن حجر المصقلاني . الإيضائية في تمييز الصحابة . مرجع سابق ، ج 2 ، ص 268 .

(48) هو : عتبة بن عمرو بن ثعلبة البصري ، سكن بدرًا ولم يشهدها خزرجي أنصاري ، شهد أحدًا وما بعدها من الغزوات ، قيل إنه مات بالكوفة وقيل بالمدينة سنة 40 هـ . انظر :

أ. ابن حجر المصقلاني . نفس المرجع ، ج 2 ، ص 490 .

(ب) ابن العباد الحنظلي . مرجع سابق ، ج 1 ، ص 48 .

(49) هو : خالد بن زيد بن كليب . شهد المدينة مع السبعين من الأنصار ، وأغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير ، ونزل في بيته صلى الله عليه وسلم عند مقدمه من قباء إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها ، كما شهد مع علي بن أبي طالب موقعة النهروان ، وتوفي زمن معاوية سنة 53 هـ . غازيا ببلاد الروم ، وصلى عليه يزيد بن معاوية أمير الجيش وقتل . وقدر اليوم بإستنبول .

انظر ترجمته في : أحمد بن سعد . الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 484 - 485 .

(50) انظر : سالم بن حمود السبيعي : إسعاد الأعيان في أنساب أهل عمان بيروت : مطابع الكتاب الإسلامي ، 1384 هـ ، ص 92 .

ابن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الفوث بن ثبث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود نبي الله عليه السلام .
ومنازل آل فراهيد هي الباطنة من ودام وما يليها من أعمال السويق .
فالربيع إذن غايي الأصل ، غاني الموطن ، بصري المنشأ .

ج - أسرته :

لم نتحدث تلك المصادر التاريخية القليلة التي تناولت حياة أبي عمرو الربيع ابن حبيب - وجعلها إباضية - عن المكانة الاجتماعية ، والمستوى الاقتصادي لأسرته ، ولا عن عدد أفرادها ، إلا ما كان من إشارة عابرة لأحد المؤرخين المعاصرين⁽⁵¹⁾ إلى أن والده حبيب بن عمرو كان أحد تلامذة أبي الشفاء جابر ابن زيد ، ولما لم يتوهم عمله كما نوه بابنه الربيع فأغلب ظن الباحث أنه لم يكن من العلماء . وهناك أيضا إشارة من صاحب⁽⁵²⁾ كتاب السير إلى أن للربيع أخا بعته يجهاز من البصرة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن⁽⁵³⁾ الرستي بتهرت ، غير أنه لم يذكر اسمه ومكانته الاجتماعية والعلمية ، وهل كان أصغر من الربيع أو أكبر .

(51) سالم بن حمد الحارثي . العقود القضائية في أصول الإباضية ، مرجع سابق ، ص 150 .

(52) ربيع : أ - أبو العباس أحمد بن سعيد الشافعي . مرجع سابق ، ص 21 .

ب - سليمان عبد الله الباروني . (ت 1940 م) . الأزهار الرباضية في لغة وبلوك الإباضية . القاهرة : منظمة الأزهار الرباوية ، لا ، ص 164 .

(53) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني لغة بني رستم . تولى إمامة الإباضية بتاهرت بعد وفاة والده الإمام عبد الرحمن بن رستم أحد حلة العلم الخمسة إلى المغرب عن أبي عبيدة من التصرة وذلك سنة 171 هـ . بعد أن اختير من بين السبعة الذين جعل الإمام عبد الرحمن ولاية أمر السفين في أحدم ، وفي عهده ثار ابن قندين الجافزاني ، وخلف بن السج على عامله بطرابلس ، وكانت مدة إمامته أربعين سنة وتوفي سنة 211 هـ .

راجع ترجمته في :

أ - سليمان عبد الله الباروني ، المرجع السابق ، ص 166 .

ب - محمد عبد الله دقوز (ت 1981 م) . تاريخ المغرب الكبير . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963 م ، ج 3 ، ص 138 وما بعدها .

والباحث من جانبه يرى أن هذا الأخ لا بد وأن يكون على مستوى ثقافي واجتماعي يتناسب وسفارته إلى الإمام الرستي وهو من هوي مكانته العلمية والادبية والسياسية وقشذ عند الإباضية بخاصة ومن عاصره من علماء المسلمين وحكامهم بعامة .

وأما أمه فهي الأخرى لم يعثر الباحث لها على ذكر بالرغم من إلحاحه الجاذ الشديد للحصول على معلومات حولها ، لعلمه ما للأُم من دور خطير في تنشئة الأبناء التنشئة الصالحة ، وتوجيههم الوجهة المستقبلية السليمة ، إذ كان لوالدة الإمام مالك⁽⁵⁴⁾ بن أنس ذلك الأثر في تغيير طموحات ومقاصد ابنها الذي كان يعتمر أن يأخذ عن المغنيين ويصبح معنيا إلى طلب الفقه والعلم .

فقد روى ابن نباتة المصري نقلا عن تذكرة ابن حدون من أن مالك بن أنس نفسه يقول في كهولته : «نشأت وأنا غلام فأعجبني الأخذ عن المغنيين ، فقالت أمي : يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه ، لم يلتفت إلى غنائه ، فدفع الغناء واطلب الفقه . فتركت المغنيين ، وتبعت الفقهاء ، فبلغ الله إلي ماترى»⁽⁵⁵⁾ .
وهناك غير أم مالك كثير من الأمهات اللاتي كن لهن الفضل الأكبر في نجاح أبنائهن بفعل توجيهاتهن الرشيدة .

وإذا كان الباحث لم يقدر له أن يحصل على معلومات كافية حول الحالة الاجتماعية لأسرة أبي عمرو الربيع بن حبيب ، ولم تسعف النصوص التاريخية بالحديث عن والدته التي لا بد وأن كان لها دور هام في حياته ، فإنه يستطيع أن يستشف من خلال ما تفل في شخصية الربيع من صدق العزعة ، وسمو المقصد ، ونبل الهدف ، وكرم

(54) مالك : هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ولد سنة (93 هـ) في المدينة المنورة ، وضع كبار التابعين ، حتى أصبح إمام عصره . كان ثقة جليلا ، يحب عمل العلم ، وكان على صلة بالثلاث بن سعد إمام مصري عهده . له كتاب الموطأ ورسائل في الزرة على القدوة وفي تفسير غريب القرآن ، توفي سنة (179 هـ) بالمدينة انظر ترجمته في : أ ابن حجر العسقلاني . تهذيب التهذيب ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 5 .

ب) أمين الخولي . مالك بن أنس . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، لا ، ص 1 .

(55) شرح المعين شرح رسالة ابن زيدون . ط . الموسوعات ، 1332 هـ . عن أمين الخولي ، نفس المرجع من 49 .

الصفات ، وحسن السيرة ، والشغف بالعلم وبحبة العلماء ، والعطاء السخي للإسلام والمسلمين من الفكر النير ، والعمل الدؤوب الصالح ، أنَّ الأسرة التي نشأ فيها ، وترعرع بين أحضانها ، وترى على نهجها وطريقها ، إنما هي أسرة أصيلة كريمة ، عريقة نبيلة ، عرفت شرف رسالتها في الحياة ، ورأت أن أقدس مقومات تلك الرسالة هو حسن تربية الأبناء ، والسهر على تشتمل التشتمل الصحيحة القوية التي تتفق مع منهج الإسلام الحنيف روحاً ونصاً ، مستلهمة في ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم : «كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته...» (الحديث)⁽⁵⁶⁾ .

6 - نشأته

تنازع نشأة أبي عمرو الربيع بن حبيب قطران : عمان مسقط رأسه ، وموطن آبائه وأجداده ، والبصرة في العراق التي كانت - إذ ذاك - كما قال سالم ابن حمّود السبيعي : «عمانية بأولئك الرجال الفطاحل ، فإنَّ أهل عمان استوطنوا البصرة من أول تخطيطها ، فإن الركب الذين خرجوا مع عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا بالبصرة ، وزادوا لما صارت البصرة بصره المهلب وهو عماني أردني»⁽⁵⁷⁾ .

أمضى الربيع طفولته المبكرة والمتوسطة في موطنه الأصلي عمان ، وأخذ تعليمه الأولي في أحد كتاب بلده ، ولربما اختلف كثيراً إلى مجالس الوعظ والإرشاد في المساجد ، وحلقات الدروس التي تعقد بين وقت وآخر للصلاة ، واستعد إلى مناقشات طلبة العلم ومثائهم حول تلك القضايا التي اختلفت فيها الأمة الإسلامية

(56) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (256 هـ) . شرح البخاري بمباحية السدي . القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، لا . ت . ج : 1 . كتاب الجمعة ، ص 160 .

(57) سالم بن حمّود بن شماس السبيعي . إزالة الوفاء عن قبائح أبي الشعثاء مرجع سابق . ص 40 .

بعد قضية التحكيم عقب معركة صفين ، في الثلثين الآخرين من القرن الأول الهجري ، والتي حصرها الشهرستاني⁽⁵⁸⁾ في أربعة أصول كبار :

أ - الصفات والتوحيد فيها .

ب - القدر والعدل .

ج - الوعد والوعيد .

د - السمع والعقل والرسالة والأمانة⁽⁵⁹⁾ .

كما استعد إلى رأي الإباضية مثلاً في رأي أبي الشعثاء جابر بن زيد فيها حيث كان حجتهم وإمامهم ومتبني الأصل القائم «على أنَّ الخلافة أم مراقف الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وهي بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثي ، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وإنما يجب أن يشترط فيها الكفاية المطلقة : الكفاية الدينية ، والكفاية الخلقية ، والكفاية العملية ، والكفاية العقلية ، فإذا تساوت الكفايات في مجموعة من الناس أمكن أن تجعل الهاشمية ، أو القرشية أو العروية من أسباب المفاضلة ، أو من وسائل الترجيح ، أما في غير ذلك فليس لها حساب»⁽⁶⁰⁾ .

إنَّ اسم أبي الشعثاء ومكانته العلمية لم يكونا غريبين عن الربيع لأن والده كان أحد تلاميذه ، ولا بد أن يكون قد حدث بما كان يتمتع به جابر في المحافل العلمية والأوساط الفكرية من تقدير وسمو مقام حتى يجعل لابنه من شيخة القدوة الحسنة ،

(58) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم ، ولد في شهرستان بين نساوير وخوارزم سنة 479 هـ ومن كتبه الملل والنحل في ثلاثة أجزاء مطبوعة . توفي عام 548 هـ في بلده .

انظر : أ) ابن العباد الحنبلي . مرجع سابق . ج : 4 ، ص 149 .

ب) - عبد الغني الزركلي . مرجع سابق . ج : 7 ، ص 83 .

(59) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . (ت 548 هـ) . الملل والنحل . بيروت : مكتبة خياط . لا . ت . ج : 1 ، ص 7 .

(60) علي يحيى معمر (1980 م) . الإباضية في موكب التاريخ . القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي ، 1964 م . المقالة الأولى ، نشأة المذهب الإباضي ، ص 63 .

والمثال المحتذى - سبأ وأنه في مرحلة مايسمى في التربية وعلم النفس مرحلة (عبادة البطل) . لذلك لا بد أن يكون الربيع قد اشتاق إلى البصرة التي كان بها أبو الشعثاء ومدرسته التي تخرج منها والده ، وبها تلاميذ أبي الشعثاء الذين بدأوا يتقاطرون على عمان للدعوة إلى مبادئ تلك المدرسة التي من أخطرها دعوة المسلمين إلى التمسك بشوروية الخلافة ، ومناهضة الذين حولوها إلى ملك عضوض ، وصولجان وراثي .

7 - تحول الربيع من عمان إلى البصرة لطلب العلم

لم تجد المصادر والمراجع التي توفرت للباحث تلك السنة التي غادر فيها الربيع بن حبيب عمان - بعد أن تلقى تعليمه الأولي بها - متوجها إلى البصرة للالتحاق بمدرسة أبي الشعثاء إلا ماكان من قول بعض المؤرخين : «إنه خرج إلى البصرة لطلب العلم من رجاها الأجلاء ، وأصحابها العلماء»⁽⁶⁷⁾ . غير أنه يمكن للباحث أن يجزم بأن مجيئه إلى البصرة كان قبل سنة 93 هجرية التي توفي فيها شيخه أبو الشعثاء جابر بن زيد حيث أدركه قبل وفاته ، وأخذ عنه من العلم قليلا ، وروى عنه في السند حديثا .

قال السالمي في مقدمة شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب : «أدرك الربيع جابر بن زيد ، والربيع شاب ، وقيل قل ما حل عنه من العلم»⁽⁶⁸⁾ . نزل الربيع البصرة في حلة يقال لها (الحرية) وكانت تمتع بفضائل العلماء ، من صفار الصحابة كأئس⁽⁶⁹⁾ بن مالك رضي الله عنه ، وكبار التابعين وصغارهم وتابعيهم

(67) سالم بن حنود بن شماس السالمي . إزالة الوغاة عن أشباه أبي الشعثاء ، مرجع سابق ، ص 4 .

(68) عبد الله بن عبد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . مصدر سابق ، ج : 1 ، ص 3 .

(69) أئس بن مالك بن النضر أصبغى غزيرعي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه . مع أنه قال : «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشرين سنة ، وأنه لم سلم أنت التي عليه الصلاة والسلام حين قدم المدينة فقلت له : هذا أئس غلام يخدمك ، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : «اللهم أكرمه» وولاه وبارك له فيه ، فقال أئس : فإني لن أكره الأضار مالا ووليا ، ويقال إنه ولد له فانون ولدا منهم فأنى وسبعون ذكرا وبنات ، فزار مع الرسول عليه الصلاة والسلام فإني غزوات ، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ، سنة 93 هـ .

انظر ترجمته : ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 71 .

وتزخر بمجالس المناظرة والجدل ، فيها الشيعة ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجئة ، وإلى جانب هذا وذاك سلطة مشيئة ترقب تلك الملل والنحل مجدية وحذر ، وتضرب بعضا من حديد على أيدي دعاة الإمامة العادلة ، والعودة بالمسلمين إلى زمن الخلافة الراشدة .

فاتتح أبو عمرو الربيع بن حبيب بمدرسة التابعي الشهير شيخ والده جابر ابن زيد الذي كان قد نفاه - في تلك الفترة القريبة من مقدمه - إلى عمان مع صديقه الحميم وأحد أعوانه المخلصين (هيرة القرشي) جد سفيان بن محبوب بن الرحيل - الحجاج⁽⁶⁴⁾ بن يوسف الثقفي بعد مأسجته مع بعض تلاميذه المشهورين كضلم بن السائب ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كرية التميمي ، وصحار العبدي . وظل هؤلاء الآخرون في السجن حتى وفاة الحجاج سنة 95 هـ .

وبذا يكون الربيع قد تلقى دروسه عند مقدمه إلى البصرة من الإمام جابر ابن زيد مباشرة ، غير أنه لم تطل ملازمته له لانتقاله إلى الرفيق الأعلى كما أسلفنا ، ولذلك قيل : «قل ما حل من العلم عنه» ، وفي رواية أخرى : «وروى - أي الربيع في شبابه عن جابر قليلا»⁽⁶⁵⁾ .

لقد رأى الربيع في أول عهده بالبصرة مالاتقاء ويلاتيه أبو الشعثاء وتلاميذه وأتباعه وغيرهم من العلماء . كالحسن البصري ، من عنت الحجاج بن يوسف الثقفي وجبروته ، وقسوة أعوانه وشدهم ما ملأ نفسه كراهية لأولئك الحكام المستبدين وجعله كله عزما وتصميا لمناهضتهم ، والسير على منهج شيخه أبي الشعثاء وأتباعه للعودة بالمسلمين إلى نظام الشورى والاختيار الحر في الحكم . إلا أنه سلك - فيها يبدو -

(64) أبو عبد الحجاج بن يوسف الثقفي : قائد داعية ، سداك عطيف ، ولد سنة 40 هـ ونشأ بالطائف ، لحق بربيع بن زنازع نائب عبد الملك بن مروان فكان من شرطه ، ثم ما زال يظهر حتى عتبه عبد الملك قائد عسكريا لثقال ابن الزبير فقتله ، ورمى الكعبة المشرفة بالمخاض ورفق جوفه ، فولاه عبد الملك الجعاف ، ثم أضاف إليه العراق ، فكانت ولايته عشرين سنة . مات بواسط التي أسسها بين الكوفة والبصرة عام 95 هـ . انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام . مرجع سابق ج : 2 ، ص 175 .

(65) محمد بن يوسف الطخيش (ت 1332 هـ) كتبه خارجه من المدينة بعد ترتيبها ويلة خطوطه مصورة ، ص 1 - 6 .

طريقه⁽⁶⁶⁾ شيخه أبي الشعثاء وأبي عبيدة مسلم في تجنب أي احتكاك معاد مع السلطة طيلة تلقيه للدراسة ، إذ أن كل المصادر التي بين يدي الباحث والتي تحدثت عنه لم تشر إلى اضطهاده ، أو إصابته بأذى ، مما جعله يتفرغ إلى تحصيل العلم في شغف ويتوجه إلى أخذ الحكمة من أوعيتها في لفه ، يدعمه حسن الاستعداد والصبر والعزم والتصميم ، حتى صار بذلك علما من أعلام الفكر ، ورائدا من رواد الحديث ، وراوي من رواية السنة ، وعلما من علماء الفقه مما جعل أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهو من أكبر شيوخه بعد أبي الشعثاء يقول عنه : «فقيها وإمامنا وتقينا وأميننا ، وثقتنا»⁽⁶⁷⁾ ... ذلك هو الطالب أبو عمرو الربيع بن حبيب ... فمن هم شيوخه ؟ .

الفصل الثاني من الباب الثاني

شيوخ أبي عمرو الربيع بن حبيب

☆ مقدمة الفصل

☆ ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن جابر بن زيد ولم تصلنا رواياتهم في

مسنده .

☆ تراجم لبعض مشايخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيرا في تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي .

(66) انظر : عوض خليلات . نشأة الحركة الإسلامية . عمان : مطابع دار الشعب ، 1978 م ص 16 وما بعدها .

(67) أ - أبو العباس أحمد بن سعيد الدريجي . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 276 .

ب - سالم بن حمد الحارثي . الطوق الفضي في أصول الإمامية . مرجع سابق ، ص 151 .

شيوخ أبي عمرو الربيع بن حبيب

مقدمة الفصل :

لم يقتصر الإمام أبو عمرو الربيع بن حبيب في تلقيه رواية الحديث والفقه على أمة مشائخ أهل الدعوة بالبصرة ، ولكنه ظل ينتقل بين حلقات الدروس لمشائخ غيرهم من علماء الأمة على عادة من كان قبله ومن عاصره من طلبة العلم : كأبي حنيفة ، ومالك بن أنس الذي قيل عنه : «إنه روى عن تسعائة رجل»⁽¹⁾ .

وفي هذا الفصل سيذكر الباحث أولئك الأشياخ الذين أخذ عنهم الربيع الحديث ولم يرو لهم شيئا في مسنده ، ومن روى عنهم المسند . ويخص أربعة منهم فقط بالترجمة لهم لما كان لهم عليه من تأثير كبير في تكوينه الفكري والاجتماعي والسياسي ، وهؤلاء هم :

- 1 - أبو الشعثاء جابر بن زيد .
- 2 - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة .
- 3 - ضام بن السائب .
- 4 - أبو نوح صالح الدهان .

أولا : شيوخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده

تتلذذ أبو عمرو الربيع بن حبيب على عدد من المشائخ قد ذكرهم أبو العباس أحمد بن سعيد الشافعي في كتابه (السير) فقال : «وسأذكر أشياخا يروي عنهم

(1) مرجع المعين ، شرح رسالة ابن زيدون ، ط . الموسوعات ، 1321 هـ ، ص 187 عن أمين العولي . مالك بن أنس ، دار الكتب الحديثة ، لا . ت . ص 49 .

الربيع ويروون عن جابر لكنهم مجاهيل ما رأيت من عرف بهم ، منهم : يحيى بن أبي قرّة ، وعباس بن الحارث ، وقتادة وسعيد ، وعبد الله بن الحارث ، والوليد ابن يحيى ، وسري بن سالم ، وكعب بن سوار ، وعيسى بن نافع ، والحبيب بن أبي الحبيب ، وعمر بن هرم ، ومجارب بن يزيد ، وأبان بن يزيد ، وابن جريج ، وضام بن يحيى ، وعمر بن أبي قرّة ، وسلام بن مسكين ، وعمار بن حبيب ، وأبو خليل ، وأبو عوانة بن جعفر ، والعباس ، وخداش ، وابن عبد الحميد ، ومحمد بن سلمة ، والقاسم بن الفضل ، وحسان العامري ، وأما جابر بن عماره فن شيوخ أهل الدعوة⁽²⁾ بصري ، وإن عدة أبو يعقوب⁽³⁾ في المجاهيل ، وكذا أبو المهاجر الكوفي ، وإسحاق بن القديس ، وأبو محمد عبد الرحمن بن مسلمة المدنيان ، وعبد السلام بن عبد القدوس رحمهما الله⁽⁴⁾ .

تلك هي قائمة الأشياخ الذين روى عنهم الربيع ورووا عن شيخه أبي الشعثاء ، وقد وصفهم الشافعي بأنهم مجاهيل ما رأى من عرف بهم ، ولعل لأبي العباس الشافعي هذا عذره فيما ذهب إليه من وصف هؤلاء الأشياخ كلهم بالمجاهيل - وإن كان الواقع لا يؤيد ما ذهب إليه بالنسبة لعدد من هؤلاء المذكورين بالقائمة : قتادة وكعب بن سوار ، وعمر بن هرم ومحمد بن سلمة وغيرهم - فهو ما رأى من عرف بهم فيما تناولته يده ، ووقع عليه بصره من المراجع والكتب التي لاشك أنها كانت محدودة جدا في زمانه إلى جانب صعوبة الاتصال بأماكن المخطوطات والمطبوعات التي يمكن أن يجد الباحث فيها بغيته ، والأصعب من هذا وذاك أن أسماء بعض هؤلاء الأشياخ جاءت مجردة من

(2) يقصد بأهل الدعوة : الإباضية إذ كانوا يسبون بذلك قبل أن ينسبوا إلى زعم الحركة السياسي عبد الله بن إياض نقيب أبي الشعثاء جابر بن زيد وإن كان يكبره سنا .

(3) أبو يعقوب : هو يوسف بن إبراهيم بن مباد السمرقاني الوريثاني مرتب مسند أبي عمرو بن حبيب ، فقيه فكري وفيلسوف شاعر ، له مؤلفات عدة من أشهرها النبل والبرهان ، كانت وفاته سنة 570 هـ .

انظر ترجمته : أبو العباس أحمد بن سعيد الدررني (ت 670 هـ) ، طبقات الشافعي في المغرب ، (تحقيق : إبراهيم طلال) ، قسنطينة : مطبعة البحث ، لا . ت . ج : 1 ، ص 491 - 495 .

(4) أبو العباس أحمد بن سعيد الشافعي ، (ت 928 هـ) السير القاطرة مطبعة الأزهار البارونية : لا . ت . ص 121 - 122 .

الدعوة لأبائهم وكنام وألقابهم ولايستطيع أي باحث أن يهتدي إلى حالهم من الجرح والتعديل أو للتعريف بهم مثل : قتادة ، وسعيد ، وأبو خليل والعباس ، وخداش . اللهم إلا إذا كانت للإمام الربيع رجعة إلى الحياة الدنيا فيسأل عنهم ، وهذا مستحيل . ولذلك سيطل هؤلاء مجهولين ما دامت أسماؤهم مجردة ، ولا أحد يدعي التعريف بهم ، واللائمة ستحتج دائما على الشخص الأول الذي سجل هذه الأسماء المجردة .

ثانيا : شيوخ روى عنهم الربيع في مسنده

لم تتضمن تلك القائمة التي وإفانا بها أبو العباس الشافعي صاحب كتاب السير بأسماء أشياخ أبي عمرو الربيع بن حبيب ذكر من روى عنهم الربيع في مسنده ، وقد تعمّد إهمال ذكرهم مكتفيا بذكر أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم لهم حيث قال : «وأما رجال حديث مسند الربيع فقد ذكرهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم ، فلا أتعرض لذكرهم»⁽⁵⁾ .

فإذا كان عل أبي يعقوب هذا كان موجودا - على ما يبدو - زمن الشافعي فهو اليوم غير موجود معنا ، وما أكثر ماجد الباحث للحصول عليه فلم يوفق ، لذلك تحم عليه ذكر أولئك الأشياخ الذين روى عنهم أبو عمرو الربيع بن حبيب في مسنده ، وهم : أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهذان الشخان هما عدة أبي عمرو الربيع بن حبيب في مسنده المتداول بيننا ، وضام بن السائب ، ورواية الربيع عن ضام هذا قد اعتق جمعها - كما يقول السالمي - الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة⁽⁶⁾ في غير هذا المسند المتداول الذي لم يرو فيه الربيع عن ضام غير ثلاثة أحاديث وهي :

(5) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(6) أبو الربيع بن حبيب (ت حوالي 170 هـ) ، الجامع الصحيح مسند الربيع ابن حبيب ، (تصحیح ح عبد الله بن حديد السالمي) بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، 1388 هـ ، ج : 1 ، ص 4 .

1 - حديث في باب ما يجب منه الوضوء وما لا يجب ونصه : (أبو عبيدة عن ضام ابن السائب قال : بلغني عن ابن عباس يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ليس على من مس عجم الذئب وضوء ، ولا على من مس موضع الإستعداد وضوء»⁽⁷⁾ .

2 - حديث في باب ما يجوز من النكاح وما لا يجوز وهو : (قال الربيع قال ضام ابن السائب عن جابر بن زيد عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بخاتله ميونة⁽⁸⁾ بنت الحارث وهو عرم⁽⁹⁾ .

3 - حديث في باب التيفاف والجوار وما ملكت اليتم ونصه : (أبو عبيدة عن ضام بن السائب عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من أوى يتيما لله وقام به احتسابا لله وقع أجره على الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا»⁽¹⁰⁾ .

ومن مشائخ الربيع أيضا : عبد الأعلى بن داود ، ويعجب بن كثير .
ويكن للباحث أن يجعل دليله في اختيار من يترجم لهم من بين هؤلاء الأسياف ماقاله الربيع نفسه عن مشائخه ، فقد جاء في كتاب الطبقات : «وكان الربيع إذا سئل عن مسألة فقل يا أبا عمرو عن سمعت هذه المسألة ؟ فيقول : إنما حفظت الفقه عن ثلاثة : عن أبي عبيدة وأبي نوح ، وضام»⁽¹¹⁾ .

لاشك أن هؤلاء الثلاثة هم الذين لازمهم أبو عمرو أكثر من غيرهم مدة مكنته من استيعاب فقههم والتأثر بأرائهم واتجاهاتهم ، لذلك سيكتفي الباحث بالترجمة لهم بالإضافة إلى ترجمة لشيخهم جميعا وإمام مذهبهم التابعي الكبير ألا وهو :

(7) نفس المصدر ، ص 34 .

(8) قوله : بخاتله ميونة أي عالة ابن عباس أخته أمه لبابة بنت الحارث .

(9) نفس المصدر ، ص 140 .

(10) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 101 .

(11) أ - أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 276 .

ب - سالم بن جود بن شامس السبائي ، إزالة الوضوء عن أتباع أبي الشعثاء ، (نقح : سيده إسماعيل كاشف) القاهرة : مطابع سجل العرب ، ص 41 .

ج - سالم بن حمد الحارثي ، المفرد الضفية في أصول الزبانية ، لبنان وسوريا : دار البقعة ، لا . ت . ص 152 .

أ - أبو الشعثاء جابر بن زيد :

أبو الشعثاء جابر بن زيد الجوفي من ولد عمرو بن اليمجد فرع من قبيلة أزد عمان ، وكني بابنته الشعثاء التي توفيت بعمان ، وقبرها موجود ومعروف إلى الآن ببلدة الفرق القريبة من نزوى العاصمة الثانية لعُمان .

ولد أبو الشعثاء بفرق⁽¹²⁾ زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلا أن سنة ميلاده تختلف فيها ، فقيل : إنه ولد سنة (18 هـ)⁽¹³⁾ ، وقيل سنة (21 هـ)⁽¹⁴⁾ ، وقيل سنة 22 هـ .

تلقى المرحلة الأولى من تعليمه في وطنه عمان ، ثم ارتحل مع أسرته إلى البصرة التي كانت آنذاك أهم مركز فكري في العالم الإسلامي ، واستقر بين أقاربه من الأزد الذين سكنوا أحد أحياء البصرة⁽¹⁵⁾ . ثم ولم تعرف السنة التي قدم فيها البصرة .

وقد تلمذ جابر على كثير من الصحابة وكبار التابعين ، فقد قال أبو الفضل أجيد بن علي بن حجر العسقلاني عنه : «روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعكرمة ، وغيرهم»⁽¹⁶⁾ . وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أخذ عن : أنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعا وغيرهم كثير . فقد أخبر جابر عن نفسه أنه أدرك سبعين بديريا فحوى ما عندهم من العلم إلا البحر⁽¹⁷⁾ ، وكان يقصد بالبحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(12) نفس المصدر ، ص 95 .

(13) أبو الفضل أبو التمام بن إبراهيم البرادي (ت ١٠٠٠) الجواهر المتفقا لها أهل به كتاب الطبقات . القاهرة 1884 م ص 155 .

(14) أ - محمد يوسف طهيش (ت 1332 هـ) شرح عقيدة التوحيد . لا . ب : مطبعة حجرية ، 1326 هـ ص 133 .

ب - علي يحيى مسمر (1980 م) ، الإيضاح في موكب التاريخ . القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي ، 1964 م .

المعلقة الأولى - ص 143 .

(15) عرض خليفات . نشأة الحركة الإباضية . عتات : مطابع دار الشعب 1978 م ص 86-87 .

(16) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ) . تهذيب التهذيب . حيدرآباد : مطبعة عيسى دائرة المعارف النظامية 1335 هـ ج 2 : ص 38 .

(17) لم يكن عبد الله بن عباس من شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاستثناء هنا منتزعه .

قال صاحب الإيضاح في الموكب : «إذا استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من جهد وذكاء أن يجمع علم سبعين بدرية فإنه ليس غريباً أن يكون جمع من علم بقية الصحابة رضوان الله عليهم مالا يبلغه الحصر لكثرة عددهم وسهولة الأخذ عنهم»⁽¹⁸⁾.

وقد ساعده على ذلك كثرة تنقله بين البصرة والمدينة ومكة ، فقد قيل عنه : إنه حج أربعين حجة⁽¹⁹⁾ مما جعله يتصل بمجم غفير من علماء الصحابة وكبار التابعين ، إلا أنه كان أكثر ملازمة لعبد الله بن عباس ، وكان هذا يعده من أعجب تلاميذه وأعلمهم ، حتى أنه يقول لسائليه من أهل البصرة : «كيف تسألوني وفيكم جابر بن زيد أو أبو الشعثاء»⁽²⁰⁾ . وفي رواية أخرى أنه كان يحيل سائليه إلى تلميذه جابر ويقول : «سألو جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه»⁽²¹⁾ . ويقول عنه أيضاً : «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عما في كتاب الله»⁽²²⁾ . وروى البخاري في تاريخه الكبير عن الفضل بن موسى عن ابن عقبة عن الضحاك عن جابر بن زيد قال : «لقيني ابن عمر فقال : يا جابر ! إنك من فقهاء البصرة ، وستستفيق فلا تفتين إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية»⁽²³⁾.

هذا ولم يكتف أبو الشعثاء جابر بن زيد بالرواية الشفهية من أولئك الصحابة العلماء ومن عاصره من كبار التابعين كعكرمة مثلاً ، بل كان يسجل الأحاديث التي سمعها ، والفتاوي التي كان يتلقاها عنهم ، حتى إنه استطاع أن يؤلف كتاباً ضخماً ساه (الديوان) ضمنه تلك الأحاديث التي رواها ، وأودع في صفحاته آراءه

وفتاويه في كثير من أمور العقيدة ، وقضايا مجتمعه ونوازله ، ويقال : إن ديوانه ذلك كان من الضخامة بحيث يعجز عن حمله البعير ، ويقع في عشرة أجزاء كبيرة⁽²⁴⁾ . وكانت نسخة منه في إحدى مكتبات بغداد الكبرى في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد⁽²⁵⁾.

وذكر الوسياني⁽²⁶⁾ أن نسخة من الديوان قد بقيت بعد موت جابر في حوزة خليفته أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي ، ثم توارثها أئمة الإباضية في البصرة⁽²⁷⁾.

وجاء من طريق أبي عمرو عثمان بن خليفة السوي⁽²⁸⁾ أن ديوان جابر كان في حوزة أبي عبيدة ثم في حوزة الربيع بن حبيب ، وبعده صار في حوزة أبي سفيان محبوب ، ثم في حوزة ابنه محمد بن محبوب ومنهم نقل إلى مكة⁽²⁹⁾ . وأظنه من المفيد أن نذكر أن كلمة الديوان هنا تستعمل من قبل المؤرخين الإباضيين بمعنى مجموعة كتب ، وليس كتاباً معيناً⁽³⁰⁾.

ويرى أن أبا الفرج نقاش بن نصر أحد علماء جبل نفوسة في القرن الثالث الهجري استطاع أن يستنسخ نسخة من ديوان جابر في بغداد وأتى به إلى ليبيا ولم يكن أحداً من الاطلاع عليه أو نقله ، لحقه الدفين على الإمام أفلح بن عبد

(24) محمد علي ديور (ت 1981 م) . تاريخ المغرب الكبير . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963 م ، ج 3 : ص 144 .
(25) عمرو خليفة التامي . دراسات في الإباضية . دكتوراه من جامعة كيرج بالماله الإنجليزية . سنة 1971 م ، ص 346 .

(26) الوسياني : هو أبو سليمان بن عبد السلام الوسياني ، ذكره الدرجيني من الطبقة الثانية عشرة . 550 - 600 هـ ، وقال عنه : «أحد شيوخ الحلق الكبار» . الحافظ للسير والأخبار ، المروى عنه التاريخ والأخبار لم تنته حجة أهل الدعوة في كل الأصناف ... : انظر : الدرجيني . مرجع سابق ، ج 2 : ص 513 .
(27) عوض خليفات . المرجع السابق ، نفس الصفحة . عن الوسياني . ورقة 61 .

(28) السوي : ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الحادية عشرة (450 - 500 هـ) وقال عنه «هو في المذهب من أحد الأعلام ، الكائن بمسكن بيانه ، وتورث منطق لسانه دبابي الطلام ، المعني في العلوم لا سيما علم الكلام ، الجاحش المدافع عن كلمة الإسلام» : انظر : الدرجيني . نفس المرجع . ج 2 : ص 483 .
(29) (30) عمرو خليفة التامي . دراسات الإباضية . مرجع سابق ، ص 147 .

(18) علي يحيى معمر . الإباضية في موكب التاريخ . مرجع سابق ، «الملفة الأولى» . ص 144 .
(19) محمد بن يوسف الطليش . شرح عقيدة التوحيد ، مرجع سابق ، ص 134 .
(20) أبو نعم أحمد بن عبد الله الإسهاني . (ت 430 هـ) حلية الأولياء وطلقات الأصفياء . ج 3 : ص 85 - 86 .
(21) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق ، ج 2 : ص 205 .
(22) أبو نعم الإسهاني . نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(23) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) «التاريخ الكبير» (مراقبة : محمد بن عبد المعيد خان) . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1977 م ، ج 1 - 2 : ص 204 .

أهل الدعوة قد أخذهُ عبيد الله بن زياد وجلده ليدل على أحد المسلمين (الإباضية) فلم يفعل وقال جابر بن زيد : «كنت قريباً منه ، وماكنت أنتظر إلا أن يقول : هذا هو فعصبه الله»⁽³⁹⁾ .

وهناك بعض روايات⁽⁴⁰⁾ تجزم على أن أبا بلال مرداس بن جدير لم يخرج كزعيم للشراة زمن ابن زياد إلا بمشورة أبي الشعثاء جابر بن زيد وموافقة له ، وهذا مما يؤكد تولي جابر ابن زيد تنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية) منذ ذلك الحين⁽⁴¹⁾ .

ولما كان أبو الشعثاء قد وظّف نفسه لنشر تلك المبادئ التي نادى بها سلفه من الذين قتلوا في النهروان والنخيلة وغيرها من المواطن ، والتي من بينها دعوة المسلمين للرجوع إلى شورية الخلافة ، ومناهضة الحكام المتجبرين الذين حولوا الإمامة إلى ملك كسروي عضوض ، واعتبار هذه الخلافة أهم مرافق (مؤسسات) الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وتطبيق أحكام الكتاب العزيز ، وهي هذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثي ، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أولون ، وإلّا يجب أن يشترط فيها الكفاية المطلقة ، الدينية ، والخلقية ، والعملية والعقلية . فإذا تساوت هذه الكفايات في عدد من الأشخاص أمكن أن تجعل الهاشمية أو القرشية أو العروية من أسباب المفاضلة ، أو من وسائل الترجيح⁽⁴²⁾ .

لما كان جابر بن زيد وظف نفسه لنشر تلك المبادئ فقد انتهج أسلوباً يمكنه من تحقيقها تمثّل في أربعة خطوط رئيسية وهي :-

1 - اجتناب أي احتكاك أو صدام معاد مع الحكام الأمويين ، والإبقاء على علاقة حسنة معهم ، مما جعله لا يتعرض لأي أذى من قبل ابن زياد - وبالرغم

من أن بعض أعضائه لقي عنتاً كبيراً منه ، وكانت علاقته مع الحجاج بن يوسف في البداية وذية بفضل مساعي كاتبه يزيد بن مسلم الذي كان صديقاً حميماً لجابر ، فقد استطاع هذا أن يجلبه إليه ، ويدراً عنه شره ، ويخصص له راتباً شهرياً مناسباً ، كما عرض عليه منصب القضاء ، إلا أنه رفض ذلك بحجة عدم القدرة على تحمل أعباء هذا المنصب الخطير ، وقال : «إني ضعيف» ولما سأله الحجاج عن سبب ضعفه ؟ أجاب : يقع بين المرأة وخادمها شرفاً أحسن أن أصلح بينهما . قال الحجاج : إن هذا هو الضعف⁽⁴³⁾ .

2 - عدم اقتصار دعوته عن أتباعه في البصرة ومن كان موجوداً بها ، بل تعدتها إلى الأمصار الإسلامية الأخرى ، حيث كان يبعث بالدعاة إلى مختلف المناطق ، مما جعله يكسب عدداً من الأتباع من تولاها - فيما بعد - مراكز المسؤولية⁽⁴⁴⁾ دون علم السلطات بمعتقدهم ، كالنعمان بن مسلمة الذي كان والياً في بعض مناطق خراسان ، ويزيد بن يسار الذي عين عاملاً للأمويين على عمان ، فأرسل إلى جابر يستشير في ذلك ويطلب نصائحه وإرشاداته .

3 - احتضان مدرسته لكل من يقبل على دروسه من الطلبة سواء أكانوا أعضاء في الحركة أم لم يكونوا⁽⁴⁵⁾ ، وبذلك نجد قد تلمذ عليه كثير من علماء الأمة الذين ليسوا من أهل الدعوة : كقتادة بن دعامة السدوسي ، وعمرو بن دينار ، وأيوب السختياني ويعلى بن مسلم ، وعمرو بن هرم وغيرهم كثير ، وذلك ليؤمّر السلطات أنه لا يعمل لتوجيه فئة معينة إلى غايتها .

4 - حرصه الشديد على سرية التنظيم ، وكتان أسماء أفراد المنظمة من أن تعرف لدى الحكام ، لذلك اتخذ موقفاً صارماً وصلباً إزاء كل من دلّ على أتباعه ، أو أفشى سرهم ، كما فعل (بخردلة) . فقد جاء في كتاب شرح عقيدة التوحيد للشيوخ محمد بن يوسف طغيش : «أتى شاب أبا الشعثاء جابراً فقال : أي

(39) أبو العباس أحمد بن سعيد الشافعي ، مرجع سابق ، ص 93 .

(40) عوض غلبات - نفس المرجع ، ص 92 .

(41) عوض غلبات - نفس المرجع ، ص 92 .

(42) راجع : علي بن يحيى معمر - الإباضية في موكب التاريخ - مرجع سابق - الحلقة الأولى ، ص 63 .

(43) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرديجي - مرجع سابق ، ج 2 : ص 211 .

(44) عمرو خليفة النامي - دراسات في الإباضية - رسالة دكتوراه باللغة الإنجليزية - فصل جابر بن زيد .

(45) نفس المصدر - نفس الفصل .

لعروة بن أدية التميمي أخ مرداس بن أدية⁽⁵⁴⁾ . وكفي بابتنه «التي كان لها آثار وأخبار فيما يتعلق بالنساء»⁽⁵⁵⁾ .

ولد بالبصرة إلا أنه لم تعرف سنة ميلاده ، وقد ذكره الدرجيني أنه من علماء الطبقة الثالثة التي حدد فترتها من (100 - 150 هـ)⁽⁵⁶⁾ إلا أن هناك رواية تثبت وجوده عام 58 هـ⁽⁵⁷⁾ زمن معاوية بن أبي سفيان . وذكر السالمي أن أبا عبيدة أدرك من أدركه جابر بن زيد من الصحابة ، وبذلك تكون روايته عن جابر رواية تابعي عن تابعي .

ب) شيوخه :

يعتبر أبو عبيدة من أبرز وأعظم من خرجتهم مدرسة أبي الشعثاء جابر بن زيد إلى جانب أنه - كما ذكر السالمي - قد أدرك من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدركه شيخه أبو الشعثاء .

فقد روى الحديث عن جابر بن عبد الله (ت 78 هـ) وأبي هريرة (ت 57 هـ) وعبد الله بن عباس (ت 68 هـ) وأبي سعيد الخدري (ت 74 هـ) وعائشة أم

== ج - محمد الحفيظ . شرح العقيدة . مرجع سابق ، ص 142 - 149 .

د - عبد الله بن حيد السالمي . شرح مسند الربيع : مطبعة الأزهار البارونية سنة (1327 هـ) : ج 3 ، ص 6 .

هـ - أبو الربيع سليمان الباروني (ت 1962 م) مختصر تاريخ الإياضية ط 2 : تونس . المطبعة السلفية . لا ت ، ص 25 .

و - علي يحيى مصر . الإياضية في موكب التاريخ . مرجع سابق . الحلقة الأولى . ص 153 - 159 .

ز - محمد علي دبور ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 150 - 200 .

ح - سالم السبياني . إزالة الوغاة عن إتيان أبي الشعثاء . مرجع سابق ، ص 33 - 39 .

ط - سالم الحارثي . العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 139 - 148 .

ي - موسى خليفات . نشأة الحركة الإياضية ، مرجع سابق ص 103 - 115 .

(54) موسى خليفات . المرجع نفسه ، ص 102 .

(55) سالم الحارثي . العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 148 .

(56) الدرجيني . نفس المرجع السابق م ص 238 .

(57) سالم الحارثي . نفس المرجع ص 139 .

المؤمنين (ت 57 وقيل 58 هـ) وأنس بن مالك (ت 93 هـ) وصحار بن العباس العبيدي ، وجعفر بن السكاك العبيدي ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد (ت 93 هـ) ، ويقال : إنه أخذ عن ابن السكاك وصحار بن العباس العبيدي أكثر مما أخذ عن جابر⁽⁵⁸⁾ .

وكان أبو عبيدة مسلم يقول : «من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شيء من الدين ، وقد من الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن سلام وغيرهم»⁽⁵⁹⁾ ، وهم الراسخون في العلم ، وعلى آثارهم اقتفينا ، ويقولهم اهتدينا ، وعلى سيرتهم اعتدنا ، وعلى منهاجهم سلطنا»⁽⁶⁰⁾ .

ويقول : «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال ، فلولاً أن الله تعالى من علينا بجابر بن زيد رضي الله عنه لضلالتنا»⁽⁶¹⁾ .

ج) مكانته العلمية :

لقد آلت لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإمامة الروحية والرياسة العلمية لأهل الدعوة (الإياضية) بعد وفاة شيخه أبي الشعثاء جابر بن زيد ، عقب خروجه من السجن بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 95 هـ إذ كان رحمه الله محدثاً ثقة ، وفقهاً ضليماً ، ومتمكلاً بارعاً ، إلى جانب ذلك كله كانت له كياسة ، وحسن تدبير وسياسة مع تواضع جم ، وعمل صالح دؤوب في سبيل

(58) انظر : أ) محمد بن يوسف طيفيش . شرح العقيدة . مرجع سابق ، ص 142 .

ب) عبد الله بن حيد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع . مصدر سابق ن ج 7 : ص 6 . (59) يظهر أن رواية أبي عبيدة مسلم عن عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ) ، وعبد الله بن سلام (ت 43 هـ) رضي الله عنهما ليست رواية مباشرة كما هو الحال عن ابن عباس وغيره من ذكر من الصحابة عن تأخرت وفاتهم ، وإنما قد تكون عن طريق بعض شيوخه كأبي الشعثاء أو غيره . لأنه لم يولد بعد - في اعتقاد الباحث - عند وفاة ابن مسعود ، وإن وجد عند وفاة ابن سلام فهو صغير جداً لم يصل درجة الثقل بعد .

(60) سالم بن حيد الحارثي . العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 140 .

(61) سالم بن حيد الحارثي . العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 140 .

الله - قال عنه أبو العباس الدرجيني: «...كبير فلامع جابر» ومن حُصِنَتْ
أخباره والسَّخِيرُ، تعلم العلوم وعلمها، ورَتَّبَ الأحداث وأحكامها، وحافظ
في حقِّه على الدين حتى ظهر، إلى أن قال: وكان عالماً مع الزُّهد في الدين
والتواضع مع نيل الدرجات العليا، والاعتراف بضيق الباع على ما عليه من
الأنواع. ^(١٦٦) فليست له من ذلك ما ينبغي أن يذكره، يا ربك عبيدك يا ربك
سبحه وقال أيضاً في حقِّه البدر الشَّامخي: «...تعلم العلوم وعلمها، ورَتَّبَ روايات
الحديث وأحكامها، وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه، ويترجم لآلِماع
ما يقرع الأنواع من زواجر وعظه، وقد اعترف له بجور قصب الشَّيْخ في
العلوم» ^(١٦٧)

إجابة عن سؤال الشيخ إسماعيل بن سلمان الصغري وعن بحيرته من أصحابه
حيث جاء في مقدمتها: ١٧٤ ع فتقوله بعد ما قلنا لا إله غير الله
«أتاني كتابك تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتك، وبالتلايف
أمركم في كثرة من يحضركم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما كنتم بهم. وأنكم
بأكثر ممن كان قبلهم عن من قبلكم من سلفكم، فاقنوا بهم. يهون عليكم كثرتهم..
نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم، وأن يكفلكم وإياكم بأسمه، وأن يجعل
إياهم ولكم والجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشقي صدور قوم مؤمنين، ويذهب
غضب قلوبهم. فلعلمي لقد أسرتني ما انتهتم إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يغف
عنا، وغير أنا لم نظن الذي كتبتم به إلي، والله يستم لكم الخير كله يعونه
وتوفيقه» ١٧٥ ع. وفيه جواب ذلك ١٧٦ ع. فقلنا: ما باله لم يغف لنا؟

اعلموا - رحمكم الله - أنه يجمع أهل البلد في الإقليم الذي هم فيه ، فيؤكلوا
لعشرهم رجالاً آمناً من قبلهم في كل منزل فينقله الناس إليهم ، حتى إذا اجتمع من
آخره ، نظروا فيه خواص من أهل الفقه والفضل والمعرفة في الدين ، ويخبرون
رأيهم فيه على ما أمر الله به من تفريقه لمن أمر به بإعطائه بلا حيف ولا ميل ،
ولا آفة قريب دون بعيد ، ولا لاجترار منافع الدنيا ، ولا لدفع مضرتها ، فما رآه

المسلمون حسنا فهو كذلك إن شاء الله . وما رأوه شيئا فهو سيئا ، وإذا حضر تفريقه حكم أولئك الرهط لم يحضر عند تفريقه إلا الأمين ، ولا يحضر عند تفريقه جماعة لا من يأخذ ، ولا من يعطي ، فيفرق عشر كل قرية في فقرائهم ، ومن كان في يده من الأمانة ما يغني به أهل قرنته مال بفضله على أقرب الفقراء إليه ، وإن كان أقرب الفقراء إليه من يملكه ليس لهم عشر ، وفي يده عشر ليس فيه ما يغني به فقراؤه ، نظره فيه لم إذا كان أهل القرى متجاورين يسمع بعضهم أذان بعض ونحو هذا ، وإذا تباعدت القرى مالوا به على فقرائهم حتى ينوم ، ليس لأحد معهم شركة إلا ابن السبيل إذا حضر ، والغارم ، وفي الرقاب ما حضروا ، وليس لأحد فيها سهم إلا أن تقسم على عدد الثانية إما ذلك من الله على الأمر بالعطاء لهم ، والدلالة لمن يعطي ، لأن ذلك سهم مفروض من عدد الثانية لكل صنف لمن حضر من هؤلاء أعطى له ، ومن غاب فلا شيء له ، فيعاد بفضل ذلك على من حضر حتى يغنوا عامتهم . ألا ترى أن العاملين عليها ليس ذلك السهم المسمى لهم على القسم وإن كان فيه أكثر من رزقهم وعلف دوابهم خرزوه فهذا ما لا يجوز ، ولا يتقدم أحد بذلك من السلف ولا الأئمة .

ليس للعاملين إلا نفقتهم وعلف دوابهم ما داموا سعاة ، فإذا فرغوا من جميع ذلك لم ينالوا منه شيئا ، وأدوا ما قبضوا إلى بيت مال المسلمين . وأما الوالي إذا كان للمسلمين فليس له من الحقوق إلا نفقته على أهله ونفسه كنفقته قبل أن يلي .

وأفضل الزكاة كلها تصرف إلى الفقراء الذين أنت بين أظهرهم ، وهؤلاء الذين سميوا من قبل ، إن الخير كله في الصدقات للمصدق أن يأخذ من خواص أموالهم فيرد على فقرائهم ، وليس للسعاة أن يأخذوا الثمن على سهم الأجراء من قبل أن يفرض لم يقع من الله على القسم . ألا ترى أن الخبر جاء عن عمر - وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حضور - كان يجعل الصدقة في الصنف الواحد من سعى الله له ؟ وإغا للسعاة أجر مثلهم على التقيط وللقوم بالعدل . ألا ترى أنه ليس للعاملين خلق هو أصبر من الإمام ، وأنه ليس للإمام تناول من فيئهم شيئا ، وإخراجهم إلى القوم بالمعروف .

وقد جاء الخبر عن الصديق رحمة الله عليه لما استخلف اجتمع المسلمون فقالوا : افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعيله . فقالوا : بردتان إذا أخلقنا وضعهما ، وأخذ مكانهما غيرهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف ، فقال أبو بكر : رضيت . ولم يرضوا عليه كسأ يشتل به شملة ثوبه ، ضا بذلك عليه ، ولكنهم أرادوا قطع الاحتجاج أن يكون نصيب للإمام من بيت مال المسلمين فضلة يتأثر بها على المسلمين .

عن عمر رحمة الله عليه ، روى ذلك الأحنف بن قيس ، وعمر وقتئذ أمير المؤمنين فسألوا عما يحل من الفئ ؟ فقال عمر : قوت عمر وأهله ، قوت رجل من قريش رحلة الشتاء والصيف وما أحج به وأعتر وسهم في الفئ .

وقول عمر : أحج وأعتر إنما كان ذلك من قبل أن المسلمين يردون الموسم من الأفاق ، فصار إليه يستع من حجتهم ، ويسألهم عن ولائهم ليقطع عنهم مؤنة العناء في السير إليه ، ولولا ذلك لم يكن ذلك ، وجاء عن عمر أنه كان يقول : «أيها الناس ! ليس أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا ما ملكت أيما نكم» ، وجاء عن الصديق أنه كان يستعج بالناسخ⁽⁶⁷⁾ والمشملة⁽⁶⁸⁾ مثل ذلك . وجاء عنه عند وفاته أنه رد الناسخ الذي في يده . والمشملة ، هي الحبشة⁽⁶⁹⁾ واللحوق⁽⁷⁰⁾ . وجاء عن عمر مثل ذلك أنه أصاب من فئ المسلمين مالا استعج به في حوائجه ، فلما حضرته الوفاة أمر عبد الله ابنه وكسر فيه ماله ، وباع فيه رباعه حتى جمعه وأداه إلى بيت مال المسلمين ، وعبد الله بن أرقم يومئذ على بيت مال المسلمين . وجاء عن الصديق رحمة الله عليه أنه قدم عليه مال احتله من البحرين

(67) الناسخ : البير ، أو الثور . أو الحمار الذي يستنى عليه .

(68) المشملة : الناقة العلوب التي جعل لها مثالا .

(69) الحبشة : هنا ما اجتمع له من المشملة .

(70) اللحوق : الناقة العلوب - انظر معاني هذه الكلمات في :

(أ) مجال الدين بن مكرم الأنصاري ، ابن منظور (711 هـ) . لسان العرب .

(ب) الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب الفاموس المحيط ، ط : 3 الدار العربية الكتاب . 1990 م مادة : نضح ونخل

وحش . ولفح .

عربون عبيد كان يتقى لقاء أبي عبيدة ويقول : «لو قطعته قطعت الإياضية . قال : فبينما هو في المسجد الحرام ومعه أصحابه . إذ أقبل أبو عبيدة ومعه أصحابه ، فقيل لأوصل : هذا أبو عبيدة في الطواف . قال : فقام إليه وأصل فلقبه وقال : أنت أبو عبيدة ؟ قال : نعم قال : أنت الذي بلغني أنك تقول : إن الله يعذب على القدر ! فقال أبو عبيدة : ما هكذا قلت ! لكن قلت : إن الله يعذب على المقدور فقال أبو عبيدة : أو أنت وأصل بن عطاء ؟ قال : نعم . قال : أنت الذي بلغني أنك تقول : إن الله يعصى بالاستكراه ؟ قال : فنكس وأصل رأسه فلم يجب بشيء . ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب وأصل على وأصل يلومونه يقولون : كنت تتقى لقاء أبي عبيدة فسألته فخرج ، وسألك فلم تجب !! فقال وأصل : ويحك ! بنيت بناء منذ أربعين⁽⁷³⁾ سنة ، فهدمه وأنا قائم . فلم أقعد ولم أبرح مكاني⁽⁷⁴⁾ .

(د) تلاميذه :

استطاع أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة - رغم الرقابة الشديدة المفروضة عليه من قبل عمال بني أمية بالبصرة ومن عمال العباسيين بعدهم⁽⁷⁵⁾ أن يكون مدرسة سرية ظاهرها معمل قفاف ، وحقيقتها مصنع عقول وأفكار . قال صاحب الإياضية في موكب التاريخ : «ولما كانت الرقابة الشديدة على أبي عبيدة لاتنفك عن التجسس عنه ، وكانت أوامر الظلمة تنمعه من التدريس ، فقد اتخذ مدرسته في سرداب خفي طويل ، ووضع على مدخله سلاسل من حديد ، فإذا سمع صلتها هو وطلابه علموا أن غريباً يريد الدخول إليهم ، فأوقفوا الدرس ،

(73) أ - علي بن يحيى عمر - مرجع سابق ، ص 68 .

ب - عبد الله بن يحيى الباري (ت 1332 هـ) سلم العامة والبندين (نقح : سليمان عبد الله الباري) . ص 26 بالهامش .

(74) أبو العباس الدرجيني - مرجع سابق ، ج 2 ، ص 246 .

(75) عاصر أبو عبيدة مسلم ثمانية من ملوك الأمويين : عبد الملك ، والوليد ، وسليمان ، ومهدي بن عبد العزيز ، ويحيى بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ومروان بن محمد ، ومن العباسيين : السفاح ، وأبو جعفر .

وأشغلوا بصنع القفاف ، فلا يشته الزائر في أمرهم ، فإذا غادروهم وأمنوا عيون الظلمة ، رجعوا إلى ما كانوا عليه وانتقلوا من إدارة معمل لإنتاج القفاف ، إلى إدارة معمل لإنتاج القلوب والعقول والعزائم⁽⁷⁶⁾ .

من هذه المدرسة تخرج الربيع بن حبيب محدثنا ، وحملة العلم الخمسة إلى المغرب وهم : أبو الخطاب⁽⁷⁷⁾ عبد الأعلى بن السمع المعافري مؤسس الإمامة الإياضية بطرابلس سنة 140 هـ وعبد الرحمن⁽⁷⁸⁾ بن رستم الأمام الأول للدولة الرستمية بـتاهرت سنة 160 هـ وإسماعيل⁽⁷⁹⁾ بن درار الغدامسي ، وعاصم⁽⁸⁰⁾ السدراتي وأبو داود⁽⁸¹⁾ القليلي ، كما تخرج منها أيضاً : عبد الله⁽⁸²⁾ بن يحيى طالب الحق مؤسس الإمامة الإياضية في حضر موت واليمن ، والذي استولى بعد ذلك على مكة والمدينة سنة 129 هـ وأبو حمزة⁽⁸³⁾ المختار بن عوف قائد جيش طالب الحق ، وغير هؤلاء كثير ممن أسهموا في نشر العلم والإصلاح الاجتماعي ، والدعوة إلى سبيل المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله .

(76) علي بن يحيى معمر - المرجع السابق ، ص 157 .

(77) انظر ترجمته : أ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر - مرجع سابق ، ص 37 - 46 .

ب - الدرجيني - مرجع سابق ، ج 1 ، ص 32 - 34 .

ج - الشافعي - مرجع سابق ، ص 123 - 132 .

د - علي بن يحيى معمر - المرجع نفسه ، الحلقة الثالثة ، ص 93 - 96 .

(78) انظر : أ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر - نفس المرجع ، ص 53 - 55 .

ب - الدرجيني - نفس المرجع م ص 40 - 45 .

ج - الشافعي - نفس المرجع ، ص 138 - 141 .

د - سليمان عبد الله الباري - مرجع سابق ، ص 84 - 100 .

هـ - علي بن يحيى معمر - نفس المرجع ، ص 37 - 43 .

(79) انظر : أ - الشافعي - نفس المرجع ، ص 141 - 142 .

ب - علي معمر نفس المرجع ، الحلقة الثانية م ص 13 - 16 .

(80) انظر ترجمته : الشافعي - نفس المرجع ، ص 147 .

(81) الشافعي - نفس المرجع ، ص 144 .

(82) الدرجيني - نفس المرجع ، ص 258 - 260 .

(83) أ - الدرجيني - نفس المرجع ، ص 266 - 269 .

ب - الشافعي - نفس المرجع ، ص 99 - 101 .

٥ وفاة أبي عبيدة :

انتقل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى جوار ربه بعد أن أمضى عمرا حافلا بجلال الأعمال في جوانب الحياة المختلفة : العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وكانت وفاته على ما ذكره بعض المحققين من المؤرخين المحدثين⁽⁸⁴⁾ حوالي سنة 150 هـ زمن خلافة أبي جعفر المنصور الذي قال عنه : «أوقد مات ؟! إنا لله وإننا إليه راجعون . ذهبت الإباضية»⁽⁸⁵⁾ .

3 - ضمام بن السائب⁽⁸⁶⁾ :

ضمام بن السائب الندبي نسبة إلى بني ندب بن شمس من أزد عمان الذين يقطنون وادي العقّ المفضي إلى الشرقية من أعلاه⁽⁸⁷⁾ . أحد الأعلام الذين خرجتهم مدرسة أبي الشعثاء جابر بن زيد ، ذكره الدرجيني في طبقاته من علماء الطبقة الثالثة (100 - 150) أي من تابعي التابعين ، وقال عنه : «ومنهج - أي من علماء الطبقة الثالثة - ضمام بن السائب رحمه الله كهف اليتامى والأرامل ، المفزوع إليه في النوازل ، فطال ما أوصى عليه أبو عبيدة في الفتاوى والمعضلات ، فانكشفت بأجوبته ظلم المشكلات ، وكان ذا رفق وتلطف ، واجتهاد وتقشف»⁽⁸⁸⁾ .

وقال في حقه أبو العباس أحمد بن سعيد الشاذلي في كتابه السير : «ضمام بن السائب من أهل العلم والتحقيق ، والكاشف أمر المعضلات عند حصر ذوي الضيق ، أخذ عن جابر وغيره ، وكان ما أخذ عن جابر أكثر مما أخذ عنه أبو

عبيدة»⁽⁸⁹⁾ ، وذكر أيضا : أنه كان راوية جابر بن زيد⁽⁹⁰⁾ ، ونقل أبو سفيان⁽⁹¹⁾ محبوب بن الرحيل المؤرخ العامي الثقة أن أبا الحر⁽⁹²⁾ علي بن الحصين العبدي قال لأبي عبيدة مسلم أف للناس بمكة خمسة أيام بعد الموسم فأبى ، فقيل له عليك بضمام . فقال : أو عنده من العلم ما يكتفي به الناس ؟ قالوا : وفوق ذلك . فأتاه . فأقام للناس ، وكثر عليه السؤال وكان جوابه : سألت جابرا ، وسأل جابر ، وسمعت جابرا ، وقال جابر⁽⁹³⁾ .

وكان ضمام ممن تناولته يد الحجاج بن يوسف الثقفي بالسجن والتعذيب لنشاطه العلمي والسياسي . قال أبو سفيان : «لما سجن الحجاج أبا عبيدة وضاما منع أن يصل لها شيء ، وكانا يقصان شاريهما بأسنانهما ، وكان أحدهما لينفض لحيته فيستاقط منها القمل . وكان يطعم أهل السجن خبز الشعير وملح الجريش ، ويعمد إلى مراكن»⁽⁹⁴⁾ . عظام فيسكب فيها الباء ، ويطرح فيها الملح ثم يضرب حتى تخرج رغوته فن شرب أولا كان أمثل قليلا ، ومن شرب أخرا كان العذاب ، وربما ضاق ضمام فيقول أبو عبيدة : على من تضيق ؟! ولم يخرجها من السجن حتى مات الحجاج⁽⁹⁵⁾ .

(89) الشاذلي . نفس المرجع ، ص 86 .

(90) نفس المرجع ، ص 88 .

(91) أنظر ترجمة :

(أ) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 278 - 289 .

(ب) الشاذلي . نفس المرجع ، ص 117 - 190 .

(92) أبو الحر : هو علي بن الحصين العبدي من علماء الإباضية وفقهاءهم ، أقام بمكة . وقد ناله من مروان بن محمد الطرد الأموي عنت واضطهاد ، وكان غنيا موسرا يبدل الأموال للفقراء والتساكين في الدعوة للحركة الإباضية ، قتل مع قائد طالب الحق المختار بن عوف الشاذلي يوم مكة .

(93) راجعا الدرجيني . نفس المرجع ، ص 262 وما بعدها .

(ب) الشاذلي . نفس المرجع ، ص 100 - 102 .

(94) الشاذلي . السير . المرجع السابق ، ص 80 .

(95) مراكن : جمع مركن . جاء في اللسان : والمركن بالكسر الإجماع التي تغسل فيها الثياب ومنه حديث حنة أنها كانت تجلس في مركن لأختها زينب وهي مستحاضة . راجع : حرف التثنية فصل الرواء ، مادة : رك ن .

(96) أ - الشاذلي . نفس المرجع ، ص 87 .

(ب) - الدرجيني . مرجع سابق ، ص 247 .

(84) أنظر : أطوار إسماعيل بن موسى الجبالي (ت 751 هـ) . قواعد الإسلام ، (تحقيق : بكلي عبد الرحمن بن عمر) فرداية . المطبعة الميرية 1976 م ج 1 ، ص 88 بالهامش .

(85) نفس المرجع . نفس الصفحة بالهامش .

(86) راجع ترجمته ، (أ) الدرجيني . مرجع سابق ، ج 2 م ص 246 - 248 .

(ب) الشاذلي . مرجع سابق ، ص 86 - 88 .

(87) سالم بن حنوة السائي . إسماعيل الأعيان في أنساب أهل عمان . بيروت : مطابع الكتب الإسلامية ، 1384 هـ ، ص 130 .

(88) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 246 - 247 .

وقد تخرج على يد ضام كثير من علماء أهل الدعوة (الإباضية) ، وكان منهم أبو عمرو الربيع بن حبيب محدثنا . قال شارح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب : «وإن للربيع زهاء خمسة وعشرين شيخاً أخذ عن جميعهم ، وأكثر ما أخذ عن ضام بن السائب البصري العماني عن جابر .. إلى أن يقول : وروايته عن ضام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة»⁽⁹⁶⁾ . عاش ما عاش رحمه الله متعلماً ومعلماً ومفتياً حتى لاقى ربّه في عام غير معروف .

4 - أبو نوح الدهان :

هو صالح بن نوح الدهان من أهل البصرة ، ومزله في طي ، لم يعثر الباحث على تاريخ ميلاده ، وقد عده الدرجيني في طبقاته من علماء الطبقة الثالثة (100 - 150 هـ) ، وقال عنه : «شيخ التحقيق ، وأستاذ أهل الطريق ، وناهج طرق الصالحين ، وناقض دعاوي الزائغين الجاهلين ، أخذ عنه الحديث والفروع ، وكان ذا خشية لله وخضوع»⁽⁹⁷⁾ .

وما قاله الدرجيني تتبين لنا مكانة أبي نوح صالح العلمية والاجتماعية والروحية . فقد كان محققاً ثقة ، وأستاذاً كبيراً لكثير من طلبة العلم الإباضيين ، وداعية إلى سبيل المؤمنين الصادقين الصالحين ، ومقارعا ومناظراً لأولئك المتبعدين الجاهلين عن المحجة البيضاء التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلها كنهارها ، كما أنه كان - رحمه الله - محدثاً وفقياً ، يحلل كل تلك الصفات فيه خشية لله تعالى ، وتواضع في غير ذلة وهوان .

أخذ العلم عن كبار التابعين ، وأكثر ما أخذ عن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وكان شديد الملازمة لدروسه ، وإذا ما فاتته مجلس من مجالسه ، سأل من حضره

للاستفادة ، فمن ذلك ما رواه أبو سفيان إذ قال : «دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب ، وكانت من المسلمات (أي الإباضيات) فقال : كأني أرى مجلس رجل (قالت : الآن خرج من عندي (الأحول) .. تعني جابراً - قال أبو سفيان : «وكان يغضب بإحدى عينيه من غير علة ، قال : أي أبو نوح : فهل ظفرت منه بشيء ؟ قالت : نعم سألته عن ثلاثة أشياء كن في نفسي ، سألته عن لباس الخفين ؟ قال : إن كنت تلبسينها من حرّ الأرض ويردها فلا بأس ، فلا تبالين وإن انكشفا ، وإن لبستها لغير ذلك فلا تبديها . وسألته عن حلي عندي ليتية يقوم بمال فيستعارمني ؟ قال : إن أعرته فاضني فإنك ضامنة . وعن عبد كان من أنفس مال عندي وأوثقة ، فأعتقته ثم استخلفت على ضيعتي ؟ قال : لا . أخرجه من ذلك ، ولا تدخله في شيء من منافعك»⁽⁹⁸⁾ .

وقد جمع أبو نوح صالح إلى العلم الغزير المرونة في الفتوى وعدم التشدد ، فهو تقيض زميله أبي عبيدة مسلم الذي كان يميل إلى التشديد ، فمن ذلك ما حكاه المليح أن حسناً قال : «دخلت أنا وعبد الملك⁽⁹⁹⁾ الطويل على أبي عبيدة وقتلنا : ياباً عبيدة ! ما تقول في رجل دخل على امرأة فأدخل يده من تحت ثيابها فنهضت المرأة فأكرت ذلك إنكار الحرّة ، أله أن يتزوجها ؟ قال : لا . قال فبينما نحن عنده إذ دخل أبو نوح صالح الدهان ، وقتلنا من يسأله ؟ قال الغض بن جندب : أنا أسأله ، فسأله الفضل فقال : نعم . له أن يتزوجها ويعطيها ماله إن شاء . فقال له أبو عبيدة : إنها الفروج ياباً نوح (قال : صدقت . ثم قال أبو نوح : يامعشر الفتيان أله أنكم ، أو قال : إني أنهماكم أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضراً»⁽¹⁰⁰⁾ .

هذا ، ويقدر ما كان عليه أبو نوح من مرونة في الفتيا وتشدد مع عمال

(96) رابع : أ - الدرجيني . نفس المرجع ، ص 255 .

ب - الشافعي ، السير . مرجع سابق ، ص 59 .

(99) عبد الملك الطويل ، أحد الذين ساندوا حركة الإباضية ، وكان منزله موضع مجالسهم الخفية .

(100) الدرجيني . مرجع سابق ، ص 239 .

(96) عبد الله بن حيد السامي . الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، (ترتيب : أي يعقوب الوارجلاني) . مرجع

سابق ، ص 2 .

(97) الدرجيني . مرجع سابق ، ص 254 - 255 .

الأمويين في البصرة ودعوة إلى الثورة عليهم ، كان احتياط أي عبدة فيما يتعلق بالحلال والحرام ومعارضته للثورة ضد عمال السلطة المركزية .

يقول الدكتور عوض خليفات في كتابه نشأة الإباضية : « فقد تم الإباضية في البصرة على الحكم الأموي بعد قمع ثورة يزيد بن المهلب ، وضاقوا ذرعا بسياسة ولاية البصرة تجاه إنصارهم من الأزدي ، وارتفعت أصوات بعض مشائخهم بوجوب الانتقام ، وإعلان الثورة ومن بين هؤلاء ، الشيخ الإباضي أبو نوح صالح الدهان ، وبعض أفراد الأزدي الذين نجوا من الموت والهلاك ومن بينهم : عاتكة أخت يزيد بن المهلب المعروفة بحماسها الشديد للمذهب الإباضي ، وتفانيها في خدمته ، ولكن الإمام أبا عبدة كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لإعلان الثورة المسلحة ، ورفض بشدة آراء المنادين بها ، وحيداً أن يقوم أتباعه بثورتهم في أماكن بعيدة عن متناول السلطة المركزية»⁽¹⁰¹⁾ .

وقد شارك أبو نوح بجهوده في نشر العلم وتعليم مريديه ، وتخرج على يده علماء خدموا الإسلام والمسلمين ، ومنهم محدثنا أبو عمرو الربيع بن حبيب فقد قال : « حفظت الفقه عن ثلاثة : أبي عبدة ، وضام ، وأبي نوح»⁽¹⁰²⁾ .

ولم يهتد الباحث إلى متى قدم على ربه أبو نوح صالح بعد جهاده الطويل في سبيله ، شأنه شأن ضام وغيرها من المشائخ .

(101) عوض خليفات ، مرجع سابق ، ص 111 - 112 .

(102) رابع : أ) المرجعي . نفس المرجع م ص 276 .

ب) سالم بن جود شامس السبائي السبائي ، إزالة الوغاة عن أتباع أبي الشعثاء ، مرجع سابق ، ص 41 .

ج) سالم حد الحارثي ، العقود الغنية ، مرجع سابق ، ص 152 .

الفصل الثالث - من الباب الثاني

تلاميذ الربيع بن حبيب وانتاجه العلمي

✧ مقدمة الفصل .

✧ تراجم لبعض من حمل العلم عن الربيع من أهل عمان وحضرموت .

✧ أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية عن مدرسة الربيع بالبصرة .

✧ إنتاج الربيع العلمي ، ومكانته الاجتماعية والعلمية .

تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي

مقدمة الفصل :

لم يكن أبو عمرو الربيع بن حبيب أقل حظاً من شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فبين تخرج على يديه من العلماء الذين أسهموا بجهود مشكورة في محاربة الباطل وكفاحه في جميع صوره وأشكاله : كفاح الباطل الذي يأتي عن طريق القوة من ذوي السلطة ، أي الذي يأتي عن طريق العقل في منطق البدعة ، أو الذي يأتي عن طريق العلم في إغفال بعض تراث الأمة ، أو الذي يأتي عن طريق الجهل في التقليد الأعمى ، أو الذي يأتي عن طريق الصبر في صورة الوداعة واحتمال المذلة ، أو الذي يأتي عن طريق الجزع في صورة الفرار من الصمود وعدم احتمال النازلة ودرء المصيبة⁽¹⁾ .
لقد استطاع أبو عمرو الربيع بن حبيب أن يكون هذا النموذج من الرجال الذين حلوا لواء الإصلاح بقوة لا تضعف ، وعزيمة لاتلين ، ونشروا ينابيع العلم والحكمة بإيمان يؤكد إخلاص الجهود ويقين يؤيد التفاني في ذات الله ونصرة الحق . ومن هؤلاء :

أولاً : من عان

1 - أبو المنذر⁽²⁾

هو بشير بن المنذر الزوافي ، من بلدة نزوى ، وهو المراد عند الإطلاق في الأثر

(1) راجع : علي يحيى معمر ، (ت 1980 م) . الإيضاح في موكب التاريخ . (القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي) ، 1964 م ، الحلقة الأولى ص 158 .

(2) انظر ترجمته في : أ - سالم بن حود بن شمس السبائي ، إزالة الوغاة عن أنبياء أبي الشتاء (محقق السيد إسماعيل الكاشف) : القاهرة : مطابع سجل العرب ، لا . ت . ص 41 ، ب - سالم بن حمد الحارثي ، العقود الضمنية في أصول الإيضاح . لبنان : دار القطة ، لا . ت . ص 154 .

المشركي «بالشيخ»⁽³⁾. وقد ملأ الأثر العاني بفتاويه ، ورضي الناس أقواله . توفي سنة 178 هـ⁽⁴⁾ على ما جاء في بعض الروايات .

2 - منير النير الجعلاني⁽⁵⁾:

هو أحد الذين حملوا العلم عن أبي عمرو الربيع بن حبيب من البصرة إلى عمان ، فقد قال عنه السالمي «هو رجل من بني رثام ، علامة جليل ، وفهامة نبيل ، أحد زعماء العلم في الرعيال الأول من ركب العلم»⁽⁶⁾ ، قتل في معركة (دما) قرب مسجد الجامع التي وقعت بين الأهيف بن ححام الهنائي الذي كان هو معه ، وبين محمد⁽⁷⁾ بن بور سنة 280 هـ وكان يومئذ ابن مائة وعشرين سنة ، ويبدو أن خروجه مع الأهيف كان للاستشارة والأخذ برأيه لا ليقاثل في المعركة⁽⁸⁾.

3 - موسى بن أبي جابر الأزكوي⁽⁹⁾:

أحد رجالات بني ضبة من بني سامة بن لؤي بن غالب ، كان - رحمه الله - الحجة في عمان ، ومن يعول عليه في المهام الدينية ، ومن أقوى دعائم أهل الحق في زمانه ، وهو الذي عقد الإمامة للوارث⁽¹⁰⁾ بن كعب .

- (3) يراد بالأثر الشركي هذا : الأثر العاني ، والحضرمي ، والحراساني . عن محمد بن يوسف لطيف ملحق المدونة ، ورقة 3 .
- (4) ينظر : أ) سالم بن حمد العاربي . نفس المرجع . نفس الصفحة .
- (ب) عبد الله بن حيد السالمي ، (ت 1332 هـ) . تحفة الأجيال بسيرة أهل عمان (تحق) : أن إسحاق إبراهيم الطيفي ط 2 . القاهرة : مطبعة الشباب ، 1350 هـ ، ج 1 ، ص 93 .
- (5) راجع ترجمته في : سالم بن حمد السبياني . نفس المرجع ، ص 43 - 44 .
- (6) نفس المرجع . نفس الصفحة .
- (7) محمد بن بور : هو عامل الخليفة المعتمد العباسي على البحرين ، استجد محمد بن القاسم وشيخه بن المنذر من بني سامة بن لؤي بن غالب ضد الإذنام عزان بن قحم الحضرمي ، فوقعت بينهما معركة ضارية بين نزوى وحملا لسان سنة 280 هـ أنجز فيها الجيش العاني وقتل عزان وبقي محمد بن بور إلى الملك العباسي ببغداد ، انظر : عبد الله بن حيد السالمي ، تحفة الأجيال ، مرجع سابق ، ج 1 : ص 220 .
- (8) السالمي . نفس المرجع ، ص 225 - 222 .
- (9) انظر : أ) السالمي . نفس المرجع ، ص 93 وما بعدها .
- (ب) سالم بن حمد السبياني - بإزالة الوضوء . مرجع سابق ص 45 - 46 .
- (10) هو أحد أئمة عمان من بني خروص من الجند ، عتقد له الإمامة بعد عزل محمد بن أبي طعان سنة 179 هـ . كان عادلا ، مات غرقا في جبل كلبو من نزوى ومعه سبعون من أصحابه سنة 792 هـ .

قال في حقه سالم بن حمد السبياني أحد علماء عمان المعاصرين : «أحد الشهب الخمسة التي أضاءت القطر العاني بنور العلم»⁽¹¹⁾ . وكانت وفاته سنة 181 هـ⁽¹²⁾ وعمره 94 سنة .

4 - محبوب بن الرحيل⁽¹³⁾:

هو أبو سفيان محبوب بن الرحيل العيدي ، ينحدر نسبه من بني مخزوم القرشي . عده أبو العباس الدرجيني من علماء الطبقة الرابعة أي من عاش في القرنين الثاني والثالث من الألفية للهجرة . تلمذ على أبي عبيدة مسلم والربيع بن حبيب ، وكانت والدته تحت الربيع . كان حجة في السيرة لا يكاد يشذ عنه شيء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا سير المسلمين من بعده . وهو من أوائل من دون أخبار أهل الدعوة⁽¹⁴⁾ قال عنه الدرجيني : «سبق إلى تخليد سير الأخيار ، وألف ما تحصل عنده عنهم من الآثار»⁽¹⁵⁾ . وقال الشامي صاحب السير عنه أيضا : «أحد الأشياخ في الأخيار ، والمفيد غرائب الفقه وعجائب الأمصار ، ساد الفضلاء علما وحفظ الآثار»⁽¹⁶⁾.

والى جانب كونه مؤرخا فقد كان محدثا ثقة ، روى عن شيخه أبي عمرو الربيع بن حبيب أحاديث أثبت بها أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني مرتب المسند بالجزء الرابع منه .

- (11) سالم بن حمد السبياني ، المرجع نفسه ، ص 45 .
- (12) أ) السالمي . نفس المرجع ص 96 .
- (ب) سالم بن حمد العاربي . مرجع سابق ، ص 154 .
- (13) راجع ترجمته في : أ) - أبو العباس أحمد بن حيد الدرجيني (ت 670 هـ) . طبقات المشايخ بالمغرب ، (تحق) : إبراهيم طلال ، قسنطينة : مطبعة البعث ، لا . ج 2 ، ص 278 - 279 .
- (ب) - أبو العباس أحمد بن سعيد الشامي ، (ت 928 هـ) . السير (مصحح محمد يوسف الباروني) القاهرة ، المطبعة البارونية ، ص 117 - 118 .
- (ج) سالم بن حمد السبياني ، نفس المرجع ، ص 47 .
- (14) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجبلي ، (ت 750 هـ) فائز الخيرات . (تحق) : عمرو خليفة التامي) القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى سنة 1965 م القسم الأول قسطنترنا العلم والآداب ، ص 163 بالهامش رقم 3 .
- (15) الدرجيني ، مرجع سابق ، ص 278 - 279 .
- (16) الشامي ، مرجع سابق ، ص 117 - 118 .

وفي هذا الخصوص قال الشيخ عبد الرحمن بكلي محقق كتاب قواعد الإسلام للجيطالي : «أبو سفيان محبوب بن الرحيل تابعي جليل ، ومحدث ثقة ، لذلك نحد الإمام أبا يعقوب مرتب مسند الربيع يضم إليه روايات محبوب عن الربيع»⁽¹⁷⁾ .

وهو أيضا فقيه ضليح وصل إلى درجة الاجتهاد وتصدر للفتوى بركة المكرمة والبصرة ، قال عنه الدرريني «وهو من صحت عنه الفتاوى ، وانتفع به صاحبه من مرغل وثاوي»⁽¹⁸⁾ .

ولقد كان - رحمه الله - أبا لأسرة عريقة في العلم والتقوى ، فهو وابنه محمد ابن محبوب وحفيده بشير بن محمد بن محبوب من أعلام الإسلام الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، وتركوا في المكتبة الإسلامية أثارا خالدة⁽¹⁹⁾ ، كما يقول الأستاذ عبد الرحمن بكلي .

وحق يتبين ماهو عليه من العلم ، ومدى اهتمامه بشؤون الإسلام وأمر المسلمين يستعرض الباحث نماذج من عهده⁽²⁰⁾ الذي كتبه إلى عبد الله بن يحيى طالب الحق وهو يعظه فيه .

ومما جاء في بعض فقراته : «..... وقد بدأ اتخذ الجبابة عباد الله خولا»⁽²¹⁾ ، ودينه دغلا⁽²²⁾ ، وماله دولا⁽²³⁾ ، واستحلوا الخمر بالنبيذ ، والمكس بالزكاة ، والسحت بالهدية ، يأخذونها من غضب الله ، وينفقونها في معاصي الله ، ووجدوا على ذلك من خونة العلم أعوانا ، في هؤلاء الأعوان خطب أهل الجور على

(17) الجيطالي ، قواعد الإسلام (تحقيق : عبد الرحمن بكلي) ، غرداية : المطبعة العربية 1986 م ، ج 1 ، ص 53 .

(18) الدرريني . نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(19) الجيطالي . نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(20) انظر نفس العهد بكتلة : الدرريني ، نفس المرجع ، ص 279 - 289 .

(21) خولا : عبيدا .

(22) دغلا : أدخلوا فيه مايفسد .

(23) دولا : تعاقبوا عليه من دون الناس .

المنابر ، وفي هؤلاء الأعوان قامت راية الفسق في المسامر ، وفي هؤلاء الأعوان اختفى العالم فلا ينطق ، ولا يفتن لذلك الجاهل فيسأل ، وفي هؤلاء الأعوان مشى المؤمن في طرقات الأرض بالتقية والكتمان ، فهو كالتيم المنفرد ، يستبد به من لايتقي الله»⁽²⁴⁾ .

وجاء في هذا العهد أيضا في ذكر أولياء الله : «... أولئك الذين لا تعترهم سامة ، ولا تحترهم رغبة ، ولا ينظرون إلى الدنيا بعين بغية ، ولا يعتقدون لها مودة ، ولا يرجون فيها على زينة ، بل ضربوا في السهم الأوفر ، ولزموا الطريق الأقصد ، وسلكوا سبيل الرشد ، وهم أئمة التقى ، ونجوم الهدى ، وأعلام الدين ، ومنار الإسلام ، كلامهم حكمة وسكوتهم حجة ، ومباينتهم حسرة ومخالطتهم غنية ، والاستئناس بهم حياة ، والافتداء بهم نجاة ، فعليك أيها الزانغ عن طريقهم ، الراغب عن سبيلهم بالاتباع ، فإنه ليس الاتباع كالابتداع ، وعليك بطريق من كان بالله أعلم ، ومخلاله وحرامه منك أبصر ... الخ»⁽²⁵⁾ .

وفي الجملة : إن أبا سفيان محبوبا كان عالما موسوعيا له اطلاع واسع في الأصول والفروع ، وكان لنشاطه الملحوظ في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانته عند شيخه وزوج والدته أبي عمرو الربيع بن حبيب ، فأحبته ، واختار صحبته عندما غادر البصرة إلى عمان في أواخر أيام حياته ، حيث نزلا صحارا واستقلا بمقاوة بالغة وإكرام لانظير له من قبل العمانيين لما كان لهما من سمو المقام في نفوسهم⁽²⁶⁾ .

عاش أبو سفيان محبوب ما عاش مكافحا للبدعة ، مقاوما للظلم ، شديدا على الظالمين ، حتى توفاه الله تعالى مأسوفا عليه . ولم تتحقق للباحث سنة ميلاده ، ولا عام وفاته ، إلا أن الإمام السالمي ذكر في تحفته أنه كان على قيد الحياة زمن

(24) انظر : الجيطالي ، الفتاوى (تحقيق : عمرو خليفة النامي) ، مرجع سابق ، ص 228 - 229 .

(25) نفس المرجع ، ص 244 .

(26) راجع : سالم حود السالمي ، إزالة الوضوء ، مرجع سابق ، ص 47 .

الإمام المهنا بن جعفر الذي بوع له بالإمامة سنة 226 هـ على عمان ، فقد قال : «وفي زمانه (أي المهنا) اختلف في البصرة محبوب بن الرحيل وهارون بن الهان في مسائل خالف فيها هارون قول المسلمين ، وكانت أئمة فيها الشعبية»⁽²⁷⁾ ، وكتب كل من محبوب وهارون رسائل إلى المهنا وإلى حضرموت ، وهي سير ماثورة موجودة ، نقض فيها كل واحد على صاحبه ما قال به ، وكان الحق فيها مع محبوب ، فأخذت به عمان وحضرموت ، وتابعت الين هارون»⁽²⁸⁾ . وعلى هذا تكون وفاة أبي سفيان محبوب بن الرحيل بعد سنة 226 هـ . والله أعلم .

5 - محمد بن المعلی الكندي⁽²⁹⁾

محمد بن المعلی هذا من أهل (فحش) من قلب عمان ، وكان من الرجال المعدودين في الطليعة ، وحسبه أنه أحد حملة العلم عن الربيع بن حبيب من البصرة إلى عمان .

وقد اتجهت همه ذوي الحل والعقد من العلماء والوجهاء بعمان أن ينصبوه إماماً ولكنه خاف على نفسه من قطع الشرى⁽³⁰⁾ ، وألاً يكون له سلطان فيقع في التصور أو التقصير ويستفاد من هذا أنه كان أهلاً للإمامة ، ولكن الآراء لم تتفق حوله .

هذا ولم تعرف سنة مولده ، ولا عام وفاته ، غير أنه ثبت وجوده سنة 177 هـ وهي السنة التي أراد فيها موسى بن أبي جابر الأزكوي أن يتولى إمامة

(27) الشعبية : فرقة أصحاب عيب بن محمد ، وهي من فرق المجاردة ، وهم أشبه أن يكونوا أميل إلى المعتزلة ، إلا أنهم يختلفون في مسألة القدر ، ولعلمهم لا يقولون فيه بقول التقديرية ، ومن ذلك الحين يوجد في اليمن منذهب المجاردة ، غير أن الشيعة لأن البيت تنقّب عليهم بعد ، فأخذوا في الفروع بذهب زين العابدين ، انظر : السامي ، حقه الأحياء ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 129 - 130 بالهامش .

(28) السامي . حقه الأحياء . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 129 - 130 .

(29) راجع ترجمته : سالم بن حمود السلياني . إزالة الوشاح عن أشواق أبي الشتاء ، مرجع سابق ، ص : 47 - 48 .

(30) معنى قطع الشرى : تقديم مقاتل عن القوم ، أو تقديم إلى السلطان فتكلم عنهم .

عمان فكره محمد هذا أن يقطع الشرى كما أشرنا ، وبذلك ولّى مكانه محمد بن أبي عفان⁽³¹⁾ .

ثانياً : تلاميذه من أهل حضرموت

أما من حل العلم عن أبي عمرو الربيع بن حبيب من أهل حضرموت فأشهرهم .

أبو أيوب وأئله⁽³²⁾

أبو أيوب وأئله بن أيوب من علماء الطبقة الرابعة (150 - 200 هـ) كما ذكر الدرجيني ، وهو من حضرموت ، أخذ العلم بالبصرة عن أبي عبيدة مسلم وأبي عمرو الربيع بن حبيب .

وقد تولى رئاسة علماء الإباضية بالعراق بعد رحيل الربيع إلى عمان ، وكان مع الإمام طالب الحق أبي يحيى عبد الله بن يحيى الكندي في حروبه ، وله دور خطير ومشاركة إيجابية في شؤون الإمامة بحضرموت . وهو أحد رجال الفتيان المشهورين في المذهب الإباضي ، وعن روى عنهم أبو غانم بشر بن غانم في كتبه⁽³³⁾ ، وكان أبو عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم لجلالة وعلو كعبه في العلم إذا سئل عن مسألة قال : «عليكم بوائله فإنه أقرب عهداً بالربيع»⁽³⁴⁾ . وذكر عنه أنه كان من المتكلمين المناظرين ، قال الشامي : «رأب جزءاً فيه مناظرة أبي أيوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له : كهلان وأصحابه»⁽³⁵⁾ .

(31) السامي . نفس المرجع ، ص : 91 .

(32) راجع ترجمته : أ) الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص : 228 .

ب) الشامي ، مرجع سابق ، ص : 105 .

ج) الجبالي ، قواعد الإسلام ، تعليق : بكلي ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 103 بالهامش .

د) عمرو الشامي ، أجوبة ابن علقون . بيروت : دار الفتح ، 1974 م ، ص : 110 .

(33) عمرو خليفة الشامي ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(34) الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص : 228 .

(35) الشامي ، مرجع سابق ، ص : 105 .

لم تتحقق مع الباحث سنة ميلاده ، ولا سنة وفاته - رحمه الله تعالى - .
هذا وكان لأبي عمرو الربيع بن حبيب تلاميذ من خراسان ومن أشهرهم هاشم
بن عبد الله الخراساني ذكره السالمي عند حديثه عن تلاميذ الربيع ، ولم يعثر
الباحث على ترجمته في الكتب التي تحدثت عن حياة زملائه .
وقد أخذ عنه أيضاً من العراقيين الجم الغفير كما قال السالمي ⁽³⁶⁾ .

2 - أسباب انقطاع طلبه العلم الإباضي في شمال أفريقيا عن مدرسة الربيع بن حبيب بالبصرة

لم نتحدث المصادر والمراجع من الكتب التي بين أيدينا عن أنه كان لأبي
عمرو الربيع بن حبيب تلاميذ من المغرب كما كان لشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي
كريمة ولعل السبب في ذلك - كما يعتقد الباحث - يرجع إلى عاملين اثنين :
1 - لما ظهرت إمامة الإباضية في طرابلس بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى
بن السمح المعافري سنة 140 هـ . وكان ماكان من قتال بينه وبين عمال العباسيين
بشمال أفريقيا ثم بينهم وبين من جاء بعده كآبي حاتم الملزوزي إمام الدفاع
(145 - 155) وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمامة بتاهرت (160 - 171 هـ) ،
أصبح الذهاب من شمال أفريقيا إلى البصرة بالعراق - مهد الحركة
الإباضية - من العسر بمكان ، وبذلك لم يتسن لطلبة العلم في المغرب الذهاب
إلى مدرسة الربيع بن حبيب التي عاصرت تلك الأحداث .

2 - كان لرجوع حملة العلم من البصرة إلى المغرب ، ليبيا ، وتونس ،
والجزائر ، أثره في قيام حركة عليية مباركة أتت نتائجها على يد من تلمذ على
هؤلاء الحماة . ولعل ما يسمى عند إباضية المغرب بسلسلة نسبة الدين - التي

(36) السالمي ، حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، القاهرة : مطبعة الأنوار الباورية ، 1326 هـ ،
ج 1 ، ص 4 .

سنورد نصها - خير شاهد لما بذله حاة العلم العائدون من البصرة من جهود في
تعليم أبناء المغرب وتنقيفهم بحيث لم يعودوا بحاجة للذهاب إلى العراق ، مما أدى
إلى عدم تلمذ أحدهم عن الربيع ، ثم بالتالي لم يكن له ذكر في هذه السلسلة ، لقد
جاء في رسالة سلم العامة والمبتدئين لأبي محمد عبد الله ⁽³⁷⁾ بن يحيى الباروني ما
نصه :

سلسلة إسناد المذهب :

الطريقة الأولى في نسبة المذهب : ومبدؤها من آخر القرن السادس عن
الشيخ مقرين بن محمد البغطورى ⁽³⁸⁾ قال - رحمه الله - بعد البسملة والصلاة
والسلام : « تأملت في تسمية من أخذنا عنه الدين من خلق الله أجمعين فوجدتهم
على الجمع ثلاثة : الملائكة ، والأنبياء ، والمسلمين ، وعلى الإنفراد من الملائكة
أربعة ، ومن الأنبياء ثمانية عشر نبيا ، والنبي محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ،
ومن الفقهاء ثلاثين رجلا وامرأة .
أما الملائكة فهم : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، واللوح المحفوظ ⁽³⁹⁾ .

(37) أبو محمد : هو عبد الله بن يحيى الباروني والد المجاهد سليمان الباروني ولد بكياو ولم تتحقق لدينا سنة ميلاده . ولا
أن الشيخ محمد بن يوسف الطميش قال عنه والشيخ عبد الله بن يحيى هو عالم ووارث تقوى وأهله تربي ، ولا كانت
ولادة الطميش على الثالث الصحيح سنة 1236 هـ . فيكون مولد عبد الله الباروني في هذا التاريخ أو قبله أو بعده
بقليل . أخذ العلم عن شيوخه بجرة لم تنتقل إلى ليبيا وقد ملأ وطابه عما بلغ به جبل تقوى عند اشتداد طلبة الجبل في
أواخر العهد المملوكي ، ومن تلاميذه الشيخ عمرو بن يحيى التندميرق ، وعربي العزاني وليفها ، له ديوان شعر صغير ،
ورسالة سلم العامة والمبتدئين ، توفي سنة 1912 م . وضرعه بكياو ملاسج مسجد أبي محمد الكياوي .

(38) مقرين بن محمد البغطورى نسبة لبلدة بظفورة خربة بالخرابة قريبة من بقبيلة وجرجين ، قال عنه
الشاعري : « أحد الأخياع الذين تسكوا بالعلم واعتدوا بالصل ٠٠٠ إلى أن يقول : وذكر أنه أكل الكتاب (يعني سير أشياخ
تقوى) عام 599 هـ . في إنبانين في محضره الشيخ أبي يحيى توفيق رحمه الله ، النظر : السير ، مرجع سابق ، ص 548 ،
وعلى مصطفى المصري من ليبيا ، منشورات الشركة العامة للنشر ، سنة 1977 م ، ص 15 وما بعدها ،
(39) لوقال : جبرائيل عن اللوح المحفوظ فكان أولى ، إذ أن الوحي لم يأت الرسول صلى الله عليه وسلم إلا عن طريق
جبرائيل عليه السلام .

وأما الأنبياء فهم الذين ذكرهم الله في سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿وَوَكَّلْنَا حُجُجَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخَوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِمْ⁽⁴⁰⁾ .

فقال لنييه صلى الله عليه وسلم فبهدهم اقتده ، فاقتدينا نحن بالنبي عليه السلام كآقتدائه بالنبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

وأما الفقهاء من أشياخنا الذين أخذنا عنهم الدين فهم ثلاثون رجلا من عيد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا⁽⁴¹⁾ ، وكلهم من نفوسة غير سبعة من غيرهم وهم : ابن عباس ، وجابر بن زيد الأزدي البصري ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي البصري ، وإساعيل بن درار الغداسي ، وأبو مرداس مھاصر السدراقي ، والإمام عبد الوھاب والوالد الإمام عبد الرحمن ابن رستم الفارسي رضي الله عنهم أجمعين⁽⁴²⁾ .

ثم بدأ يذكر أسماهم فردا فردا حتى وصل إلى حلة العلم عن أبي عبيدة إلى

(40) الأنعام : الآيات 83 - 90 .

(41) أي زمن مقرين وهو أواخر القرن السادس .

(42) عبد الله بن يحيى الباري ، (ت 1912 م) . سلم العامة والمبتدئين . (تعلق : سليمان عبد الله الباري ، القاهرة : مطبعة النجاح ، 1906 م ، ص 31 - 93 .

ليبيا حيث قال : «وأخذ أبو ذر⁽⁴³⁾ عن أبي مرداس⁽⁴⁴⁾ مھاصر السدراقي الساكن بتبرس ، وأخذه أبو مرداس عن الإمام عبد الوھاب بن عبد الرحمن الفارسي ، وأخذه عبد الوھاب عن أبيه عبد الرحمن (أحد حلة العلم الخمسة إلى المغرب) وأخذه عبد الرحمن عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي البصري» . وقال الشيخ مقرين رحمه الله من طريق آخر : ... وأخذه أبو ذر عن أبي خليل⁽⁴⁵⁾ الدركلي وأخذه أبو خليل عن أبي المنيب محمد⁽⁴⁶⁾ بن يانس ، وأخذه أبو المنيب عن إساعيل بن درار الغداسي (أحد حلة العلم الخمسة أيضا) ، وأخذه إساعيل عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس وعائشة أم المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁷⁾ .

هذا وإتينا إذا ما تتبعنا نسبة الدين في تونس (جربة والجنوب التونسي) ووادي سوف وأريج ووارجلان وميزاب بالجزائر ، وجبل نفوسة وزوارة بليبيا ، وهذه كلها مواطن الإباضية في زمن هذه النسبة نجدتها تنتهي إلى حلة العلم من البصرة إلى المغرب وبالحصوص إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم ، وإساعيل بن

(43) أبو ذر : هو أبان وسع النفوس من بلدة وبغو بالحربة قرية آثارها من مرقس . ذكره الدرجيني من طبقات الطبقة الخامسة (200 - 250 هـ) . أخذ العلم عن أبي خليل الدركلي وهو كبير ، وقد أعجب شيخه بما انتهى إليه فقال له : «أعلم أن لكل زمان شيئا وأنت نذير زمانك يا أبان ذر» . أفت الناس يا أبان بآبى به من الرضى بملكته العلمية والاجتماعية عينه الإمام أفلح بن عبد الوھاب وإليه على الجبل بعد وفاة العباس بن أيوب . راجع : الدرجيني ، مرجع سابق ، ص 301 - 305 .

(44) أبو مرداس مھاصر التبرستي أحد الذين جرت نسبة الدين على يديه ، ذكره الدرجيني من طبقات الطبقة الخامسة (200 - 250 هـ) . كان زاهدا ورعا وملا لكل الفضائل ، فخره بأكثر تهرست المقابلة لفرسقاء شمال شرقي كباد . (45) أبو خليل صال الدركلي من طبقات الطبقة الأولى للقرن الثالث ، تلميذ لأبي المنيب محمد بن يانس ، أسس مدرسته فخرج منها علماء أجلاء منهم أبو ذر ، وكان من أكثر الناس عبادة وعبادة للصلاة . انظر : الدرجيني ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 299 - 301 ، والثلاثيني ، السير ، مرجع سابق ، ص 211 - 213 ، وعلي يحيى معمر ، الإباضية في الموكب ، مرجع سابق ، الحلقة الثانية ، القسم الثاني ، ص 73 - 74 .

(46) أبو المنيب : هو محمد بن يانس الدركلي من طبقات الطبقة الأولى من القرن الثالث (200 - 250 هـ) . تلقى العلم عن إساعيل بن درار الغداسي وأحد العلماء الأربعة الذين أرسلوا إلى تهرت لمناظرة المعتزلة في علوم القرآن وتفسيره زمن الإمام عبد الوھاب . راجع ترجمته : الدرجيني ، الطبقات المرجع نفسه ، ص 296 - 299 ، والثلاثيني ، نفس المرجع ، ص 165 - 170 .

(47) عبد الله بن يحيى الباري ، نفس المرجع ، ص 26 .

درار القدامسي وأبي داود القبلي ، تنتهي إلى هؤلاء ثم إلى أبي عبيدة مسلم إلى التابعي الكبير أبي الشعثاء بالصحابية ، أما أبو الخطاب ، وعاصم السدراقي فيظهر أنه لم ينتسب إليها طلبه العلم لوفاء عاصم بعد سنة واحدة من قدومه من العراق أي سنة 141 هـ ولائشغال أبي الخطاب بأموال المسلمين ، والدفاع عن كيان الإمامة حتى توفي سنة 144 هـ .

3 - إنتاج أبي عمرو الربيع بن حبيب العلمي ومكانته الاجتماعية والعلمية

أ - إنتاجه العلمي :

لقد أسهم أبو عمرو الربيع بن حبيب بجهود موفقة في ميدان العلم ونشره ، ولعل خير شاهد له في هذا المجال بعض من ذكرنا من تلاميذه العلماء الذين كانوا سرجاً أناروا بعض أقطار العالم الإسلامي بعلمهم من أمثال : أبي أيوب وإثل ، وأبي سفيان محبوب وغيرهما ، ولم تنته جهوده المخلصة عند صناعة عقول الرجال وتنمية مداركهم ، وشحن عزائمهم لمواجهة ما تقبله ظروف الحياة المجددة المتطورة ، وإنما انتهج سبيل أستاذه الأكبر أبي الشعثاء جابر بن زيد في التدوين ، فكان من أوائل من دونوا علم الشريعة في القرن الثاني الهجري ، حيث عد إلى تقييد ما تلقاه مشافهة من شيوخه من كبار التابعين وصغارهم في التفسير والحديث والفقه ، فكان ما وصلنا مما دونه - عدا الذي عبثت به يد التلاشي :

- 1 - مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب في الحديث النبوي الشريف ، وأغلب روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- 2 - كتاب آثار الربيع : وقد رواه الربيع عن شيخه ضام بن السائب عن

جابر ابن زيد مقطوعاً ، وقد جمعه أبو صفرة عبد الملك⁽⁴⁸⁾ بن صفرة ، ولم يطبع بعد⁽⁴⁹⁾ . ولعله من المفيد أن يسوق الباحث غاذج من هذه الرواية في ذلك الكتاب المخطوط فيما يلي :

☆ حدثنا أبو صفرة عبد الملك بن صفرة قال : حدثنا الهيثم عن الربيع بن حبيب عن ضام بن السائب عن جابر بن زيد الأزدي رضي الله عنه عن رجل قذف امرأته ولم يتلاعنا ولم يترافعا ، لم يريد ذلك ثم مات أحدهما قال : يرثه صاحبه .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : الطعام⁽⁵⁰⁾ والصوم والعق في الظهار قبل أن يتأسا .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : إن شاء المحرم باع ثيابه التي فيها وهو محرم واشترى غيرها .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : في رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ثم مات ، قال : لا صداق لها ، وعليها العدة ولها الميراث . وقال أبو علي إمام الفقهاء : إن لها صداق نساءها ، أو من كان مثلاً من أهل بيتها ، وروى ذلك عن ابن مسعود أن لها الصداق . قال : لو نجد ذلك عن ابن مسعود وعن ثقة لأخذنا به .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء في رجل طلق امرأته وهو مريض ؟ قال : ترثه ما دامت في العدة ، فإذا انقضت العدة فلا ميراث لها .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء أوصى أن تغسله امرأته .

☆ الربيع عن ضام وأبي نوح عن جابر بن زيد في المختلة قال : لا يأخذ

(48) أبو صفرة : عبد الملك بن صفرة ذكره الشافعي في طبقة الربيع . وقال عنه : يبلغ في العلوم فكان كبيراً ، وحوار منها شيئاً كثيراً ، روى آثار الربيع عن ضام عن جابر وهو مشهور . راجع : الشافعي ، السير ، ص 119 .

(49) خطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم 21582 ب (القسم الأول من ورقة 73 - 80 في القرن العاشر الهجري ، انظر فهرست المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة 2 : 233 . راجع : فؤاد سركين ، تاريخ التراث العربي (تر) : فهمي أبو الفضل ، ومحمود فهمي حجازي ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة ، 1971 م ، ص 1 : ج 1 ، ص 267 .

(50) الإطعام .

منها أكثر مما أعطاه . وقال أبو علي : لا بأس إن أخذ أكثر مما أعطاه إذا كان ذلك بطيب من نفسها . والبصريون يقولون : لا يأخذ أكثر مما أعطاه .

✽ الربيع قال : أخبرنا أبو نوح قال : متع أبو الشعثاء امرأته بخمسين درهما والسعر يومئذ رخيص .

✽ الربيع قال : أخبرنا ضام عن أبي الشعثاء في قراءة الظهر والعصر بقاعة الكتاب لا يزيد على ذلك .

✽ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء : إنه لم ير بأساً بالسواك للصائم في أول النهار ، وكرهه في آخره .

تلك هي نماذج من كتاب آثار الربيع الذي أشار إليه مصحح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب الإمام عبد الله بن حيد السامي في تنبيهاته بأول الكتاب حيث قال : «وروايته (أي الربيع) عن ضام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة⁽⁵¹⁾» ، ولعل من يقرأ هذه العبارة يتبادر إلى ذهنه أن للربيع مسنداً حديثياً آخر غير المتداول عندنا رواه عن ضام أحد شيوخه كما روى هذا المعروف عن أبي عبيدة مسلم ، إلا أن من هذه الأمثلة التي أوردناها يتبين له أن ما جمعه أبو صفرة للربيع عن ضام إنما هو فتاوى فقهية لأبي الشعثاء جابر بن زيد وليس حديثاً موقوفاً عن صحابي أو مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

3 - فتيا الربيع : وهي إجابات عن أسئلة في مختلف فروع الفقه ، وسيورد الباحث نماذج منها عند حديثه عن (الربيع الفقيه) في فصل لاحق .

4 - إجابات حول أسئلة في الطهارة والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وردت في الغائية (المدونة الصغرى) والمدونة الكبرى لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني ضمن إجابات لنفس الأسئلة لكل من : وائل بن أيوب الحضرمي ، وأبي المؤرج ، وعبد الله بن عبد العزيز ، وعيوب بن الرحيل

القرشي ، وحاتم بن منصور ، وأبي غسان بن مخلد بن العمود ، وابن عماد المصري ، وهؤلاء كلهم من تلاميذ أبي عبيدة مسلم ومن علماء الإباضية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

5 - آراء فقهية وكلامية ، وفتاوى متناثرة في جل كتب الفقه الإباضي وكتب الأصول الدينية ككتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، وكتابي القناطر وقواعد الإسلام لأبي طاهر إسماعيل الجيطالي ، والإيضاح لأبي ساكن عامر الشماخي ، والثيل لضياء الدين عبد العزيز التتبي ، وغيرها من مؤلفات علماء الإباضية في عمان وحضرموت ، وخراسان ، والمغرب التي لا تخلو منها مصنف واحد من آراء الربيع بن حبيب وعلمه .

ب - مكانته الاجتماعية والعلمية :

المصادر التاريخية القليلة التي تناولت حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب باختصار شديد - وكلها إباضية - تجمع على أنه كان يتمتع بمكانة مرموقة ، ومنزلة عالية في الأوساط الاجتماعية الإباضية ، ليس على مستوى المجتمع البصري أو العراقي - حيث نشأ وتعامل - فحسب ، وإنما كان ذلك على صعيد الأقطار العربية والإسلامية التي انتشرت بها الدعوة الإباضية في ذلك الحين .

فبعدما مات أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة صارت الإباضية في المغرب - مصر - ليبيا وتونس والجزائر - وحضرموت وعمان وخراسان والسند ، يرجعون إليه في مهاتهم ومشاكلهم العلمية والسياسية والاجتماعية⁽⁵²⁾ . ولذا قال عنه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : «طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظرات الخطب الأسم ، ومن تشد إليه حيال الرواحل وتزتم»⁽⁵³⁾ . فقيم نال الربيع بن حبيب تلك المكانة ؟ وكيف اكتسب هذه الشهرة دون غيره من علماء الإباضية الذين كان يزخر بهم ذلك العهد ؟!

(51) انظر : أبو عمرو الربيع بن حبيب (ت حوالي 170 هـ) . الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (محق) عبد الله بن حيد السامي ، بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ ، ص 3 .

(52) انظر : سالم بن حيد الحارثي ، العقود الفضية ، مرجع سابق ، ص 153 .

(53) الدرجيني : مرجع سابق ، ج 2 ، ص 273 .

لعل هناك من الناس من يقول : ربما كانت تلك المكانة عظامية وراثية ، وامتناداً لمجد باذخ أو مال مؤثّل (إذ أن كثيراً من الأبناء والأحفاد يحظون بالتبجيل والإكرام ، ويحاطون بهالة من التقدير والاحترام في ظل ما خلفه الآباء والأجداد من تراث مادي أو معنوي ... ! إلا أن هذا الظن يشجبه ، ويسقط قواعده من أساسها إغفال المؤرخين الذين كتبوا عن الربيع لأسرته ، وعدم تعرضهم لها بتاتا ، فلو كانت بتلك المنزلة العظامية ، وبذلك الشأن من الغراء لشادوا بذكرها - حتا - ولأولا صحائف الكتب بتالد مجدها الغابر ، وطارف حاضرها الزاهر ، كما فعل ويفعل بن ذاك شأنه .

وكل الذي نعلمه عن أسرة الربيع بن حبيب أن والده حبيبا كان أحد تلامذة أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأنه من المنتقدين عليه صلاته وراء ابن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي ، وأن له أخا - لم يذكر اسمه ، وهل كان أصغر منه أو أكبر ، أو كان متعلما أو غير متعلم - قد بعثه إلى تبهرت بسلة اشتراها «بائني» عشر ألف درهم كان بعث بها إليه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي إعانة له ، فكلف بها الإمام بعض تجار فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه⁽⁵⁴⁾ .

وأما الناحية الاقتصادية للربيع وأسرته فالمصادر التي بيننا لم تسعفنا بشيء من الحديث عنها ، فلو أنه كان غنيا ماختلف اسمه عن قائمة أولئك الأثرياء الإباضيين في البصرة⁽⁵⁵⁾ من أمثال : أبي الحر علي بن الحصين العنبري ، وقرة بن عمرو ، والفضل بن جندب ، والنظر بن ميون ، وأبي عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم ، وغيرهم من الذين بذلوا الأموال ناشطة سخية لفقراء أهل الدعوة ، وفي سبيل نشر الحركة الإباضية ، ونصرة القائمين بذلك : كأبي يحيى عبد الله بن يحيى

(54) سليمان عبد الله الباروني ، (ت 1945 م) ، الأضرار الرياضية في أمة وملوك الإباضية ، القاهرة : مطبعة الأضرار البارونية ، لا . ت . ص 764 .

(55) رابع : عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية . عمان : مطابع الشعب ، 1978 م ، ص 114 - 115 .

الكندي طالب الحق ، وقائده أبي حنزة المختار بن عوف الشاري ، وعبد الرحمن بن رستم ، بل إن هناك إشارة تاريخية تدل أو توحي بأن الربيع بن حبيب فقير عجز في سنة من السنوات عن السفر إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ، والقيام بواجبه نحو إخوانه المسلمين الوافدين من أقطار العالم الإسلامي . فلنستمع إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل يحدثنا في هذا الخصوص فيقول : «اجتمع وائل بن أيوب ، والمعتبر بن عمارة ، وجماعة إلى الربيع ، فسألوه أن يخرج إلى الموسم فقال : لا أقدر ، وما عندي ما أحتمل به ، فمشوا إلى رجل من المسلمين يقال له : النظر بن ميون ، وكان رجلا موسرا من تجار الصين ، أعلموه بقوله ، فأثاب بأربعين دينارا فقال : حج بها ، فلم يقبلها منه وكان به خاصا . فجاء وائل والمعتبر فقالا له : سبحان الله بأبأ عمرو ! تعلم حاجة الناس إليك ، وكنت اعتللت بأذك لا تجد ما تحمل عليه فلما جاءك الله بما تتنتع به أبييت أن تقبل !»

قال : إنه قال لي : خذها على أنك تحج بها ، ولست أقبلها على شرط . فأتينا إلى النظر فأعلمنا بما كره من قوله فاعتذر قائلا : والله ما علمت أنه يكره ذلك ، والآن خذها أنتا فادفعهاها إليه ، فأبى أن يقبلها بعد ذلك⁽⁵⁶⁾ .

مما ذكر نستنتج أن تلك المكانة التي نالها الربيع في أوساط أهل زمانه من الإباضية ليست عظامية موروثية ، وإنما كانت عصامية مكتسبة ، قد انتزعها انتزاعا من ذلك المجتمع الذي لا يعترف بالجاه الزائف ، ولا يقيم لأعراض الدنيا الزائلة وزنا .

نال الربيع تلك المنزلة الرفيعة بما حباه الله تعالى به من الورع ، والتقوى ، والأمانة ، والإخلاص ، والعلم والعمل لما فيه خير الصالح العام ونفعه .

والنصوص الآتية مما قاله عنه من عاصره وعاشره وتعامل معه تؤكد صدق ما نعت به من تلك الأوصاف :-

(56) الدرجيني ، الطيفات ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 273 - 374 .

☆ قال أناس من أهل البصرة : انظروا لنا رجلا ورعا قريب الإسناد حتى نكتب عنه ويترك ما سواه . فتظنوا فلم يجدوا غير الربيع بن حبيب ، فطلبوا منه ذلك ، وكان يروي لهم عن ضام عن جابر بن زيد عن ابن عباس رحمه الله ، فلما خاف أن يشيع أمره أغلق بابَه على نفسه دونهم إلا من أتاه من إخوانه المسلمين⁽⁵⁷⁾ .

☆ قال أبرهة بن عطية من أهل الشام عندما حجب الربيع عنه مجلسه ، لما بلغه عن وائل بن أيوب الحضرمي ، والمعتز ، وعبد الملك الطويل أنه أفسد هو وأبوه أهل خراسان بدعوتها لهم بقول أهل القدر ، قال أبرهة : «ما كنت أظن أن الربيع في فضله ورعته وعلمه وحلمه يرد مثلي ، وإنما أسأله عما ينتفع به الناس من أمر دينهم»⁽⁵⁸⁾ .

☆ لما أصاب أبا عبيدة الفالجي ، وحضر خروج الناس إلى الموسم⁽⁵⁹⁾ ، ومضى حاجب إلى أبي عبيدة وعبد الله بن عبد العزيز ليبيعه مع الربيع إلى الموسم ، فأبى أبو عبيدة وقال : لا أفعل ، ف قيل له : فالمثني بن المعرف . قال : نعم . فبعث إلى المثني في ذلك . قال : ما كنت لأفعل ، أخرج مع الربيع ؟! والربيع حاله في فضله وسنه ومعرفته على ما تعلمون ! فأشير عليكم أن تبعثوا غلاما حدثا مثلي مع الربيع ، فيقال : لم نجد من نبعث إلى الموسم إلا هذا الغلام ! وفي الربيع كفاية عن سواء فبلغ قوله أبا عبيدة فازداد في نفسه له عجة ، وازداد عندهم بذلك رضى ، قال أبو عبيدة : صدق المثني . فتوجه الربيع للناس يومئذ⁽⁶⁰⁾ .

☆ قال أبو سفيان : «سمعت أبا طاهر ذكر الربيع عند أبي عبيدة فقال : فقيها ، وإمامنا ، وتقينا»⁽⁶¹⁾ . وفي رواية : «تقينا وأميننا وثقتنا»⁽⁶²⁾ .

☆ «لقد كان في البصرة بمنزلة إمام البيعة مع الإباضية ، فلا يقدمون أمرا ولا يؤخرونه إلا بمشورته ، وكانوا يؤدون إليه زكاة أموالهم ليعلمها حيث شاء ، قال أبو سفيان - وكان ربيبه - كتب إلي الربيع أن أتبه ، ولا أصوم⁽⁶³⁾ في اليوم الذي أتبه فيه ، فأتيته ، فأعطاني حمارا وقال : اركب هذا الحمار في أحياء البصرة ، فطفت واكتب لي من كان من المسلمين»⁽⁶⁴⁾ . فركبت الحمار ، وجعلت أستخرج من على رأي المسلمين من أحياء البصرة ، وأكتبهم حتى بلغوا ثمانمائة وألف ، ووجدت نساء من المسلمين قد تزوجن برجال من قومنا قد ماتوا ، وخلفوا أيتاما معهن ، ولم يكن الربيع أمرني فيهم بشيء ، فكتبتهن وميزتهن ، ليرى رأيه فيهم ، فلما رجعت إليه وعرفته ، أعطى أولئك اليتامى الذين من قومنا رجة لأمهاتهم»⁽⁶⁵⁾ .

☆ لما وقع الخلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي والذين أنكروا إمامته⁽⁶⁶⁾ رضى الفريقان الربيع بن حبيب حكما بينهما ، وذلك في العقد الثامن بعد المائة ، فكتب إليهم ما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين . أما بعد : فقد بلغنا يا إخواننا ما كان قبلكم ، وفهمنا مكاتبوتنا به . أما ما كتبتم به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة ألا يقضي

(61) الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 276 ن

(62) الشافعي ، مرجع سابق ، ص 103 .

(63) يعني صوم التطوع ، إذ أن أبا عبيدا كان صوما - على ما يبدو - .

(64) يقصد بالمسلمين هنا : الإباضية .

(65) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية ، مرجع سابق م ص 153 - 154 .

(66) راجع : أ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، (ت 471 هـ) غير الأئمة وأخبارهم ، (تحقيق : إسماعيل الغري) ، الجزائر : المكتبة الوطنية . 1979 م ، ص 58 - 59 .

ب - سليمان عبد الله الباروني ، مرجع سابق ، ص 50 .

ج - سالم بن حمد الحارثي . نفس المرجع ، ص 154 - 155 .

(57) السالمي ، حاشية الجامع الصحيح مستد الربيع بن حبيب ، مصدر سابق ، ج : 1 ، ص 4 .

(58) انظر : أ - الدرجيني ، نفس المرجع ، ص 277 .

ب - الشافعي ، مرجع سابق ، ص 104 .

(59) يقصد هذا بالموسم موسم الحج ، وكان من عادة أبي عبيدة مسلم أن يهذله لمرافقه في عرفات وفي منى مع من فيه جميع الإباضية من الأقطار الإسلامية يستفتونه في أمر دينهم ، ويستشيرونه في شؤونهم الدينية ، فلما مرض وصبح رشح الربيع بن حبيب مكانه ، وكان ذلك بداية لاختياره مكان شيخه أبي عبيدة .

(60) أ - الدرجيني ، نفس المرجع ، ص 276 .

ب - الشافعي . نفس المرجع ، ص 102 .

أمرادون جماعة . ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ، ولا حد ، ولعلطلت الحدود ، وبطلت الأحكام ، وضاع الحق . على أن الإمام إذا قدم إليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا ! أوزنى أحد فلا يرجع ، ولا يجلد حتى تحضر أيضا ، ولا يجاهد الإمام عدوا ، ولا ينهى عن فساد إلا بمضرة الجماعة المعلومة ، والجماعة يتعذر اتفاقها . «فالإمامة صحيحة والشرط باطل» .

وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم منه ؟ فذاك جائز ، إذا كان الثاني من القناعة والفضل بمنزلة حسنة ، فقد ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وزيد بن ثابت أقرض منه ، وعلي بن أبي طالب أفضى منه ، ومعاذ بن جبل أعلم منه ، وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفرضكم زيد ، وأقضاكم علي ، وأقرؤكم أبي ، وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»⁽⁶⁷⁾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «معاذ بن جبل سيد العلماء ، سيحضر غدا يوم القيامة أمام العلماء»⁽⁶⁸⁾ .

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته⁽⁶⁹⁾ .

☆ عندما توجه الإمام عبد الوهاب يريد أداء فريضة الحج من جبل نفوسة ، فاجتمعت عليه جموع نفوسة ، فأخبرهم بما عزم عليه من قصد الحج . فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رأيت المقام فعلت فإننا نخشى عليك من السود⁽⁷⁰⁾ ، فإنهم إن علوا بسيرك عن بلادك وتوجهك إلى بلادهم لم تسلم من أفة تصيبك منهم ، من قتل ، أو سجن ، أو نكال ، وقد تعين عليك القيام بأمور

المسلمين ، والنظر فيما يجمع كلمتهم ، ويصلح شأنهم ، فإقامتك فيهم أكد وأوجب . فقد علمت أنك لو غبت لضاعت الحقوق وتفرقت الكلمة .

فأرسل الإمام عبد الوهاب إلى إخوانه بالشرق ، وكان المقدم في ذلك العصر في العلم والورع والفضل أبا عمرو الربيع بن حبيب رحمه الله ، وابن عباد المصري ... فأجابته الربيع : بأن من كان مثلك في العناية بأمور المسلمين وعمل أمانتهم ، وخاف على نفسه من أهل الجور والبغي ، فينبغي له أن يستأجر من يحج عنه وهو حي ، وأما ابن عباد المصري⁽⁷¹⁾ فأجاب ، بأن من كان على هذه الصفة فليس عليه حج ، لأن أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه . فلما قدمت الرسل بالجوابين أخذ بجواب الربيع ، وأرسل من حج عنه⁽⁷²⁾ .

هذا ونرى الربيع بن حبيب قد أئزم الإمام عبد الوهاب بإذابة من يحج عنه ، اعتادا على وجوب الحج في ماله - حينئذ انعدم أمن طريقه - وهذا ما يسمى عند الفقهاء باستطاعة النيابة مع العجز عن المباشرة⁽⁷³⁾ ، والأصل في ذلك ما روي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان الفضل بن عباس - وهو أخي - رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشئ الآخر ، فقالت : يا رسول الله ! إن فريضة الله على العباد في الحج وقد أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت

(71) هو محمد بن عباد المصري أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم ، فقه مفت يسر ، وهو من روى عنهم أبو غانم الخراساني في مدونه .

راجع ترجمته : الشافعي ، مرجع سابق ، ص 121 - 122 .

(72) أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، مرجع سابق ، ص 76 .

(73) راجع : 1 - ما مر من علي الشافعي (ت : النصف الأخير من القرن الثامن) الإيضاح ، ط : 2 ، بيروت : مطبعة الوطن ، 1971 م ، ج 2 ، ص 229 .

ب - محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت 595 هـ) بداية المجتهد ونهاية المفسد . بيروت : دار الفكر - لا ، ت 1 ، ج 1 ص 233 - 234 .

(67) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ط 3 ، القاهرة : دار العلم ، 1966 م ، ج 1 ، ص 36 .

(68) سليمان عبد الله الباروني ، مرجع سابق ، ص 107 - 108 .

(69) انظر : أ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، مرجع سابق ، ص 59 .

ب - الدرجيني ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 49 - 50 .

ج - سليمان الباروني ، مرجع سابق ، ص 107 - 108 .

د - سالم حمد العارفي ، العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 154 - 155 .

(70) لقب للمساكين إذ كان شامرا السواد .

على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ فقال : أفرأيت لو كان على أيك دين فقضيته أفكنت قاضية عنه ؟ قالت : نعم . فقال : فذا كذلك⁽⁷⁴⁾ .

ففي هذا دليل على أن وجود المال هو الإستطاعة⁽⁷⁵⁾ .
وأما ابن عباد المصري فإنه أسقط الحج عن الإمام لأخذه بما يعبر عنها الفقهاء (بالاستطاعة المباشرة)⁽⁷⁶⁾ والتي من شرطها الاستطاعة بالبدن والمال مع الأمن ، وعلا بالقياس الذي يقتضي أن العبادات لا يتوب فيها أحد عن أحد ، فإنه لا يصلي أحد عن أحد باتفاق ، ولا يزكي أحد عن أحد⁽⁷⁷⁾ .

ولعل هناك من يسأل أو يتساءل لماذا بعث الإمام عبد الوهاب بسؤاله ذلك إلى الربيع بن حبيب وإلى ابن عباد المصري ، أليس في جبل نفوسة الذي كان بين ظهرانيه وقتئذ علماء يرجع إليهم في المسألة ؟ ولم لم يكتف بإبن عباد المصري الذي كان أقرب مكانا من الربيع إليه ؟ ولم لم يأخذ بفتوى ابن عباد وأخذ برأي الربيع ؟ .

والجواب عن الفقرة الأولى من السؤال يتعين ببلى . لقد كان في جبل نفوسة عند مقدم الإمام الرستي إليه جم غفير من العلماء الفطاحل ، وأجلة الفقهاء الذين استنار المغرب الأدنى والأوسط بعلمهم ، من أمثال : محمد بن عبد الحميد الجناوني المعروف بابن مغطير⁽⁷⁸⁾ الذي تتلمذ على أبي عبيدة مسلم بالبصرة وعاد

(74) رواه الخمسة .

(75) عامر بن علي الشامي ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(76) و (77) ابن رشد : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(78) ابن مغطير كان أول من فكر في البعثات العلمية إلى أبي عبيدة مسلم في البصرة وأبتدأ بنفسه ، وحمل عنه العلم ورجع إلى ليبيا قبل أن يسافر حلة العلم إلى العراق سنة 135 هـ وصار مرجعا في التدريس والفتوى إلى أن تخرجت البعثة العلمية بالبصرة ورجعت إلى المغرب ، فأمسك عن الفتوى معتذرا بأن حلة العلم أولى بالفتوى لأنهم أخذوا عن الإمام أبي عبيدة بعد أن حار جميع الأقوال ، راجع ترجمته في : علي يحيى مممر ، مرجع سابق . الحلقة الثانية ، القسم الأول ، ص 27 - 30 .

إلى ليبيا قبل سفر حلة العلم إلى المغرب إليها ، ومهدي⁽⁷⁹⁾ النفوسي المتكلم المعروف الذي ناظر المعتزلة بتاهرت وأفهمهم ، وأبي زكرياء التوكيتي⁽⁸⁰⁾ الذي وصفه أحد المعانيين عندما سئل في أثناء زيارته إلى تاهرت زمن الإمام عبد الوهاب عن حال جبل نفوسة بقوله : «الجبل هو أبو زكرياء ، وأبو زكرياء هو الجبل» . وأبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي اختاره علماء الجبل وأهله إذ فوضهم الإمام عبد الوهاب وإليه على الجبل بعد وفاة عامله عليه أيوب بن العباس ، وأبي مرداس مهاصر التيرستي السدراتي أحد الذين جرت نسبة الدين على أيديهم ، وغير هؤلاء كثير . ثم إن الإمام نفسه من كبار علماء عصره حيث أخذ العلم عن اثنين من حلة العلم ، والده عبد الرحمن بن رستم ، وأبي داود القطبي .

وأن هاته المسألة لاتعجز أحدا من هؤلاء فقها ، ولكن مكانة الربيع الاجتماعية والعلمية - كما أشار الباحث - جعلت هؤلاء العلماء لا يقطعون أمرا - مها كان نوعه - دون الرجوع إليه ، باعتباره الإمام الروحي ، ووارث مكانة شيخه أبي الشعثاء ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة اللذين يرجع لهما الفضل في تأسيس حركة أهل الدعوة (الاباضية) .

(79) مهدي النفوسي : ذكره الدررجمي عن علماء الطبقة الخامسة (200 - 250 هـ) وقال عنه : «مزم الجندال ، ومصدره النحال ... الراصد لقيام أهل البع والبع والظلال» . وهو أحد الأربعة الذين أوفدوا إلى تاهرت لخدمة الإمام عبد الوهاب ، وكان أوفد خصيصا لمجادلة المعتزلة ، وهو أيضا من الذين تصدوا لكلمة نقاش الذي نشأ عصا الطاعة عن الإمام . راجع : الدررجمي . مرجع سابق ص 313 .
(80) أبو زكرياء التوكيتي نسبة إلى توكيت خربة جنوب قزرة بالرحبات وبها ضريحه ذكره الدررجمي عن علماء الطبقة الخامسة (200 - 250 هـ) وقال عنه : «كان علما لكل الفضائل ، ومعلما لكل ناهل» ، ولما اعتذر أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني عن ولاية الجبل زمن الإمام عبد الوهاب بعث إلى مشائخ الجبل بقطع عنده فقال : «إن كان صيف البدن فإن الله يقويه إذا تولى أمور المسلمين» ، وإن كان صيف الفل في بيت الال ما يسمعه ويسع غيره وإن كان ضعيفا في العلم فقلبه بأبي زكرياء التوكيتي . راجع سيرته -

أ - الدررجمي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 291 - 294 .

ب - الشامي ، السير ، مرجع سابق ، ص 182 .

ج - سليمان عبد الله الباروني ، الأزهار ، مرجع سابق ، ص 153 .

د - علي يحيى مممر ، الإباضية في المركب . مرجع سابق ، الحلقة الثانية - القسم الثاني ، ص 45 - 46 .

وبذلك أيضا لم يقتصر الإمام عبد الوهاب في استفثائه على ابن عباد المصري الذي كان أقرب مكانا من الربيع ، ورجح فتوى الربيع على فتواه .
ومن خلال ما ساقه الباحث مما تيسر له من النصوص التي أشادت بأخلاق أبي عمرو الربيع وصفاته من زهد ، وورع ، وتقوى ، وسداد رأي ، وعلم ، وأمانة يتبين أن الهالة التي أحاطها به معاصروه من أهل الدعوة (الإباضية) من التقدير والمحبة والاحترام كان لها أهلا وبها جديرا ، ومثل هذا فليعمل الماملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .
واليه في أشرف ميدان ، وأعظم مجال . إليه رحمه الله محدثا في الرعي
الأول . ورواية ثقة عن الرواة الرواد .

الباب الثالث

☆ الباب الثالث ☆

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدث .. وفيه :

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ مساهمة علماء الإباضية في تدوين السنة .
- ☆ نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وكيفية تلقيه له .
- ☆ جهود أبي عمرو في أداء ما تحمّل من الحديث .
- ☆ نماذج مما جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من أحاديث ، وعدد ما يتضمّنه منها .
- ☆ عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه وما قيل في حقه .

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه :-

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ معنى الفقه لغة واصطلاحاً .
- ☆ الفقيه والصفات التي يجب أن تتوفر فيه .
- ☆ المدرسة الفقهية التي ينتهي إليها الربيع بن حبيب .
- ☆ نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب ، وبعض أقواله التي لم يجر العمل بها في المذهب .
- ☆ وفاة الربيع .

شالشا پلبا

الربيع بن حبيب الفراهيدي المحدث

مقدمة الفصل :

يعتبر مطلع القرن الثاني الهجري مبعث حركة نشيطة لتدوين الحديث النبوي الشريف ، وبداية جادة لجمع السنة المطهرة وإخراجها من حيز الصدور إلى عالم السطور ، وذلك بعد ما تحطى الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز (99 - 101 هـ) - بأمره الرسمي الجريئ هذا العمل - ذلك الحاجز الذي أقيم لمنع الكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم ، خشية التباس أقواله عليه الصلاة والسلام ، وشروحه ، بالقرآن العظيم . ولا سيما إذا كان ذلك في صحيفة واحدة . فقد جاء فيها أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليحجه ، حدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »⁽¹⁾ .

فعل هذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد ما استند - في أغلب الظن - إلى آراء العلماء ، وإطمأن إلى تأييد كثرتهم⁽²⁾ ، وذلك لحوفه على دروس العلم وذهاب أهله . فقد أورد الإمام البخاري في هذا الخصوص ما نصه : « وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفتشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا

(1) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ) ، صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، لا ت : ج : 8 ، ص 229 .
(2) انظر : صحي الصالح ، علوم الحديث ومطالعه ، ط : 6 . بيروت : دار العلم للملايين ، (1973) ، ص (44) .

يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا⁽³⁾ ، وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الأفاق : « انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه »⁽⁴⁾ .

هذا ما حل ابن عبد العزيز على تدوين السنة من جهة ، ولحرصه الشديد - من جهة أخرى - على سلامة الحديث من الكذب والوضع اللذين فشيا وانتشرا بين الأوساط الإسلامية على إثر انقسام المسلمين على أنفسهم شيعا وأحزابا بقيام الفتنة الكبرى وما تلاها من أحداث سبقت الإشارة إليها في فصل سابق⁽⁵⁾ . وفي هذا المعنى يقول محمد بن شهاب الزهري (ت 124 هـ) وهو أحد أئمة الحديث والسنة ، ومن أوائل من كتب لعمر بن عبد العزيز : « لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق⁽⁶⁾ نتركها ، ولا نعرفها ما كتبنا حديثا ، ولا أذنت في كتابه »⁽⁷⁾ .

ومع ذلك التاريخ قام العلماء في كل مصر بما نديوا إليه خير قيام ، وأقبلوا على جمع الأحاديث والسنة والآثار ، وتمييز صحيحها من سقمها ، ومقبولها من مردودها ، وأخذت الحركة العلمية التدوينية تزدهر يوما بعد يوم في أنحاء الدولة الإسلامية وإن لم تظهر المؤلفات إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

1 - مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث النبوي والسنة المطهرة

كان أئمة الإباضية من أوائل من أسهموا بمجهودهم المخلصة في حركة التدوين المباركة التي حفظت للأمة الإسلامية أصلها التشريعي الثاني بعد كتاب الله

العزیز . يقول الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه (إسلام بلا مذاهب) : ... وهم (أي الإباضية) أول من دَوَّن الحديث ، وأول من قام بذلك جابر بن زيد المتوفى سنة 93 هـ جمع الحديث في كتاب أسماه «ديوان جابر» ، ولكن هذا الديوان مفقود بكل أسف ، ثم رسم على منواله الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش حوالي منتصف القرن الثاني ، وكتابه معروف باسم «مسند الربيع بن حبيب» وهو مطبوع متداول⁽⁸⁾ .

وقال المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سابقا في مقدمته للجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي : «ومن غن الطالع على الحديث أن يكون الربيعان الربيع بن صبيح ، والربيع بن حبيب في طليعة ركب الجامعين للحديث ، والمصنفين فيه ، ومن الأسف أنا لا ندرى شيئا عن مصير مسند ابن صبيح ، وعسى أن يتم بذلك الباحثون عن نفائس المخطوطات ، ومن لطف الباري أن أبقى لنا مسند سمّيه الربيع بن حبيب ، ثم من نعمته عليّ أن وفقني لإعادة نشره مع شرح علامة عان عبد الله بن حميد السالمي ، ولما يطلع على المسند وشرحه من علماء مصر والشام والعراق إلّا قليل »⁽⁹⁾ .

وهناك أيضا في الرعييل الأول من أئمة الحديث من الإباضية غير أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي رجال ثقات روى عنهم بعض أئمة الحديث ، ووثقهم نقاد الحديث واعترفوا بصدقهم ، فلنستع إلى المغفور له الشيخ أبي إسحاق إبراهيم طغيش⁽¹⁰⁾ يحدّثنا عنهم في كتابه (نقض شبهات المؤرخين) فيقول :

(3) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . (ت 852 هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري . بيروت : دار المعرفة ، لا.ت. ج : 1 ، ص : 174 .

(4) العسقلاني ، نفس المرجع . نفس الصفحة في الشرح .

(5) انظر : الفصل الثاني من الباب الأول - الفقرة : 2 .

(6) بقصد العراق وقتئذ وتسمى (بدار الحرب) .

(7) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، (ت 463 هـ) ، تنقيح العلم . (محق : يوسف المش) ، ط : 2 ، القاهرة : دار إحياء

السنة النبوية ، 1975م ، ص : 108 .

(8) مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، ط : 3 ، لا.ت. 1979م ، ص : 169 .

(9) عبد الله بن عبد السالمي ، (ت 1332 هـ) ، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (محقق : عز الدين

التنوخي) . دمشق : المطبعة العمومية ، 1963م ، ج : 3 ، ص : 10 ، د.و.هـ .

(10) أبو إسحاق طغيش : أحد أعلام النهضة الجزائرية الحديثة الذين نفاها الاستعمار الفرنسي إلى تونس ثم إلى مصر .

(استقر بالقاهرة موطئا بدار الكتب المصرية ، وتفرغ للعلم والبحث والتحقيق ، خدم التراث العلمي الإباضي خدمة

«وأصحابنا أقرب إسناداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشدّ تثبيتها ، وأبعد عن الضعف في الحديث ، بشهادة أئمة الحديث من سائر الطوائف حتى قالوا عنهم : إنهم أصدق الأمة حديثاً ، وهو الحق الذي لا شبهة فيه .
فقد روى البخاري عنهم ، ومالك بن أنس اليحصبي⁽¹²⁾ المدني كان من أصحابنا من هم شيوخه :

كثور بن زيد الديلي - بكسر الدال - المدني مات سنة 135 هـ وثقه يحيى بن معين ، وابن زرعة والنسائي وغيرهم . وقال ابن عبد البر صدوق لم يتهمة أحد .

ومن شيوخ مالك الإباضية : دواد بن الحصين المدني مات سنة 135 هـ ، وثقه العجلي وابن معين ، وابن إسحاق ، وابن سعد ، والنسائي ، ومثل مالك كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن زيد ، وذكر غيرها ؟ فقال : «لأن يخرجوا من السجاء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكتنبوا ...» .

وكان من أئمة أصحابنا بالمدينة : محمد بن عباد المدني : وهو معاصر للإمام الحافظ الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي إمام الحديث بالبصرة ، وكلاهما من منتصف القرن الثاني .

وفي رسائل ابن تيمية أنه قال : «لا يعرف عن أحدهم الكذب قط» .
ومن رجال الحديث الإباضية . الوليد بن كثير القرشي المخزومي المدني نزيل الكوفة ، وثقة ابن معين ، وأبو داود ، والبخاري ، والأجري ،

مات سنة 151 هـ . وأبونوح صالح بن لوح الدهان البصري أخذ عن جابر بن زيد ، وحيان ابن الأعرج البصري وثقه ابن معين ، وأخذ عن جابر وصحاح ابن العباس العبدي ، كان من أخص أصدقاء الإمام جابر ، وشيخ الإمام أبي عبيدة مسلم وكان من خطباء عمان وأدبائها ، وهو أول من ألف في الأدب ، وله تأليف في أمثال العرب ، ذكره ابن النديم في الفهرست⁽¹³⁾ ، وابن الأثير في كامله⁽¹⁴⁾ . قيل : إنه كان عثانياً . وحاجب بن عمرو الثقفي أبو خثيلة البصري ، روى عن عمه الحكم بن الأعرج ، وابن سيرين ، والحسن البصري ، وهو معدود من الثقات ، وروى عنه ابن عون وهو أكبر منه سناً ، وشعبة وهو من أقرانه ، وحامد بن زيد ، وابن عليه ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، وكيع ، والقطان ، وأبونعم صاحب الحلبة ، وسمع منه ابن عينية وقال : سمعت حاجباً . ووثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، والعجلي ، وقال للأجري عن أبي داود : «رجل صالح» وذكره «ابن حبان في الثقات» وكان رأساً في الإباضية قائماً بمهتمة الكبرى ، وكان عوناً للإمام أبي عبيدة ، توفي سنة 158 هـ وتوفي بعده أبو عبيدة بمدة قصيرة⁽¹⁵⁾ .

هذا وعلى ذكر أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لشيخه مالك بن أنس : ثور بن زيد الديلي ، وداود بن الحصين الإباضي ، وإشارته العابرة إلى ما قاله عنها ابن عبد البر فإن الباحث لا يسعه إلا أن يثبت ما قاله عنها في كتابه (التبديد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وكذلك ما روى عنها الإمام مالك من أحاديث باستقاضة وتفصيل .

(12) جاء في الفهرست للنديم : وصحار بن العباس ، أحد السابقين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وله مع دخل أخبار . وكان صحار عثانياً من عبد الله بن مسعود ، وروى عن النبي حديثين أو ثلاثة ، وله من الكتب كتاب الأمثال . راجع : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم (ت 380 هـ) ، كتاب الفهرست ، (حق - رضا - محمد) - لا ، ب ، لا ، ت ، 380 ، ص 102 .
(13) علي بن محمد بن الأثير الجزري ، (ت 830 هـ) . الكامل في التاريخ - بيروت : دار الفكر 1978م ، ج 2 ، ص 144 .
(14) سالم محمد بن يعقوب الجري - معتطف من كتاب نقض شبهات المورخين - مطبوعة ، تونس : جربة ، لا ، ت .
(15) ص 50 - 54 .

--- جلية . فقد حقق ، وصحح وعلم على مجموعة من المؤلفات الإباضية منها : شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب لعبد الله بن عبد السامي الجزري الأول والثاني ، وحقبة الأيمان للسامي نفسه ، ونسخ النيل الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر لعمه قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش ، والتعجب العاظم أطفيش عمه أيضاً ، وتعليق على كتاب الوضع لأبي زكرياء يحيى بن الخير الجناوني ، وله كتاب نقض الشبهات ، والدعاية إلى سبيل المؤمنين ، ورسالة النقد الجليل للعب الجليل ، وغيرها من الرسائل . وشارك في تحقيق تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . وكان محرر مجلة المنهاج التي اشتهرت بالدفاع عن قضايا الإسلام والعروبة بصفة عامة ووطنه الجزائر بصفة خاصة . توفي رحمه الله سنة 1966م . بالتفاهة .
(11) لعله أراد : الأصمعي .

أولا : ثور بن زيد الديلي : هو من أهل المدينة صدوق روى عنه مالك بن أنس ، وسليمان بن بلال ، وأبو أويس ، والذراودري لم يتهمه أحد بالكذب ، وكان ينسب إلى رأي الخوارج والقول بالقدر⁽¹⁵⁾ ، ولم يكن يدعو إلى شيء من ذلك . قال أحمد بن حنبل : هو صالح الحديث وقد روى عنه مالك . قال أبو عمرو : كأنه يقول : (أي أحمد بن حنبل) حسبك برواية مالك عنه . توفي ثور بن زيد هذا سنة خمس وثلاثين ومائة ، لا يختلفون في ذلك ، وذكر الحسن بن علي الحلواني عن علي بن المديني قال : كان يحيى بن سعيد يأبى إلا أن يوثق ثور بن زيد وقال : إنما كان رأيه ، وأما الحديث فإنه ثقة . إلى أن يقول : لمالك عنه في الموطأ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث ، أحدها مسند متصل ، والثلاثة منقطعة ، يشركه في أحد الثلاثة حيد بن قيس . والأحاديث بأسانيدها هي :

1 - مالك ، عن ثور بن زيد الديلي ، عن أبي الغيث سالم مولى بن مطيع ، عن أبي هريرة أنه قال : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عام خيبر ، فلم نغم ذهب ولا ورقا ، إلا الأموال ، الثياب والمتاع ، قال : فأهدى رفاعه بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما أسود يقال له : مدع ، فوجه⁽¹⁶⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ، حتى إذا كانوا بوادي القرى ، بينا مدع يحيط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر⁽¹⁷⁾ فأصابه فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة . فقال رسول الله : «كلا ، والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغام لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا» ، قال : فلما سمع الناس ذلك ، جاء رجل بشراك⁽¹⁸⁾ أو

شراكين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله : «شراك أو شراكان من فار» .

2 - مالك عن ثور بن زيد الديلي عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : «لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» .

3 - مالك عن ثور بن زيد الديلي أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أيما دار أورش قسّمت في الجاهلية فهي على قسم الجاهلية ، وأيما دار أورش أدركها الإسلام ولم تقسم فهي على قسم الإسلام» .

4 - مالك عن حميد بن قيس وثور بن زيد أنها أخبراه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدهما يزيد في الحديث على صاحبه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فقال : «ما بال هذا ؟» قالوا : نذر ألا يتكلم ولا يستظل ولا يجلس ويصوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليجلس ، وليتم صيامه»⁽¹⁹⁾ .

ثانيا : داود⁽²⁰⁾ بن الحصين أبو سليمان مولى عبد الله بن عمرو بن عثمان ، كذا قال مصعب الزبيدي . وقال ابن إسحاق : داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان مدني جائز الحديث . وقال يحيى بن معين : داود بن الحصين ثقة . قال مالك رحمه الله : كان لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في الحديث ، قال ذلك فيه وفي ثور بن زيد ، وكنا جميعا ينسبان إلى القدر وإلى مذهب الخوارج ، ولم ينسب إلى واحد منها كذب ، وقد احتلّا في الحديث وروى عنها الثقات الأئمة ... وتوفي داود بن الحصين بالمدينة سنة خمس وثلاثين ومائة وهو

(15) الإيضاح لا يقولون بالقدر ، ولعل الرواية التي ساقها الدرجي في طبقاته والتي أئبح إليها الباحث في الفصل الثالث من الباب الثاني للقرعة 3 ، بشأن طرحة أربعة بن عطية بن مجلس الزبيح بن حبيب لإضاده هو وأبوه أهل عراسان يدعونها لهم بقول أهل القدر . هذه الرواية غير شاهدة على بعد الإيضاح عن هذه الجملة .

(16) ووجه أي توجهه .

(17) عائر ، أي لا يدري من رمى به . وقيل هو الحائد عن قصده .

(18) شراك : حير التعل على ظهر القدم .

(19) انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد الله ، (ت 463 هـ) . العهد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . (نقح : هيئة من العلماء العاملين بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية) المحمدية بالمغرب : مطبعة فضالة ، لا . تد . ج : 2 ، ص 1 وما بعدها .

(20) نفس الموضع ، ص . 31 .

ابن اثنين وسبعين سنة ومالك عن داود من مرفوع حديث الموطأ أربعة أحاديث منها ثلاثة متصلة وواحد مرسل . وهي :

1 - مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين ، فقام ذو اليمين فقال : أقصرت الصلاة يا رسول الله ! لم نسيت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ذلك لم يكن » . فقال : قد كان بعض ذلك يارسول الله ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « أصدق ذو اليمين ؟ » فقالوا : نعم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتم ما بقي من الصلاة ، ثم سجد سجدتين بعد التسليم وهو جالس⁽²⁷⁾ .

2 - مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي سعيد الخدري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزانية ، والمحاقل ، والمزانية اشتراء التمر بالتمر في رؤوس النخل ، والمحاقل كواء الأرض بالخنطة)⁽²⁸⁾ .

3 - مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخص في بيع العربا يخرصها فيما دون خصة أوسق أو في خصة أوسق)⁽²⁹⁾ . يشك داود قال : خصة أودون خصة .

4 - مالك عن داود بن الحصين عن الأعرج⁽³⁰⁾ : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الظهر والعصر في سفره إلى تبوك)⁽³¹⁾ .

(27) انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد البر ، نفس المرجع ، ص 331 .

(28) أبو سفيان : هو قرطبان من الطبقة الثالثة ، مدني ثقة حجة في الرواية ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وكان مكاتباً وكان يملئ لبيبي عبد الأشول في رمضان وفيهم قوم قد شهدوا بدرًا والعقبة يصلون خلفه . انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد البر ، القليل نفس المرجع ، ص 323 .

(29) ابن أبي أحمد : هو عبد الله بن أبي أحمد بن جحش الأسدي . المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

(30) أبو أحمد : هو عبيد بن جحش أخو زبيب بنت جحش زوج النبي ﷺ .

(31) نفس المرجع ، ص 313 .

(27) الأعرج : هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، من خيار التابعين ، توفي سنة 128 هـ بالإسكندرية . انظر نفس المرجع ، ص 337 .

(28) نفس المرجع ، ص 337 .

تلك هي لغة مختصرة عن الجهود الصادقة التي بذلها الرعيل الأول من أئمة ومشائخ الإباضية في مجال تحمل الحديث النبوي الشريف وروايته ، والمحافظة على السنة المطهرة وأدائها .

ولما كان أبو عمرو الربيع بن حبيب أحد هؤلاء السابقين إلى هذا العمل النبيل ، وانفرد دونهم - باستثناء أبي الشعثاء جابر بن زيد - بتدوين ما تحمل من الأحاديث في فترة مبكرة من عمر التدوين ، وأودعها كتابه المسمى «بمسند الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري» الذي اعتد عليه الإباضية كأصل ثان لتشريعاتهم بعد كتاب الله عز وجل منذ أن عرف طريقه إلى أيدي مشائخهم وعلمائهم حتى يومنا هذا ، .. لما كان هذا من أبي عمرو الربيع بن حبيب - رأى الباحث أن يتناوله بالدراسة كحدث في هذا الفصل دون غيره .

2 - نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وكيفية تلقيه له

لعل ما وصل إلينا من آثار أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وتدوينه له - سواء أكان ذلك في مسنده المتداول بيننا ، أو ما جاء فيما يسمى (بكتاب آثار الربيع) المخطوط والذي اعتنى بجمعه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة - لعل ذلك يحدد لنا المظهر العام لنشاط الربيع في كيفية تلقيه للحديث النبوي الشريف وأدائه له في مدينة البصرة بالعراق ، حينما جعلت السنة تنتشر في العالم الإسلامي عند نهاية القرن الأول الهجري ، وصارت تحتاج إلى هذا اللون من النشاط ، وكانت الحال الاجتماعية والفكرية للبيئة الإسلامية العامة والخاصة تتأثر بهذا النشاط بل وتجه ، إذ بدأت معالم الوضع للأحاديث ، واختلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم يدر قرنها ، ويستفحل أمرها - ولا سيما في العراق - موطن الملل والنحل ، وجمعت الزعاعات والأهواء وسار الضرب⁽³²⁾ - كما أسماها مالك - للأحاديث .

(29) انظر : مصطفى حسني السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ط : 2 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1976 م ، ص 93 .

أ- يبدو أن أبا عمرو الربيع بن حبيب لم يكن من الرحالة في طلب الحديث ، كأولئك الذين سمع عنهم أنهم كانوا يقطنون الفياضي ، ويجوبون الأقطار الإسلامية المترامية الأطراف من أجل طلب الحديث الواحد .

فقد جاء عن التابعي الكبير سعيد بن المسيب⁽³⁰⁾ (ت 94 هـ) قوله : «إن كنت لأرجل الأمام والليالي في طلب الحديث الواحد»⁽³¹⁾ . وعن أبي قلابة : «لقد أقيمت بالمدينة ثلاثاً ما لي حاجة إلا رجل عنده حديث واحد تقدم ، فأجمعه منه»⁽³²⁾ . وقال مكحول⁽³³⁾ : «كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هذيل فأعتقتني ، فما خرجت من مصر وها علم إلا حوت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وها علم إلا حوت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الشام فغيريتها كل ذلك أسأل عن النفل»⁽³⁴⁾ ، فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء ، حتى أتيت شيخاً يقال له : زياد⁽³⁵⁾ بن جارية التميمي فقلت له : هل سمعت في النفل شيئاً ؟ قال : نعم «سمعت حبيب»⁽³⁶⁾ بن مسلة الفهري يقول : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم نفل الربيع في البداة ، والثالث في الرجعة»⁽³⁷⁾ .

- (30) أحد أعلام التابعين ولد سنة 15 هـ ، روى عن عدد من الصحابة منهم عمر ، وعثمان بن عفان ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص وأي خزيمة وسعد الله بن حبان وابن عمر ، ورواه عن صهره أبي هريرة . وضع عنه كتاب التابعين لأبي هريرة وغيره . أجمع أهل الحديث على ثبته ، توفي في سنة 93 هـ . راجع : ابن حجر العسقلاني ، (ت 853 هـ) التهذيب ، ج 4 ص 84 - 88 .
- (31) صحيح الصالح ، علوم الحديث ومطلعه ، ط 6 ، بيروت : دار العلم للكتاب ، ص 5 .
- (32) هو : عبد الله بن زيد الصري ، كان رأساً في العلم ، طلب للقضاء فهرب ونزل الشام . توفي سنة 104 هـ . انظر : ابن العار ، ذخرات الذهب ، ج 1 ، ص 126 .
- (33) صحيح الصالح . نفس المراجع ، نفس الصفحة .
- (34) النفل : حركة : الفتيحة .
- (35) هو : أبو عبد الله يقال له : أبو أيوب ، ويقال أبو مسلم الفقيه الدمشقي ، وثقة المجلي ، وقال أبو حاتم : ما أعلم بالشام أقره منه ، توفي سنة 112 هـ .
- (36) من دمشق يقال إن له صحبة روى عن مكحول وغيره ، وثقة النسائي . راجع ابن حجر التهذيب ، ج 4 ، ص 356 - 357 .
- (37) قال صاحب المغني : حبيب بن مسلة كان مستجاب الدعوة شريف الدين . وقال البخاري له صحبة . انظر : ابن حجر ، التهذيب ، ج 2 ، ص 54 - 55 .

تقول : إن الربيع بن حبيب لم يكن مثل أولئك الذين ذكروا كنهاذج للرحلة في طلب الحديث اعتادوا على تلك المصادر التي تحدثت عن حياته العلمية ، وإن كان هذا لا يعني أنه لم ينتقل مطلقاً بين العواصم العلمية وقتئذ . فقد كانت له رحلات ورحلات إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة اللتين كانتا مصدر الهداية ، ومنع السنة - لأداء فريضة الحج والعمره - وخصوصاً عندما تولى الزعامة الروحية والعلمية للإباضية بعد عجز شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثم وفاته رحمه الله ، إذ كانت مواسم الحج والعمره أعظم فرصة تتاح لالتقاء مشائخ الإباضية وطلبتهم ، بأنهم ومنظمي حركتهم بالبصرة منذ زمن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وذلك لتنظيم شؤونهم الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية . وقد سبق للمباحث وأن أشار⁽³⁸⁾ إلى اهتمام علماء البصرة وأغنيائها بالإعداد لمثل تلك اللقاءات ، وتخبر من سيتولى أمر المسلمين في موسم الحج للذين سيفدون من الأقطار الإسلامية المختلفة ، وكان الإلحاح على أبي عمرو الربيع بن حبيب شديداً لتولي هذا الأمر - بعد أبي عبيدة مسلم ، فكان بذلك يرحل إلى الحرمين الشريفين لذلك الغرض ، ولكنه في ذات الوقت استفاد في مجال رواية الحديث (تعملاً وأداءً) لما عرف عنه من العناية بالسنة وتدوينها ، أمّا بالنسبة لتلقي الحديث والتفسير والفقه في البصرة فقد كان للربيع نشاط ملحوظ ، إذ أنه لم يقتصر في تلقيه الدروس عن شيخه أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وغيرهما من علماء أهل الدعوة ، ولكنه أخذ عن عدد من علماء الأمة الذين أشار إلى أمثالهم عند الحديث عن مشائخه⁽³⁹⁾ ، إلا أنه اقتصر في مسنده على تدوين روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم عن شيخه أبي الشعثاء عن الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث لم يرد فيه من غير طريقها إلا ثلاثة أحاديث :

(38) راجع : الفصل الثالث من الباب الثاني . الفقرة «السكنة الاجتماعية والعلمية وإنتاج الربيع العلمي» .

(39) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني «الفقرة : (شيخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده)» .

أحد هذه الثلاثة في الباب الثالث (في ذكر القرآن) رقم (16) من طريق عبد الأعلى⁽⁴⁰⁾ بن داود ونصه : (قال الربيع بن حبيب عن عبد الأعلى بن داود عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، وكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزل منه حتى جمعه» قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بالقضية فينزل القرآن بخلاف قضائه فلا يرد قضاءه ويستقبل حكم القرآن⁽⁴¹⁾ .

أما الحديثان الآخران فقد رواهما الربيع عن يحيى بن كثير : أولهما موقوفا في الباب الثالث أيضا (في ذكر القرآن) رقم (17) ونصه :

(قال الربيع عن يحيى⁽⁴²⁾ بن كثير ، عن شعيب⁽⁴³⁾ ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والباينة ، والتوبة مدنيات ، والرعد مدنية إلا آية واحدة وهي ، «ولوا أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض»⁽⁴⁴⁾ والنحل ما فوق الأربعين من أولها إلى آخرها مدني ، والجم مدنية إلا أربع آيات وهي : «وما أرسلنا من قبلك من رسول ...» إلى قوله : «عذاب يوم عقيم»⁽⁴⁵⁾ مكية ، والنور كلها

(40) عبد الأعلى بن داود رواية ثقة ، وثقه ابن معين وأبو حاتم ، وقال عنه عبد بن سعد في طبقاته : «كان عالما ناسكا ، روى عن هشام بن عروة ، والأعمش وابن جريح وغيرهم ، وروى عنه ، بشر بن الحارث ومحمد وبنسار وغيرهم . توفي سنة 213 هـ من تبع ولما في سنة : رابع ، السائي ، شرح مسند الربيع بن حبيب ، ج 1 ص 35 .

(41) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . الجميع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ ، ص 11 .

(42) يحيى بن كثير بن درهم البصري ويكنى أبا عثمان ، قال السائي : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، مات سنة 206 هـ . على ما ذكره ابن عاصم ، رابع ، السائي ، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع ، مصدر سابق ج 1 ص 37 .

(43) شعيب ، قال السائي : يشبه أن يكون هو شعيب بن أبي إسحاق الأعمى . كان مولد أبي أمية ، وكان بصريا ، ثم نزل دمشق ، وثقه غير واحد ، وقال أحمد : ما صح حديثه ! وقال ابن أبي شيبة : مات سنة 189 هـ وعمره إحدى وسبعون سنة رابع السائي ، نفس المصدر ، ج 1 ص 37 .

(44) الرعد : 31 .

(45) النحل : 52 - 55 .

مدنية ، والأحزاب كلها مدنية ، والقتال ، والفتح ، والحجرات مدنيات ، ومن الحديد عشر سور متواليات إلى : «يأيتها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» فهذا كله مدني ، «ولم يكن الذين كفروا» مدنية ، «وإذا جاء نصر الله والفتح» مدنية ، والمعوذتان مدنيتان ، فهذه سبع وعشرون سورة مدنيات ، وسائر القرآن مكِّي⁽⁴⁶⁾ .

والحديث الثاني : - في الباب السادس والخمسين : (ثم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) رقم (739) ونصه :

(الربيع عن يحيى بن كثير ، عن عطاء⁽⁴⁷⁾ بن السائب قال : «كنا عند عبد الله» ابن الحارث فقال : أتدرون لمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» ؟ قال : قلنا : لا قال : إنما قال ذلك من قبل عبد الله بن أبي جذعة أتى ثقيفا بالطائف فقال : هذه حلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أتبوأ أي يوتكم شئت ، فقالوا هذه بيوتنا فتبوأ أي شئت . فانتظر سواد الليل وقال : وأتبوأ أي نسائك شئت ، فقالوا : إننا عهدنا برسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم الزنا فمرسل إليه ، فأرسلوا إليه رسولا ، فصار إليه وقدم عليه عند الظهر فقال : يا رسول الله ! أنا رسول ثقيف إليك . إن ابن أبي جذعة أتانا فقال : هذه حلة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ، أمرني أن أتبوأ أي يوتكم شئت ، فقلنا : هذه بيوتنا فتبوأ أي شئت ،

(46) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري ، مصدر سابق ، ج 1 ص 11 ، 12 .

(47) يكنى أبا محمد ، أحد الأئمة في الحديث والفقه ، مع أنسا ، وابن أبي أوفى ، وغرو بن حريث ، وروى عنه شعيب والسفيانان ، ويحيى القطان ، وغيرهم . قال ابن سعد : مات سنة 136 هـ وثقه أحمد ، والسائي ، والجلي ، وقال ابن عدي : اختلط في آخر عمره . رابع : ترجمته باختصار : السائي ، المرجع السابق ، ج 3 : ص 602 - 603 .

(48) قال السائي : الأشبه أنه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي له ولأبيه صحبه ، كنيته أبو إسحاق ، وقيل أبو محمد ، وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وله قبل وفاة النبي ﷺ بنتان ، وصحة عليه الصلاة والسلام روى عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، والعباس ، وأبي بن كعب ، وروى عنه أنبأه إسحاق وعبد الله وسليمان بن يسار وغيرهم . مات بعاه سنة 84 هـ رابع ، السائي ، نفس المصدر (حق) من الذين اتواهم : دمشق : المطبعة الميمنية ، 1963م ، ج 3 : ص 603 .

فاتنظر سواد الليل وقال : وأتوب أي نساكم شئت . فقلنا عهدنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحرم الزنا !! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا لم أر أشد منه ثم قال : «يا فلان ! ويا فلان !⁽⁴⁹⁾ اذهبا إليه فإن أدركتهما فاقتلاه وأحرقاه ، ثم قال : لا أراكا تآتياه إلا وقد كفيتهما» قال : فخرج في ليلة مظيرة ليقيض حاجته فلدغته حية فقتلته ، فأحرقه الرسولان ، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁵⁰⁾ .

هذا ولعل الذي جعل أبا عمرو الربيع بن حبيب يقصر جهوده في تدوين الحديث النبوي الشريف والفقهاء على أشياخه من أهل الدعوة دون غيرهم من محدثي الأمة وقفهاها ، إنما يرجع - في نظر الباحث - إلى عوامل ربما كانت وليدة لتلك الظروف والملابسات التي واكبت حياته التي امتدت طيلة زمن ازدهار الدولة الأموية حتى ضعفها وانهارها ، ومدة نشوء الحركة العباسية سراً إلى إعلانها ثم قيامها دولة ، وتعاطفها نفوذاً واتساعاً ، واكتال نشاطها فكرياً وسياسياً ، وما نجم عن ذلك كله من صراع حزبي سياسي ، واتجاهات أيديولوجية وتحلية ، جعلت المسلمين ينقسمون على أنفسهم شيعاً وطوائف تتعصب كل فرقة منها لأتباعها طريقة ومذهباً ، فهؤلاء سنية ، وأولئك معتزلة ، وتلك شيعة ، وغيرهم خوارج ، وأصبح كل فريق لا يعتقد بأراء الآخر ، ولا يقبل أحاديث جاءت من غير أتباع فرقته إلا النادر القليل الشاذ ، وذلك عندما كثر الوضع ، وفشا الكذب والاختلاق ، وتغمر المتعصبون لأحزابهم السياسية ، وشيعهم التحلية أن يضعوا أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد ما يعتقدون ، وتتناصر من يكرهون .

(49) يافلان 1 ويا فلان 1 : هما : أبو بكر ومرويس رضي الله عنهما كما جاء عن الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
(50) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . مصدر سابق . ج : 2 ، ص 191 - 192 .

إن هذه العوامل تتمثل فيما يلي :

1 - تخليص الحديث النبوي الشريف ، والسنة المطهرة من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق ، ولا يمكن أن يطعن الربيع من ذلك إلا إذا أخذ عن الثقات الذين لا يتعمدون الكذب مطلقاً ويعتقدونه كبيرة حتى على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف به إذا كان عليه صلى الله عليه وسلم وهو القائل : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁵¹⁾ . وأشياخه من الإباضية هم الذين يرون ذلك ويعتقدونه ، فكان أولى له أن يحدث عنهم ، ويدون ما جاء من طريقته .

2 - معاملة علماء غير الإباضية بالمثل ، حيث إنهم يرون الخوارج مبتدعة - ويعتقدون أن الإباضية منهم - ولا ينبغي أن تروى عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أن يعتمد على إسنادهم ، إلا ما كان من الإمامين : مالك والبخاري اللذين روايا عن بعضهم ، ولكنها عوتبا عما فعلا . فقد قيل لمالك : كيف رويت عن داود بن الحصين ، وثور بن زيد ، وذكر غيرها ؟ فقال : «لأن يخرجوا من النساء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا»⁽⁵²⁾ . لذلك اقتصر الربيع في روايته عن مشائخه من أهل الدعوة (الإباضية) ...

3 - تجنب الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة الكبرى ، أو التي اشترك رواها في الفتنة ، بمعنى أن الصحابة كلهم عدول إلى زمن الفتنة . وأما بعد الفتنة فهم كغيرهم يخضعون إلى الجرح والتعديل ، وفي هذا المعنى يقول الإمام السالمي :

أما الصحابي فقيل عدل وقيل مثل غيره والفصل بأنه عدل إلى حين الفتن وبعددها كغيره فليمتحن ليس هناك لأبي عمرو الربيع بن حبيب شرط وضعه في تلقيه للحديث

(51) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . مصدر سابق . ج : 2 ، ص 191 - 192 .

(52) أبو عمرو يوسف بن عبد الله . مرجع سابق . ج : 2 ، ص 310 .

النبي الشريف أو يمكننا استنباطه من لفظ ما ورد في مسنده من أحاديث كشرط الإمام البخاري ومسلم وغيرها من أئمة الحديث . فإن ما رواه دونه في مسنده كان جلّه قد أخذه مشافهة ومباشرة من شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن شيخها أبي الشعثاء جابر بن زيد عن الصحابي ، وهذا النوع من التحمل هو ما يسمى عند علماء مصطلح الحديث (بالسماع) من لفظ الشيخ إملاء أو تحديداً ، أو من حفظه أو كتابه . وهو أعلى درجات التحمل عندهم .

ولذلك جاءت سلسلة إسناده الثلاثية ذهبية ، لأنها قصيرة ، وقرينة الاتصال بالنوع الحمدي الصافي ، ولشجرة رجالها بقوة الحفظ والضبط ، وكال الصدق والسياسة والأمانة . وفي هذا الخصوص يقول المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي في معرض حديثه عن رتب الحديث الصحيح في مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب :

«إن رتب الصحيح تتفاوت تفاوت الأوصاف المقترضة للتصحيح ، وأن من المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث أنه أصح الأسانيد الثلاثية ، كسند الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه . وسند إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود . وسند مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهو قول : البخاري ... إلى أن يقول : ويشبه هذه السلاسل الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب وثلاثياته ، أبو عبيدة ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس . ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال ، وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار أو إرسال ، ولا انقطاع وإعصال ، لأن الثلاثيات بأجمعها موصولة باتصال إسنادهما ، ولم يسقط من أسانيد الثلاثية أحد . (والمعضل) هو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر بشرط التوالي كقول مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الشافعي : قال ابن عمر .

وقد يورد على قولنا هذا أنّ في مسند الربيع البلاغ والسماع مما يجعل الحديث مرسلًا ، ويجاب على هذا القول : إن رجال هذا المسند إذا نقلوا عن غير مشافهة بينوا ذلك بقولهم : (بلغني) ، أو (بلغنا) ، أو (سمعت من فلان) أو نحو ذلك ما

يبعد بالسند عن التدليس ، فهم رحمهم الله أجل وأتقى من أن يوهوا الناس بالسماع وليسوا سامعين .

وبذلك يظهر أن عنقته هذا السند مقطوع باتصالها ، لأن أبا عبيدة أخذ عن جابر ، وجابر أخذ عن الصحابة مباشرة ، حتى قيل : إنّ أبا عبيدة أدرك من أدركه جابر من الصحابة .

ومن مزايا هذه الثلاثيات ، أو السلاسل الذهبية ، سهولة حفظها . وحافظ المسند الثلاثي الرجال إذا روى حديثاً من أحاديث صدره بسنده الثلاثي الذي لا يختلف في جميع أبوابه وحفظ الأحاديث الثلاثية أسير على المستظهر من حفظ سلاسل طويلة كثيرة الحلقات والرجال ، ولأنه يسهل على حافظ الثلاثيات معرفة رجالهم لقلتهم ، والتثبت من أوصافهم بالحفظ والصدق ، والأمانة أكثر مما يعرفه عن رجال سلسلة عديدة الحلقات ، قد يوجد بينهم من لا يطمئن القلب بصدقه وديانته ، مما يضعف الحديث ، ويجعله غير مقبول .

ولمزايا هذه الثلاثيات أهم كثير من أئمة الحديث بتأليف الثلاثيات نذكر منها : ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل المطبوعة بدمشق سنة 1380 هـ وشرحها في جزأين الإمام محمد السقاريني ، وعدد ثلاثياته خمسة وستون ومائة حديث ، وثلاثيات البخاري وهي في صحيحه اثنان وعشرون حديثاً ، غالبها عن مكي بن إبراهيم عن حدث عن التابعين ، وهو في الطبقة الأولى من شيوخه مثل : محمد بن عبد الله الأنصاري ، وأبي عاصم النبيل ، وأبي نعيم ، وخلاّد بن يحيى ، وعلي بن عباس . وثلاثيات الدارمي وهي : خمسة وعشرون حديثاً وقعت في مسنده بسنده . وثلاثيات الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمود الناجي وغيرهم . ونضيف اليوم إليها :

ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدي ، وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً ، ورجال سلسلته الثلاثية الحلقات هم : أبو عبيدة التيمي ، وجابر

ابن زيد الأزدي ، والبحر عبد الله بن عباس شيخ جابر ، وغيره من الصحابة ، وهم بأجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة . وهذا المسند لا يختلف في جميع أبواب المسند كما يختلف في سائر كتب الثلاثيات⁽⁵³⁾ .

3 - جهود أبي عمرو الربيع بن حبيب في أداء ما تحمّل من الحديث :
لقد كان لأبي عمرو الربيع بن حبيب جهود في أداء ما تحمّله من الأحاديث لا تقل عما بذله في أثناء تلقيه لها . فقد تتلمذ عليه - ثقة به ، وتقديراً لعمله - عدد غير قليل من طلبة العلم خصوصاً من أهل الدعوة ، وتخرّج على يديه فحول العلماء ، وأساطين الفكر من أمثال من ترجمنا لهم من تلاميذه .

وقد جاء في الجزء الرابع من الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب أحاديث من روايات أبي سفيان محبوب بن الرّحيل عنه رحمه الله ، وعددها تسعة عشر حديثاً⁽⁵⁴⁾ .

وكان قد اقتصر في أدائه للحديث - كما هو الحال في تحمّله - على الإباضية دون غيرهم من أهل الفرق الأخرى على ما يظهر . ولعل ما أورده السامي في مختصر ترجمته له في مقدمته على شرح الجامع الصحيح مسنده يؤيد هذا الاحتمال .

قال رحمه الله : «وقال أناس من أهل البصرة انظروا لنا رجلاً ورعاً قريب الإسناد حتى نكتب عنه . وترك ما سواه ، فنظروا فلم يجدوا غير الربيع بن حبيب فطلبوا منه ذلك ، وكان يروي لهم عن ضام عن جابر بن زيد عن ابن عباس رحمه الله ، فلما خاف أن يشيع أمره أغلق بابَه على نفسه إلا من أتاه من إخوانه المسلمين»⁽⁵⁵⁾ .

(53) «السامي» شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب . (تحق : عز الدين التنوخي . مصدر سابق ، ج : 3 ، ص 84 ، و .

(54) روايات أبي سفيان محبوب عن الربيع ، صفحة 253 - 259 ، من رقم (883) إلى رقم (909) .

(55) السامي ، من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، مصدر سابق ، ج : 1 ، ص 4 .

قد تكون هناك إشارة أو علامة استفهام كبيرة جداً عن هذا المسلك من أبي عمرو الربيع بن حبيب ، إذ كيف ساغ له أن يغلق بابَه على نفسه دون أناس قدروا فيه صفة الراوية الأمثل من الورع قرب الإسناد من النبع المحمدي ، فجاءوا إليه ليطلبوا العلم . ويأخذوا الحديث منه دون سواه من علماء البصرة - وما أكثرهم آنذاك ! - ! وهو يعلم علم اليقين قول أسوته وقوته الأول محمد صلى الله عليه وسلم يقول : «بلغوا عني ولو آية»⁽⁵⁶⁾ ، ويقول : «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة»⁽⁵⁷⁾ .!! ولماذا اصطفى إخوانه من المسلمين (الإباضية) وأثرهم بدروسه ؟ .

من خلال النص الذي أورده الإمام السامي تلوح إشارة إلى أن أبا عمرو الربيع بن حبيب لم يغلق بابَه في بداية الأمر ، ففي قوله «وكان يروي لهم عن ضام ... تعمم الرواية لكل من جاءه ، ثم ما لبث أن أغلق بابَه إلا على إخوانه ، فلا بد وأن هناك شيئاً ما حمله على هذا الصنيع ربما كان بعضه ما يلي :

(أ) اختلاف نزعات البصريين ، وكثرة الاتجاهات الفكرية ، من معتزلة ، وقدرية ، وشيعية ، ومرجئة .. و .. في ذلك العهد بينهم قد تكون جرت مشاكل على الربيع في أثناء إلقائه للدروس ، وهو أحد الذين تبنا فكرة أبي الشعثاء وأبي عبيدة شيخيه في مناهضة الملك الوراثي والدعوة إلى الإمامة الشورية العادلة لأنه لا بد وأن يكون هناك منهم من لا يرى رأيه بل ويعارضه أشد المعارضة ويتشعّح لحكام بني أمية ثم للملك بني العباس من بعدهم . فخشي إن أكثر الاحتكاك بأمثال هؤلاء سيكشف أمره ، ولا يتكّن من أداء مهمته التي سلمها له شيخه أبو عبيدة مسلم أمانة في عنقه للسير بمحركة أهل الدعوة قدما دون تردد أو توقّف . (ب) كثرة الزنادقة ، وأصحاب الأهواء والبدع في الوسط البصري ، جعل من

(56) جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) . مطاع الجنة في الاحتجاج بالسنّة . ط 3 . المدينة المنورة : مطابع الرشيد

1979 م ص 37 .

(57) أبو عبد الله أحمد بن حنبل . المسند . (تحق : أحمد شاكر) . ط 2 : القاهرة : دار المعارف ، 1950 م ، ج :

14 ص 86 .

الربيع ألا يثق في غير دعوته من عدم التزيد فيها يرويه من الأحاديث والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وكبار التابعين وصغارهم - لاسيما - وهو في تلك الفترة من المرحلة الخطيرة التي تجتازها السنة بسبب الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج - استقطاب طلبة أهل الدعوة ، وإخلاء الجو له ولهم في دروسه يؤمنان له السير القاصد نحو تحقيق ذلك الهدف الذي يسعى إليه من نشر الدعوة في أنحاء العالم الإسلامي لإتقاده من السقوط في وهدة النزعات المتطرفة من الغلو في الدين والتطرف في السير في ركاب الحكام المستطلين الذين يعملون من عباد الله خولا ، ودينه دغلا .

4 - عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه وما قيل في حقّه

انقسم علماء الأمة في الربيع باعتباره محدثاً إلى قسمين : قسم أغفل ذكره وأهمله إهمالاً كاد أن يكون كاملاً ، ولم يجعل له مكاناً بين من أسهموا بنصيبهم في تدوين السنة والمحافظة عليها تقيّة خالصة من الكذب والوضع والاختلاق ، ولم يتعرض لشخصه أو لإنتاجه بالتوثيق أو التضعيف ، وهذا الفريق يكون جمهور علماء الأمة الأعظم الذين اهتموا بتتبع أحوال رواة الحديث واقتفاء آثارهم جرحاً وتعديلاً . ولعلّ تلك العوامل التي سبق ذكرها في الفقرة الثانية من الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث تكون هي السبب المباشر في هذا الإغفال والإهمال . إلا أن هناك من علماء الأمة غير الإباضية من وثقه ، فمن علماء السلف ، وثقه يحيى بن معين⁽⁵⁹⁾ في كتابه التاريخ حيث قال : «الربيع بن حبيب أيضا بصري

يروى عن الحسن وابن سيرين وهو ثقة»⁽⁶⁰⁾ . ومن الخلف المحدثين ، عز الدين التوحي ، في مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي مؤلفه نور الدين أبي محمد عبد الله بن حيد السامي . قال عنه عند تعليقه على هذا المسند : «... ويشبه هذه السلاسل الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب ، وثلاثياته : أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس ، ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ، ولا إرسال ، ولا انقطاع ولا عضال إلى أن قال : ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدي وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً»⁽⁶¹⁾ . ولما القسم الثاني - وهم علماء الإباضية - فقد قدر فيه صفات الراوية الأمثل ، من الضبط والعدالة . فقد قال في حقّه التابعي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي شيخه - ومن كان أعرف بالتلميذ من شيخه - قال عنه عندما ذكره أبو طاهر بين يديه : «فقيناً وإماماً وتقيناً»⁽⁶²⁾ .

وقال أبو العباس أحمد بن سعيد الدرديني عنه : «الربيع بن حبيب رحمه الله طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظات الخطب الأطم ، ومن تشد إليه حيال الرواحل وتزعم ، صحب أبا عبيدة فاعتزف من بحره الزاخر ، ولزم مجلسه فكان الأول والآخر ، روى عنه المسند المشهور ، المتعارف البركة على مر الدهور ، وله في الفروع كل قول ومذهب ، أجوبته من المعتدة في المذهب»⁽⁶³⁾ . وقال البدر الشماخي في سيره : «الربيع بن حبيب رحمه الله طود المذهب الأشم ، وبحر العلوم الأطم ، صحب أبا عبيدة فتال وأفلق ، ودصدر بعده على الأفاضل فأنجح»⁽⁶⁴⁾ .

(59) يحيى بن معين ، التاريخ ، ص 160 ، رقم 3811 .

(60) السامي : شرح الجامع الصحيح مسند الربيع ، مصدر سابق ، ج : 3 ، ص : 6 .

(61) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرديني ، (ت 670 هـ) طبقات المشايخ بالمغرب (تحق : إبراهيم طلال) ، قسنطينة : مطبعة البعث ، لا . ت . ج : 2 ، ص 276 .

(62) نفس المرجع ، ص 273 .

(63) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت 928 هـ) . السير . (تصح : محمد بن يوسف الباروني) القاهرة : المطبعة البارونية ، لا . ت . ص 102 .

(58) هو أبو زكرياء يحيى بن معين بن عون النري إمام المرح والتعديل ، ولد سنة 157 هـ / 773 م ، وضع من عبد الله بن المبارك وسليمان بن عيينة ووكيع وغيرهم ، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود . نال عدداً وتقريرا لأمانته ومعرفته الشاملة بأحوال الرواة وأسابيهم ، خلف مكتبة ضخمة ، وتوفي بالمدينة سنة 233 هـ . النظر : المغنطلي ، تذييل التهذيب . مرجع سابق ، ج : 11 ، ص 281 - 288 .

وقال قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش في تكتله الخارجة عن المدونة الكبرى : «الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي - أزد عمان - الفريهودي ، وفريهود هي قبيلة منها الخليل بن أحمد . وهو من غطفان من عمان من أرض الباطنة ، وهو بحر العلم ، روى عنه الصحيح في الحديث محبوب ، ورواه عن محبوب ابنه محمد»⁽⁶⁴⁾ .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن حديد السلمي في اللبقة المرضية من أشعة الإياضية : «وتلامذة أبي عبيدة لا يحضون عددا ، وأجلهم قدرا الربيع بن حبيب البصري ، وإليه انتهت رئاسة العلم»⁽⁶⁵⁾ بعد أبي عبيدة⁽⁶⁶⁾ .

وقال أبو إسحاق إبراهيم اطفيش⁽⁶⁷⁾ : «روى الإمام الحافظ الحجة الربيع في صحيحه عن ابن عباس : «على المقيم سبع عشرة ركعة ، وعلى المسافر إحدى عشرة ركعة»⁽⁶⁸⁾ .

وقال الشيخ محمد بن صالح التيجي⁽⁶⁹⁾ : «هو الفقيه المحدث الحافظ الثقة الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي من أئمة الحديث في آخر القرن الأول وأول القرن الثاني ، ومن الفقهاء المشهورين ... تخرج عنه كثير من أعلام الدين ، وأئمة الهدى ، أكثرهم من عمان والعراق وخراسان ، ومن آثاره كتاب المسند ، ويعرف بمسند الربيع بن حبيب ، هو من أصح كتب الحديث عندنا وأعلاها سنداً»⁽⁷⁰⁾ .

(64) محمد بن يوسف اطفيش (ت 1332 هـ) ، تكتله خارجة عن المدونة . ورقة عسوطية .

(65) بالنسبة للإياضية .

(66) السلمي ، اللبقة المرضية من أشعة الإياضية . الكتاب الرابع من مجموع سنة كتب . غرداية . لا . ط . لا . ت . ص 62 .

(67) انظر ترجمته في أول هذا الفصل ، الفتحة : 1 ، 191 .

(68) أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجاوي ، كتاب الوصع (تحقيق : أبي إسحاق اطفيش) . القاهرة : مطبعة الجلالة الجديدة . لا . ت . ص 99 بالمهامش .

(69) هو أحد المناضلين الجزائريين الذين نفاذوا الاستعمار الفرنسي إلى تونس وعينوا ركة النهضة الجزائرية وادعوا مجدها الإمام شهاب الدين التيجي عبد العزيز صاحب كتاب التيل وشهاب العليل . وقد حقق له هذا الحفيد بعضاً من تصانيفه كتابات التكيل لبعض ما أحل به كتاب التيل ، بالبورصة السام . تولى بتونس في أواسط السبعينات .

(70) عبد العزيز الحاج إبراهيم التيجي ، (ت 1223 هـ) الوردة البهام في رياض الأحكام . (تحق : محمد بن صالح التيجي) . تونس : المطبعة التونسية . 1345 هـ ، ص 161 بالمهامش .

وقال الأستاذ سالم بن حمود بن شامس السبياني السائي⁽⁷¹⁾ : «ومنه (أي الإياضية) - وهو أشهرهم - الإمام العالم الباهر التقى الراوية المتقن أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي»⁽⁷²⁾ .

وقال الأستاذ عبد الرحمن بن عمر بكلي : «هو التابعي الجليل والمحدث الكبير الإمام الحجة أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري صاحب الجامع الصحيح الثلاثي السند ، المشهور بمسند الربيع ، نشأ بالبصرة وتعلم بها ، وتصدى لنشر العلم تحريراً وتدريساً ، وإفتاء حتى أصبح في ذلك العصر الذهبي ، وفي ذلك المجتمع الذي يزخر بأئمة الدين ، وأساطين العلم ممن يشار إليهم بالإنان ، ويعمد إليهم في حلّ المعضلات»⁽⁷³⁾ .

وقال الشيخ سالم بن حمد الحارثي عنه أيضاً : «ومن علماء القرن الثاني الربيع ابن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصحيح الذي يرجع علماء الإياضية إليه في كل مكان»⁽⁷⁴⁾ .

تلك هي أقوال السلف والخلف من علماء الإياضية وغيرهم عالين من علماء القوم ، جاءت كلها إشادة بعلم وعدالة وضبط وإتقان محدثنا أبي عمرو الربيع بن حبيب . وقد يكون هناك من يقول : وهل هناك أي اعتبار لمثل هاته الهالة من الثناء ، والتقدير التي أحاط بها علماء الإياضية مكانة أبي عمرو الربيع بن حبيب في مجال الحديث ما دام لم ييادهم جمهور علماء الأمة الإسلامية من غيرهم هذا الاعتبار وذلك التقدير والثناء ، وأنهم لا يعرفون عنه شيئاً !!! .

(71) قالت الدكتورة سيدة إسمايل كلف عن : «الشيخ الجليل والفاضل أبو هلال سالم بن حمود بن شامس السبياني السائي . فهو تقيه ومؤرخ وشاعر ولغوي ، وهو يدعو بطريق مباشر وغير مباشر إلى تصحيح الروايات المسبوسة على الإسلام ، وإلى التقريب بين المسلمين . انظر : سالم بن حمود بن شامس السبياني السائي ، أصدق المناهج في تبييض الإياضية من الغلوخاج . (تحق : سيدة إسمايل كلف) . القاهرة : مطابع سجل العرب ، 1979م ، ص 6 - 9 .

(72) السبياني . المرجع نفسه . ص 48 .

(73) أبو طاهر إسمايل بن موسى الجبالي (ت 750 هـ) قواعد الإسلام . (تحق بكلي عبد الرحمن بن عمر) غرداية : المطبعة العربية ، 1976م ، ج 1 ، ص 79 - 80 بالمهامش .

(74) السائي ، المقصد الثين ، (تحقيق : سالم حمد الحارثي) . القاهرة : دار الشعب ، لا . ت . ج 1 ، ص 16 .

والباحث لا يشك إطلاقاً في صحة تلك الأحكام التي أصدرها أولئك العلماء بضبط وعدالة وثقة أبي عمرو الربيع بن حبيب ، لأنهم جميعاً من أولئك الذين لا يعرفون الحق بالرجال ، ولكنهم يعرفون الرجال بالحق ، وأنهم جميعاً أيضاً من إحدى فرق المسلمين التي يرى أتباعها مطلق الكذب كبيرة من الكبائر ، وهذا يحتم على كل منصف أن يعتقد الضبط والأمانة والعدالة فين وتقوه ، والضعف كل الضعف فين لم يعدلوه ولم يثقوا به .

ولعل ما ذكره أبو عمرو عثمان⁽⁷⁵⁾ بن خليفة المراءغي السوفي من تحرى علماء الإباضية فيما يكتبونه من الحديث والفقه ، وفي صفة من يكتب لأكبر شاهد على دقة منهجهم في التحمل والأداء ، وصحة أقوالهم ونعمتهم فين يعدلون ويحرجون . فهو يقول في صفة الديوان الذي يتولى به ، ويبرأ به ، ويؤخذ منه الفتوى : « أن يكتبه المتولي العالم للغة ، أو يلي المتولي العارف بما يلي ، ويرقب كل واحد متولين آخران خوف الزيادة والسقط ، والتصحيح والتحريف ، ويعرض على العالم الفقيه المسلم ، ويكون الديوان في يد ثقة خوف الزيادة والنقصان »⁽⁷⁶⁾ .

وحق لا يدع الباحث مجالاً للشك في صحة ما نعت به أبو عمرو الربيع بن حبيب فإنه سيقوم - بإذن الله ويعونه وتوفيقه - إن كان لعمره بقية ، وليدنه وجواس عافية وسلامة - بتخريج ما جاء في مسنده بجزأيه الأول والثاني من أحاديث على كتب السنة المعتمدة لدى جمهور هذه الأمة المسلمة . وسيكون هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم أولاً ، وعاملاً مهلاً لغرس بذور الثقة في نفوس طلبة العلم من أبناء المسلمين لكي يعترفوا بما خلفه السلف الصالح من الأجداد من تراث علمي وحضاري نفيس ، دون التأثر بتلك النزعات المذهبية ، أو الميل بالأهواء مع التمرات الطائفية التي كانت السبب المباشر في تفريق أتباع الملة

(75) ذكره الدرجيني في طبقاته عن علماء الطبقة الحادية عشرة . راجع : الدرجيني مرجع سابق ، ج 2 ، ص 483 .

(76) سالم بن يعقوب . « من بعض كتاب تاريخ المغاربة من الإباضية » ، مطبوعة بيد الباحث ، ص 27 .

الحنيفية ، وجعلت منهم طرائق قددا ، وصيرتهم شيعاً وأحزاباً أدت إلى ضعفهم وذهاب ربحهم .

أما أن الأوان للباحثين من طلبة العلم المسلمين أن يكشفوا عن التراث الإسلامي الأصيل ويقدموه هدية خالصة محضة للمكتبة الإسلامية تنير السبيل أمام الحائر في متاهات الزيف ، السادرين في صحارى الزيف والتضليل حتى يفتقوا بذلك إلى كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم النقية الصحيحة تاركين وراءهم كل ما عداها من الانتهاكات المضللة المفرقة .

5 - نماذج مما جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من الأحاديث ، وعدد ما يحتوي عليه هذا المسند منها

وإقامة للفائدة يستعرض الباحث في نهاية هذا الفصل نماذج من أحاديث المسند ، وإحصائية عددية تفصيلية لما روي عن كل صحابي من أحاديث في الجزأين الأول والثاني من هذا المسند .

أ - نماذج من الأحاديث :

1 - قال أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو البصري : حدثني أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي عن جابر بن زيد الأزدي عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نية المؤمن خير من عمله » . وهذا السند في رواية أخرى عنه عليه السلام قال : « الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .

2 - قال الربيع بن حبيب : حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : سألت الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي يا رسول الله ؟ قال « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال ،

وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليقتصد عرفاً . قال الربيع : فيفصم عنه : أي ينجلي .

3 - قال الربيع بن حبيب : حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو» .

4 - ...⁽⁷⁷⁾ أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً ولا تغنوا به فإن الله يحب أن يسمع الملائكة لذكركه» .

5 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهب» .

ومن كتاب الطهارات جاء ما يلي :

6 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط» قال جابر : فسألت عن ذلك ابن عباس قال : ذاك إذا كان في الصحاري والقفار ، وأما في البيوت فلا بأس لأنه قد حال بين الناس وبين القبلة حيال . وهو الجدار .

7 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن عبد الله بن عمر قال : دخلت على حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً لحاجته بين لبنتين مستبدر الكعبة مستقبلاً بيت المقدس . قال أبو عبيدة : قال جابر : فن أجل هذا أباح ابن عباس استقبال القبلة في البيوت .

8 - أبو عبيدة عن أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم

قال وهو عصر : والله ما أدري كيف أصنع بهذه الكرائس⁽⁷⁸⁾ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا ذهب أحدكم لبول أو غائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها بفرجه» . قال الربيع : قال أبو عبيدة : وقد أتينا على هذا الأمر في حديث جابر بن زيد ، وقد بينا ما قيل فيه وما روي . والله أعلم .

9 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم» وأمر أي يستجني بثلاثة أحجار ونهى عن الروث ، والرمة وهي : العظام البالية .

10 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من توضأ فليستثر ، ومن استجمر فليوتر» .

ومن باب أحكام المياه .. جاء :

11 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الماء طهور لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه ، أو رائحته» .

12 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان الماء قدر قلتين لم يحتل خبثاً» . وفي رواية أخرى : «قدر قلتين ماء لا ينجسه شيء» .

13 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السباع ترد الحياض وتشرب منها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ها ما ولغت في بطونها ولكم ما غير» . قال الربيع : أي لكم ما بقي .

وفي كتاب الصلاة جاء :

14 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال : كذا نصلي الظهر

(78) الكرائس : الكتب .

(77) يلاحظ في أول السند أنه يذكر اسم الربيع بن حبيب اكفاء بذكره أولاً باعتباره الراوية لهذا السند .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخرج الإنسان إلى بني عمرو بن عوف فيجدهم يصلون العصر .

15 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم» قال الربيع : فيحها : نفسها .

16 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر» .

ومن كتاب الصوم جاء :

17 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكدبد فأفطر ، فأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

18 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنا من صام ومنا من أفطر ، فلم يعب الصائم من المفطر ، ولا المفطر من الصائم .

19 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أصبح جنباً أصبح مفطراً» قال الربيع عن أبي عبيدة عن عروة بن الزبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي ، وجملة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من أصبح جنباً أصبح مفطراً ، ويدراؤون عنه الكفارة .

وفي كتاب الزكاة جاء :

20 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : «فيما سقت الحماة والعيون العشر ، وما سقي بالدوالي⁽⁷⁹⁾ والغرب نصف العشر» .

21 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جرح العجاء جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفي الركاز الخمس» .

ومن كتاب الحج :

22 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : كان الفضل بن العباس (رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم) فجاء امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل بن عباس ينظر إليها وتنتظر إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر . قالت : يا رسول الله ! إن فريضة الله على العباد في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكننت قاضية عنه ؟» قالت : نعم . قال : «فذاك ذاك» .

23 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة أن يهلوا من ذي الحليفة ، ولأهل الشام الجلفة ، ولأهل نجد قرنا ، ولأهل اليمن يلم ، ولأهل العراق ذات عرق .

ومن كتاب النكاح :

24 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا طلاق إلا بعد نكاح ، ولاظهار إلا بعد نكاح ، ولا عتاق إلا بعد ملك ، ولا نكاح إلا بولي وصدوق وبينه» .

25 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى

(79) الدوالي : الدلاء الصغار .

الله عليه وسلم «الأيام أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها» .

26 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه ، ولا يساوم على سوم أخيه» .

ومن كتاب البيوع :

27 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «البيتان بالخيار ما لم يفترقا» . قال الربيع : قال أبو عبيدة : الافتراق بالصفة أي يبيع هذا ويشترى هذا وليس كما قال من خالفنا بافتراق الأبدان . رأيت إن لم يفترقا يومين أو ثلاثة أيام أو أكثر فلا يستقيم على هذا الحال بيع لأحد .

28 - أبو عبيدة عن جابر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من باع بخلا قد أثرت فمثرها للبائع إلا يشرطها المبتاع» .

ومن باب في الربا :

29 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح يد بیده» .

30 - أبو عبيدة عن جابر قال : بلغني عن طلحة بن عبيد الله أنه التمس من رجل صرفا ، فأخذ طلحة الذهب بيده يقلبه فقال : حتى يجيء خازني من الغابة . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضر يسمع كلامها فقال ، والله لا أفارقا حتى يتم الأمر بينكما فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء ، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء» .

ومن كتاب الأحكام :

31 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إلي فاحكم بينكم ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من نار» قال الربيع : ألحن : أقطع وأبلغ وأحق .

32 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «البينة على من ادعى . واليمين على من أنكر» .

33 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من حاز أرضا وعمرها عشرين والخم حاضر لا يغير ولا ينكر فهي للذي حازها وعمرها ولا حجة للخصم فيها» .

ومن باب في الرجم والحدود :

34 - أبو عبيدة عن جابر قال : الرجم والاختنان والاستنجا والوتر سنن واجبة فأما الوتر فلقوله عليه السلام لأصحابه : «زادكم الله صلاة هي الوتر» .

35 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عمر قال : إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وأمرته زنيا : فقال لهم : «أحبدون في التوراة في شأن الرجم» ؟ فقالوا : نقضها ويحلان ! فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها للرجم آية فأثوا بالتوراة فأتولوها . قال فأثوا بها ونشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له ابن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا آية الرجم تتلأأ ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم . فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال ابن عمر : فرأيت الرجل يجافي على المرأة يقبها الحجارة .

36 - أبو عبيدة عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص فقال : إن ابن وليدة زمعة هو ابني

فأقبضه إليك ، فلما كان عام الفتح أخذته سعد بن أبي وقاص وقال : ابن أخي ، وقد كان عهد إليّ فيه ، فقام إليه عبد بن زعمة فقال : أخي . ابن وليدة أبي ، وقد ولد علي فراشه ، فتساوقاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتكلم سعد بحجته ، وتكلم عبد بن زعمة بحجته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو لك يا عبد بن زعمة . الولد للغراش وللعاهر الحجر» . ثم قال لزوجته سودة بنت زعمة : «احتججي عنه يا سودة» لما رأى إشباهاه عتبة . قالت عائشة : فما رآها حتى لقي الله . قال الربيع ، العاهر : الزاني ، ومعنى له الحجر : الرجم . 37 - أبو عبيدة عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «القطع في ريع دينار فصاعدا» . 38 - أبو عبيدة عن جابر عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد سارق في عين فيمته أربعة دراهم . قال الربيع : المجن : الترس .

ومن باب الذبائح :

39 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أحلت لكم ميتتان ودمان . فالميتتان الجراد والسمك ، والدمان الكبد والطحال» .

40 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد قال : كانت جارية لكعب بن مالك ترعى غنًا له فأصبحت منها شاة فذبحها بجحر ، فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : «لا بأس بها فكلوها» .

41 - أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : سمعت ناسًا من الصحابة يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «نهى من الذبح عن أربعة أوجه : الخزل ، والوخز ، والنخع ، والترداد» قال الربيع : الخزل : إدخال الحديد في رقبة الشاة تحت الجلد واللحم ويذبح قبلاته ، والوخز : الطعن برأس الحديد في رقبة الشاة بعد الذبح . والنخع : كسر الرقبة . والترداد : الذبح بالحديدة الكليبة التي تتردد في اللحم .

ب - ما جاء من أحاديث في الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب :

يضم كتاب الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب الأزدي البصري بين دفتيه خمسة أحاديث وألف حديث (1005) . ونسخة هذا الكتاب المتداولة حاليا لدى الأياضية ليست هي النسخة الأصلية ، فأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد الوراقاني (ت 570 هـ) هو الذي أعاد ترتيبها ، وعنونها ب (ترتيب المسند) ، وجعلها في أربعة أجزاء : الجزء الأولان - وهما أصل الكتاب - في أحكام الشريعة من أولها إلى آخرها بالسند العالي ، وما جاء فيها عن :

- 1 - عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : ثمانية وستون حديثًا . (68)
 - 2 - عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : خسون ومائة حديث . (150)
 - 3 - أنس بن مالك رضي الله عنه : أربعون حديثًا . (40)
 - 4 - أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ستون حديثًا . (60)
 - 5 - أبي هريرة رضي الله عنه : اثنان وسبعون حديثًا . (72)
 - 6 - جابر بن زيد الأزدي : ثمانون ومائة حديث . (180)
 - 7 - أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة : ثمانية وثمانون حديثًا . (88)
 - 8 - أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعبادة بن الصامت وابن مسعود الأنصاري وغيرهم : اثنان وتسعون حديثًا . (92)
- فيكون بذلك ما جاء في المسند الأصلي (الجزآن الأول والثاني) خسون وسبعائة حديث (750) . وأما الجزء الثالث والرابع فقد ضمها إلى المسند الأصلي المرتب الوراقاني . فما جاء في الجزء الثالث : آثار احتج بها الربيع على مخالفه في مسائل مختلفة من الاعتقاد وغيرها . قال السامي : «وهي أحاديث صحاح يعترف الخصم بصحتها ، لأن الربيع رضي الله عنه ساقها مساق الاحتجاج على الخصم ، والاحتجاج به عليهم دليل تسليمهم له ، إذ لا يحتج على أحد ما لا يسلمه ، فالاحتجاج بالحديث من العالم المتقن عند أهل الدرجة الأولى أقوى من ذكر سند»⁽⁸⁰⁾ .

(80) أبو عمرو الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ابن عمرو ، مقدس سابق ، ج : 3 ، ص 198 .

وعدد هذه الآثار أربعون ومائة حديث (140) .

وأما ما جاء في الجزء الرابع فروايات محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي عن الربيع بن حبيب ، وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستي عن أبي غانم بشر ابن غانم الخراساني ومراسيل جابر .

وعدد هذه الآثار في هذا الجزء ثلاثة وعشرون ومائة حديث (123) .

ولا يفوت الباحث في خاتمة هذا الفصل أن يذكر أن المصادر التي بين يديه لم تشر إلى أن الأحاديث التي جاءت في مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب قد تعرضت إلى الفرز والتفقيح من قبله كما تعرضت له معظم الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح والمسانيد من طرف أصحابها عند جمعها ، ومنها - على سبيل المثال - أحاديث موطأ الإمام مالك . فقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي عن ابن الحباب أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ، ويغيرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمائة⁽⁸¹⁾ .

وقال الكيا الهراسي في تعليقه في الأصول : إن موطأ مالك كان اشتمل على تسعة آلاف حديث ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعة⁽⁸²⁾ .

ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن الربيع قد أخذ كل ما جاء في مسنده سماعاً أو إملاء عن الثقات من أشياخه الذين لا يعتبرهم سهواً أو غفلة ، ولا يتطرق إليهم وهم ، ولا يحوم ما يملونه عليه من أحاديث شك .

الربيع بن حبيب الفقيه

مقدمة الفصل :

واكبت حياة الإمام أبي عمرو الربيع بن حبيب الفقهية تلك الفترة التي أطلق عليها علماء تاريخ التشريع الإسلامي⁽¹⁾ مطلع العهد الرابع من تاريخ التشريع الإسلامي ، الذي يتدبىء بالقرن الثاني الهجري ويمتد حتى منتصف القرن الرابع منه .

وفي هذه الأثناء نشأت المذاهب الفقهية بسبب اختلاف العلماء في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، ومرة ذلك الاختلاف يمكن حصره في ثلاثة أمور رئيسة تتمثل فيما يلي⁽²⁾ :

1 - تفاوت الفقهاء في الإمام بالسنة ، والوثوق بها وفهم المراد منها ، فقد يقف أحدهم على حديث لم يقف عليه غيره ، فيفتي بموجب هذا الحديث ، ويفتي غيره بإعمال رأيه ومحض اجتهاده ، ويبلغ أحدهم حديث فيقبله لصحة سنده عنده ، في حين أن غيره لا يقبل هذا الحديث لأنه وصله من طريق لم يثق فيه فتختلف الفتوى بذلك .

2 - اختلافهم في فهم المراد من الأدلة الشرعية الظنية ، فقد يكون الدليل ظنياً يحتمل أكثر من معنى ، وهنا يختلفون في تعيين المراد منه ، وبذلك يختلف الحكم .

(1) انظر : محمد الحصري ، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط 9 القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1970 م ، ص 127 .

(2) أ - أبو محمد عبد الله بن عبد السامي (ت 1332 هـ) ، طلمة الشيب : القاهرة : مطبعة الموسوعات ، لا . ت . ج : 2 ، ص 13 وما بعدها .

ب - عبد العظيم شرف الدين ، تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعة والعقد ، ط 3 منشورات جامعة قارونس ، 1978 ، م ، ص 167 .

(81) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ) توير الحوايك : المقدمة .

(82) نفس المرجع .

3 - اختلافهم في المبادئ العامة مثل :

(أ) هل الحديث المشهور أو المستفيض يصلح مخصصاً للعام من القرآن ، ومقيداً للمطلق منه أو لا يصلح ؟.

(ب) أحتاج بما رواه الثقات مطلقاً سواء أكانوا فقهاء أم غير فقهاء ؟ أو يحتاج بما رواه الثقات الفقهاء فقط ؟

(ج) وهل يحتاج بعمل أهل المدينة أو لا يحتاج به ؟.

(د) وهل يحتاج بالحديث المرسل أو لا يحتاج به ؟.

(هـ) وهل يحتاج بفتاوى الصحابة الاجتهادية ؟ وهل تجوز مخالفتها ؟.

(و) وهل القياس حجة شرعية ؟ وهل يبنى على العلل والأوصاف المناسبة ، أو يبنى على المصالح والغايات المقصودة ؟.

(ز) وهل العام الذي لم يخص ظني الدلالة أو قطعي الدلالة ؟.

(ح) وهل المطلق يحمل على المقيد عند اتحاد الحكم والسبب ، أو عند اتحاد الحكم فقط ؟.

(ط) وهل الأمر المطلق يدل على الوجوب ، أو على مطلق الطلب والقرينة تعيين المراد ؟.

(ي) وهل النص يدل على ثبوت الحكم في المنطوق ، وعلى نفي تقيضه عن مفهومه المخالف المسكوت عنه ، أو يدل على ثبوت الحكم في المنطوق فقط ؟.

ثم إلى جانب اختلاف هؤلاء الأئمة في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، هناك أيضاً اختلافهم في المنهج التطبيقي لها . ففقهاء العراق رأوا أن الشريعة الإسلامية معقولة المعنى ، وأحكامها متوسطة بعقل وأسباب بغية تحقيق المصالح ، وبذلك انجهموا إلى النزعة المتحررة التي تميل إلى تحكيم الرأي ، ولم يتسكروا بحرفية النصوص ، أما فقهاء الحجاز فقد مالوا إلى النزعة المحافظة التي تعتمد على النصوص دون اللجوء إلى إعمال الفكر .

ولعل السبب المباشر في ظهور هذين الاتجاهين يرجع إلى ما يلي :

1 - كانت الأحاديث النبوية الشريفة وفتاوى الصحابة متوفرة في مدرستي

مكة والمدينة بالحجاز ، فوجد فقهاؤه أمامهم ثروة غنية من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم فأفتوا بموجبها ، ولم يحاولوا التفكير فيها .

وأما فقهاء مدرستي الكوفة والبصرة بالعراق ، فلم يجدوا مثل هذه الثروة العلمية الفقهية فاضطروا إلى إعمال الفكر للوصول إلى علل الأحكام الشرعية لتطبيق النصوص الشرعية على ما جاء من الحوادث عندهم ، وما لم يجد ، وبذلك نشأ عندهم الفقه الفرضي ، وسما (بالأرأيتين) أخذاً من قولهم : أرأيت كذا؟.

2 - اختلاف البيئتين : فبيئة الحجاز لم تتغير عما كانت عليه أيام الصحابة ، وقلما حدث لهم أمر لم يجدوا فيه نصاً أو فتوى صحابي ، وبذلك كان اعتماد فقهاء الحجاز على فهم النصوص بحسب ظواهرها .

أما بيئة العراق فقد تغيرت كثيراً ، ودخلت فيها أنواع من المعاملات نتيجة اتصال العراقيين بالفرس وغيرهم من الشعوب ، مما اضطر فقهاء العراق إلى البحث والاجتهاد ، وبذلك تكونت فيهم ملكة البحث والموازنة ، وبذلك لهم وجوه النظر في التشريع .

3 - كانت العراق مهد الفتن والثورات ، وملتقى الشيعيين وأرباب البدع والأهواء ، وبذلك وجد فيه من استباح وضع الأحاديث تأييداً لنزعاتهم ومذاهبهم السياسية ، مما حمل علماء العراق على الشك فيما يروى لهم من الأحاديث ، فاشتربوا ثقة الرواة ، وإن وجدوا حديثاً لا يتفق مع العقل تركوه أو أولوه . أما الحجاز فقد سلم من هذه التيارات ، فكانت الثقة بالرواة فيه موفورة⁽³⁾ .

تلك هي ملامح النزعة التشريعية الفقهية في الدور الرابع من أدوار تاريخ التشريع الإسلامي في مدرستي الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، والعراق (الكوفة والبصرة) التي عاصرها فقهاء أبو عمرو الربيع بن حبيب وهو عراقي بصري المنشأ والفكر . فهل كان في نزعة الفقهية عراقياً يحكم الرأي ، أو حجازياً يعتمد النص ؟.

(3) انظر . المرجع السابق ، ص 162 - 163 .

هذا ما سنعرض له في هذا الفصل من خلال النقاط التالية :

- 1 - معنى الفقه لغة واصطلاحاً .
- 2 - الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه .
- 3 - المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو عمرو الربيع بن حبيب .
- 4 - نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب .
- 5 - بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجر بها العمل في المذهب الإباضي .
- 6 - وفاة الربيع بن حبيب .

1 - التعريف بالفقه

أ - الفقه في اللغة العربية :

لفظة الفقه من المصادر التي تؤدي معناها ، إذ أن كثيراً من المصادر يأتي منها متعلق كالعلم بمعنى المعلوم ، والعدل بمعنى العادل⁽⁷⁾ . وقد جاءت في اللغة العربية بمعان مختلفة منها⁽⁸⁾ :

- 1 - الفقه : الشق والفتح ، ومنه يجيء معنى حيّ فطري جنسيّ فيقال : فحل فقيهه ، أي عالم بأحوال النياق المطروقة ، أو طبّ بالصراب ، حادق .
- 2 - الفقه : العلم بالشيء والفهم له . يقال : فلان أوفق فقهه ، أي فهمها فيه . قال الله تعالى : ﴿ فقلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾⁽⁹⁾ أي ليكونوا علماء به .

(4) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية . القاهرة : مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، 1386 هـ ، ج 1 : ص 9 .

(5) انظر : أ) لسان العرب ، مادة : فقه .

ب) الظاهر الزاوي . ترتيب القاموس المحيط . ج 3 : ج 1 : مادة : فقه .

ج) أمين الخولي . مالك بن أنس . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، لا . ت . ص 607 وما بعدها .

(6) التوبة : 122 .

3 - الفقه : الفطنة . قال عيسى⁽⁷⁾ بن عمرو : قال لي أعرابي : شهدت عليك بالفقه ، أي بالفطنة .

4 - الفقه : إدراك الأحياء الخفية ، فلذا تقول : فقهت كلامك ، ولا تقول : فقهت السماء والأرض والبحر ، وعلى هذا النقل لا يكون مرادفاً لألفاظ ، الفهم ، والعلم ، والطبّ .

5 - فعل فقه بضم القاف ككرم يستعمل للنموت ، تقول : فقه فهو فقيه ، وفقهه ، والجمع فقهاء ، وتقول للأثني : فقهته فهي فقيهة وفقهه ، والجمع فقهاء وفقائه⁽⁸⁾ .

ب - الفقه في الاصطلاح :

كانت كلمة الفقه تطلق في صدر الإسلام على فهم الأحكام ، سواء كانت متعلقة بالإيمان والعقائد وما يتصل بها ، أم كانت أحكام الفروض ، والحدود ، والأوامر ، والنواهي ، والتخيير والوضع . فكانت بذلك مرادفة للكلمات (شريعة ، وشرعة ، شرع ، دين) ، كما كانت تطلق على الأحكام نفسها ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ربّ حامل فقه غير فقيّه »⁽⁹⁾ ، و « ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه »⁽¹⁰⁾ .

ثم تغير هذا الاستعمال فيما بعد ، ودخل التخصص على اسم الفقه ، ونشأ له اصطلاحان : أحدهما اصطلاح الأصوليين ، والآخر اصطلاح الفقهاء .

(7) هو عيسى بن عمرو التميمي بالولاء . من أئمة اللغة وشيوخ الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وعمرو بن العلاء . أول من هذب النحو وروّبه . توفي سنة 149 هـ .

(8) الزاوي . نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(9) و (10) ابن عبد البر ، (ت 463 هـ) جامع بيان العلم وفضله . (تحقيق : إدارة الطباعة النورية) .

القاهرة : الطباعة النورية ، لا . ت . ج 1 : ص 29 .

معنى الفقه عند الأصوليين

ذهب الأصوليون في تعريفهم لمفهوم الفقه إلى المعنى الوصفي، أي الحال التي إذا وجد عليها الشخص سمي فقيها، ولم يعرضوا لمعناه الإسمي، أي المسائل التي يطلق عليها اسم الفقه، ولم في ذلك ثلاث تعريفات:

(أ) تعريف جمهور الأصوليين: وهو أن الفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاستدلال والاجتهاد، وبقيد الاستدلال عندهم خرج عن أن يكون علم المقلد بالأحكام الشرعية العملية فقها، لأنه علم ليس عن استدلال، وكذلك خرج العلم بشعائر الإسلام، كوجوب الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغير ذلك مما هو معلوم بالضرورة من غير استدلال. فهذا عندهم لا يسمى فقها لحصوله للعوام والنساء والأطفال المميزين. فالفقه بمعناه الأخص عندهم: هو العلم الاجتهادي، والفقيه هو المجتهد.

(ب) تعريف صدر⁽¹¹⁾ الشريعة المنتزعة من أصول البردوي⁽¹²⁾ مع شيء من التصرف وهو: إن الفقه هو العلم بكل الأحكام الشرعية العملية التي ظهر نزول الوحي بها وانعقد الإجماع عليها من أدلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها. وهذا التعريف يقتضي العلم بالأحكام الشرعية العملية المعروفة أخذاً من أدلتها قطعية كانت أو ظنية، وليس الاستدلال بمعنى الاجتهاد شرطاً لحصول هذا العلم، مع وجوب ملكة الاستنباط الصحيح من الأحكام الشرعية التي نزل بها الوحي، أو انعقد عليها الإجماع. والفقيه على هذا من كان أهلاً للاجتهاد، وإن لم يقع منه الاجتهاد.

(11) مصدر الشريعة الأصغر: هو عبد الله بن مسعود الجعفي البخاري الحنفي، من علماء الحكمة والطبيعات وأصول الفقه والدين. له عدة تصانيف منها: النسخ في أصول الفقه، وكتاب تعديل العلوم، وعدة ترواح، (ت) 747 هـ. راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط: 3، ج: 4، ص: 354.

(12) البردوي: هو علي بن محمد بن الحسين نسبته إلى (بردة) قلعة قرب نيف، ومن سكان مرقند، فقيه أصولي من كبار الحنفية، له مؤلفات قيمة منها: البسوط، والوصول في أصول الفقه المعروف بأصول البردوي، وتفسير القرآن وغيرها. توفي سنة 482 هـ. راجع: المرجع السابق، ج: 5، ص: 148.

(ج) تعريف الكمال بن الهمام⁽¹³⁾: عرف الكمال بن الهمام في كتابه التحرير الفقه بتعريف لا يختلف عن تعريف صدر الشريعة إلا في بعض أمور، أهمها ما يرجع إلى المراد من الأحكام الشرعية، فقد ذهب الكمال هذا إلى أنها القطعية لا الظنية، وأن الظن ليس من الفقه، وأن الأحكام المظنونة ليست مما يسمى العلم بها فقها.

واختلاف الأصوليين في تعريفهم للفقه يرجع إلى المراد من الأحكام. فالجمهور أراد منها الظنية وحدها. والبردوي ومن معه جعلوها شاملة للقطعية والظنية، وأما ابن الهمام فأراد القطعية⁽¹⁴⁾.

2 - الفقه في اصطلاح الفقهاء:

اصطلاح الفقهاء على معنيين لاسم الفقه:

(أ) المعنى الأول: الفقه هو: حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب والسنة، وما استنبط منها، سواء أحفظت مع أدلتها، أم حفظت مجردة عن هذه الأدلة.

(ب) المعنى الثاني: الفقه هو: مجموعة المسائل التي تحتوي على الأحكام الشرعية العملية التي نزل بها الوحي قطعية كانت أو ظنية، وعلى ما استنبطه المجتهدون على اختلاف طبقاتهم، وعلى ما اهتموا إليه أهل الترخيص والوجوه، وعلى ما ظهرت روايته واشتهرت، وما لم يكن كذلك، وعلى ما أفتى به أهل الفتوى في الوقائع والنوازل، وإن لم يبق على استنباط، ولم يكن تطبيقاً للأحكام المقررة، وعلى بعض ما احتجج إليه من مسائل العلوم الأخرى، كبعض أبواب الحساب التي ألحقت بالوصايا والمواثيق، وعلى ما رآه

(13) ابن الهمام: هو محمد بن عبد الواحد السبلي الإسكندراني، له مؤلفات كثيرة، ومن كتبه: فتح القدير، وشرح البداية، والتحرير في أصول الفقه. توفي سنة 861 هـ. راجع: نفس المرجع السابق، ج: 7، ص: 134.

(14) المجلس الأمل للشؤون الإسلامية، المرجع السابق، ص: 11.

المتأخرون من الفقهاء الذين ليسوا من أهل الاجتهاد ولا التخريج من طريق ما سموه فقها ، أو استظهارا ، أو أخذاً ، أو ما أشبه ذلك ، فكل هذا الذي ذكر قد اندمج بعضه ببعض وصار فقها⁽¹⁵⁾ .

2 - الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه أولاً : معنى الفقيه لغة واصطلاحاً

(أ) المعنى اللغوي للفقيه :

الفقيه اسم فاعل مشتق من الفعل فقه بضم القاف ، ومعناه : الشخص الذي صارلفقه له صفة وسجية ، وليس اسم فاعل من الفعل فقه بكسر القاف أي : فهم ، ولا من فقه بفتح القاف أي : سبق غيره إلى الفهم كما تقرر في علم العربية أن قياسه (فأقه)⁽¹⁶⁾ .

(ب) المعنى الاصطلاحي للفقيه :

أورد العلماء تعريفات عدة لمفهوم الفقيه اصطلاحاً أمكن للباحث أن يستخلص منها المعنى التالي :

الفقيه : هو ذلك الشخص الذي من الله عليه بفضل ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »⁽¹⁷⁾ ليكون من أعلم الناس بما أحل الله وحرم على عباده ، وأعرهم باختلاف الفقهاء ، وأبصرهم بنور الحق إذا تباينت فيه آراؤهم ، وهو الذي لا يقنط أحداً من رحمة الله ، ولا يئس من روحه ، ولا يؤمنه من مكره ، ولا يجب إلا في الله ، ولا يبعث إلا في ذات الله ، ويقبل على

(15) نفس المراجع ، ص 12 .

(16) عبد الله بن أبي التمام البصري ، (ت 685 هـ) ، منهاج الوصول في علم الأصول (شرح) محمد بن الحسن الديلمي - القاهرة : مطبعة علي صبيح وأولاده ، لا ، ت : 1 ، ج : 2 ، ص 20 .

(17) الحديد : 21 .

نفسه فيكون لها أشد مقتاً منه من الناس ، وأن يكون عالماً بالآثر ، بصيراً بالرأي ، ويملك فوق ذلك كله القدرة والملكية على استنباط الأحكام واستخراجها .

وقد جاء من الأحاديث النبوية الشريفة وفي الآثار في هذا المعنى قدر كبير نورد منها ما يلي :

☆ عن أبي إسحاق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه ، ألا لا خير في عبادة ليس بها تفقه ، ولا علم ليس فيه تفهم ، ولا قراءة ليس فيها تدبر »⁽¹⁸⁾ .

☆ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن مسعود ! » قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : « أتدري أي ابن الناس أفضل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم » قال : « يا عبد الله بن مسعود ! » قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : « أتدري أي الناس أعلم ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس... »⁽¹⁹⁾ .

☆ وعن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال : « لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ، ولن تفقه كل الفقه حتى تفقه الناس في ذات الله ، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك من الناس »⁽²⁰⁾ .

☆ قال محمد بن عيسى : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول : « من لم

(18) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، ج : 12 ، ص 44 .

(19) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 43 .

(20) نفس المراجع ، ص 45 .

يعرف اختلاف القراء فليس بقاريء ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقهاء»⁽²¹⁾.

☆ وعن عثمان بن عطاء من أبيه قال : «لا ينبغي لأحد أن يقضي الناس حتى يكون ملما باختلاف الناس فإنه إن لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي بين يديه»⁽²²⁾.

ثانيا : الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الفقيه

للفقيه المقي في الإسلام منزلة عظيمة ، ومكانة سامية جليلة باعتبارها مبلغا عن الله ورسوله ، موقعا عنها فيما يحلّ ويحرم شرعا ، ولا يمكن لشخص ما أن يصل إلى هذه الدرجة إلا إذا توفرت فيه صفات وشروط معينة تحوّلته أن يتبوأ هذا المنصب الخطير ، ومن هذه الشروط والصفات التي رآها العلماء⁽²³⁾ .

- 1 - أن يكون الفقيه المقي مسلما .
- 2 - مكلفا .
- 3 - عدلا ثقة ومأمونا .
- 4 - منزها عن أسباب الفسق وخوارم العروءة .
- 5 - فقيه النفس ، سليم الذهن ، رصين الفكر ، صحيح التصرف والاستنباط .
- 6 - قوي الضبط متيقظا .
- 7 - عارفا بنصوص الكتاب والسنة وفيما يتعلق بالأحكام .
- 8 - عارفا بمسائل الاجماع لئلا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه ، إن كان ممن يقول بحجية الاجماع ويرى أنه دليل شرعي .

(21) نفس المرجع ، ص 64 .

(22) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(23) عبد الباقى بن موسى العلوي (ت 981 هـ) . المعيد في أدب الحديث والمستفيد . دمشق : مطبعة الرقعي . سنة 1349

هـ ، ص 85 .

9 - متبكنا من اللغة العربية - التي هي لغة التشريع - حتى يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة .

10 - له دراية بعلم أصول الفقه ، لأنه هو العلم بالتقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

11 - له معرفة بالناسخ والمنسوخ سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية المطهرة حتى لا يقع في الحكم بالمنسوخ⁽²⁴⁾ .

ولعله من المفيد أن نورد هنا ما قاله ابن قيم الجوزية من الشروط فهن يبلغ عن الله ورسوله ، قال : «ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتد العلم بما يبلغ ، والصدق فيه ، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالما بما يبلغ ، صادقا فيه ، ويكون مع ذلك حسن الطريقة ، مرضي السيرة ، عدلا في أقواله وأفعاله ، متشابه السر والعلاية في مدخله ومخرجه وأحواله ، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالحلّ الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيّات ، فكيف بمنصب التوقيع عن ربّ الأرض والسموات ؟ فحقّق بن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدته ، وأن يتأهّب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من الحقّ والصدق به ، فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه ربّ الأرباب ؟ فقال تعالى : ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾⁽²⁵⁾ ، وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفا وجلالة ، إذ يقول في كتابه : ﴿قل الله يفتيكم في الكلاله﴾⁽²⁶⁾ . ولعلم المقي عن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله»⁽²⁷⁾ .

(24) محمد بن علي الشوكاني (ت 1255 هـ) إرشاد النحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول . بيروت : دار الفكر . لا . ص 250 - 252 .

(25) النساء : 127 .

(26) النساء : 106 .

(27) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) (ت 751 هـ) . إعلام الموقعين عن ربّ العالمين . (تعليق) . طه عبد الرؤف

معدن . بيروت : دار الجيل ، 1973 م ، ج 1 ، ص 10 - 11 .

هذا وليس هناك فرق - بتلك الشروط والصفات والمواصفات المذكورة آنفاً - بين الفقيه الحنفي المسلم الحر والعبد ، والمرأة والأعمى والأخرس إذا كتب أو فهمت إشارته⁽²⁸⁾ .

3 - المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها الفقيه أبو عمرو الربيع بن حبيب

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث إلى أن أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي قد التحق - عند مجيئه من عمان إلى البصرة بالعراق - بمدرسة أو حلقات دروس التابعي الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وتلمذ عليه لفترة وجيزة إذ كان جابر بن زيد رضي الله عنه حينئذ في أواخر أيام حياته ، وما لبث إلا سيرا بعد التفائه بالربيع حتى لاقى ربه سنة 93 هـ . وبذلك كان أكثر ما أخذه الربيع من العلوم الدينية والعربية عن تلاميذه الكبار الذين كانوا يمثلون آراءه ومذهبه حتى تمثيل ، ويتمحون خطاه ويتجهون سبيله في الدعوة إلى العودة بالمسلمين إلى الإمامة العادلة وشورية البيعة وحرية الاختيار للحاكم كما كانوا عليه زمن الخلافة الراشدة ، من أمثال : أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة ، وضام بن السائب ، وجعفر بن السباك ، وأبي نوح صالح الدهان وغيرهم .

أخذ أبو عمرو الربيع بن حبيب من هذه المدرسة علومه الدينية وأراءه الفقهية ، فهي وإن كانت إحدى مدارس البصرة الشهيرة بالعراق إلا أنها لم تذهب مع الرأي ذلك المذهب الذي بلغه الحنفية والعتزلة ، فأمامها أبو الشعثاء قد اعتد نصيحة شيخه الصحابي الجليل أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها إذ قال له : «يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة ، وستفتن فلا تفتن إلا بكتاب ناطق أو

(28) عبد الباقط بن موسى العلوي ، مرجع سابق ، ص 85 .

سنة ماضية⁽²⁹⁾ . وفي رواية أخرى قال جابر بن عبد الله : «يا ابن زيد ! إنك من فقهاء البصرة ، إنك تستفتي فلا تفتن إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك»⁽³⁰⁾ ، عمل أبو الشعثاء بهذه النصيحة في بناء أصوله الفقهية ، وإجراء أحكامه الشرعية على كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

ويمكن وضع هذه المدرسة الفقهية الجابرية (أو ما سمي فيها بعد بالمذهب الإباضي) في المنزل أو الشريعة التي تقع - إن صح التعبير - بين أهل الظاهر والخابئة من جهة ، والحنفية من جهة أخرى ، فهي تعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض وعلى الأحادي ، وعلى مرسل الصحابة والتابعين ، وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان أحاديًا أو مرسلًا للطبقة السابقة ، ولا يرد الحديث الأحادي إلا إذا عارضه دليل قطعي . وتقول - أيضا - بالقياس والاستصحاب ، والمصلحة المرسل⁽³¹⁾ . ولعل من المفيد أن يثبت الباحث أصول هذه المدرسة أو بعبارة أدق أصول المذهب الإباضي التي كان أبو عمرو الربيع بن حبيب أحد رواد تقييدها وتأسيسها .

أ - أصول الإباضية في التشريع :

مصادر التشريع عند الإباضية هي : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والإجماع والقياس ، والاستدلال ويندرج تحته ، الاستصحاب ، والاستحسان ، والمضالغ المرسل . وقد يطلقون على الإجماع والقياس والاستدلال كلمة (الرأي) فيقولون عندما يتحدثون عن مصادر التشريع هي : الكتاب ، والسنة ، والرأي ، ويسبب ذلك أخطأ بعض من كتب عنهم فظن أنهم ينكرون الإجماع .

(29) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية ، لا . ت . مع : 2 ، القسم الثاني من الجزء الأول ص 204 .
(30) أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير (ت 774 هـ) البداية والنهاية (شرح وتحقيق) مكتبة المعارف ط 3 . بيروت : مكتبة المعارف . 1980 م ج 9 ، ص 94 .
(31) علي بن يحيى معمر (ت 1980 م) الإباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة : مطابع سجل العرب . 1976 م ، ص 357 - 357 .

ب - آراؤهم في بعض مسائل الأصول :

- 1 - شرع من كان قبلنا شرع لنا إذا لم ينسخ وقصه الله تبارك وتعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم علينا على جهة التشريع⁽³²⁾.
 - 2 - الإجماع القولي حجة قطعية والإجماع السكوتي حجة ظنية⁽³³⁾.
 - 3 - الحديث الأحادي يفيد العمل ولا يفيد العلم فلا يحتاج به في العقائد⁽³⁴⁾.
 - 4 - عمل أهل المدينة أو إجماعهم ليس حجة على غيرهم⁽³⁵⁾.
 - 5 - مذهب الصحابي ليس حجة على غيره⁽³⁶⁾.
 - 6 - إذا تعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم وعمله ، ولم يكن الجمع بينهما فالقول أقوى لأنه أساسا موجه إلينا ، والعمل يحتل الخصوصية⁽³⁷⁾.
 - 7 - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب⁽³⁸⁾.
 - 8 - لا خيار للناس في حكم ثبت بنص القرآن ، ويدخل في هذا قضية التحكيم⁽³⁹⁾.
 - 9 - في عدالة الصحابة ثلاثة أقول⁽⁴⁰⁾.
- القول الأول : الصحابة كلهم عدول إلا من فسده القرآن الكريم كالوليد بن عتبة ، وثعلبة بن حاطب .
- القول الثاني : الصحابة كلهم عدول وروايتهم جميعا مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن من خاضها .
- القول الثالث : الصحابة كثيرهم من الناس من اشتهر بالعدالة فكذلك ، ومن لم يعرف حاله بحث عنه .

(32) أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص : 60 .

(33) نفس المرجع ، ص : 66 .

(34) نفس المرجع ، ص : 15 .

(35) نفس المرجع ، ص : 69 .

(36) نفس المرجع ، ص : 64 .

(37) علي بن أبي حمزة : (ت 1980 م) الإزاهية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتزلة . عبطوط : 14 .

(38) نفس المرجع ص .

(39) نفس المرجع ص .

(40) أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 42 - 43 .

10 - الأعمال التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض العبادات لسبب عارض ، أو فعلها ولم يعد إليها ، أو لم يثبت أنه داوم عليها ، لا يعتبرونها سنة ، وإنما يرونها واقعة حال يمكن الإتيان بها في ظروف مشابهة فقط اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فهم لا يقولون بسنية المسائل الآتية⁽⁴¹⁾ :

☆ القنوت في الصلاة

☆ رفع الأيدي عند التكبير

☆ تحريك السبابة عند التشهد .

☆ الجهر بكلمة آمين بعد قراءة الفاتحة في الصلاة .

☆ زيادة (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر .

11 - إذا اختلف المجتهدان في القطعيات فأحدهما مصيب ، والآخر غطيء أثم ، وإذا اختلفا في الظنات (أي في الفروع ، فأباضية المغرب وابن بركة من أئمة المشرق يرون أن أحدهما مصيب له أجران - وأن الآخر غطيء ، وله آخر واحد جزاء اجتهداه . أمّا إباضية المشرق وأبو يعقوب الوارجلاني من أئمة المغرب فيرون أن كلا المجتهدين مصيب⁽⁴²⁾ .

ج - القواعد الفقهية التي قراعي في تفريعاتهم الفقهية⁽⁴³⁾ :

للإباضية تفريعات فقهية تتضمن تحت القواعد الفقهية الأساسية تذكر منها مايلي :

(41) أ - علي بن أبي حمزة ، نفس المرجع ، ص : 15 .

ب - سأل بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية . سوريا ولبنان : دار البقعة العربية ، لا . ت . ص : 292 - 291 .

(42) أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي . نفس المرجع ، ص : 279 .

(43) راجع : ضياء الدين عبد العزيز الكلبى (ت 1223 هـ) النيل وشفاء العليل (تعليل) بكتلي عبد الرحمن بن عمر .

ط 2 . الجزائر : المطبعة المرسية ، 1969 م . ج : 1 ، ص : 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، وج : 2 .

ص : 659 ، 660 ، 661 ، ج : 3 ، ص : 1099 ، 1100 ، 1101 ، 1102 .

فماذج من فتاوى أبي عمرو الربيع بن حبيب

لقد استطاع الباحث أن يجمع عددا من فتاوى الربيع وإجاباته عن أسئلة في مختلف أبواب الفقه لأبي عمرو الربيع بن حبيب ، التي جاءت متناثرة ومتفرقة هنا وهناك في كتب الفقه الإباضي ، حيث إنه لم يعثر - فيما وصلت إليه يده من مؤلفات الإباضية وفي قائمة مصنفاتهم التي ذكرها العالمان : أبو القاسم إبراهيم البرادي في كتابه (الجواهر المنتقاة)⁽⁴⁴⁾ ، وأبو محمد عبد الله بن حيد السلمي في رسالته (اللمعة المرضية من أشعة الإباضية)⁽⁴⁵⁾ - على مصنف قائم في الفقه لهذا الإمام .

ولعل أكثر ما جاء عن الربيع من فتاوى وآراء فقهية في كتب وأثار الإباضية إنما هو مأخوذ من المدونة الكبرى لتلميذه العلامة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني الإباضي التي جمعها عن سبعة⁽⁴⁶⁾ من أشياخه تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهم - عدا أبي عمرو الربيع - وأثل بن أيوب الحضرمي ، وأبو المؤرج ، وعبد الله بن عبد العزيز ، ومحبوب بن الرحيل القرشي ، وحاتم بن منصور ، وأبو غسان مخلد بن العمود وغيرهم من علماء التابعين⁽⁴⁷⁾ . وفي يلي أمثلة وفماذج من تلك الإجابات والفتاوى موزعة على مختلف أبواب الفقه :

أ) في باب الطهارات :

سئل أبو عمرو الربيع عن :

(44) راجع : أبو القاسم إبراهيم البرادي . الجواهر المنتقاة . القاهرة : مطبعة حجرية ، 1386 هـ . ص 218 - 281 .
(45) انظر : موسى وطى بكير بن طي . مجموع ستة كتب . غرداية : المطبعة العربية ، لا . ت . ص 67 - 77 .
(46) راجع سير هؤلاء الأشياخ : أبو المباس أحمد بن سعيد الشاذلي . السير . القاهرة : مطبعة الأزهار ، لا . ت . ص 102 ، 103 ، 110 ، 111 ، 117 ، 119 .
(47) أبو غانم بشر بن غانم . المدونة الكبرى . (ترتيب : محمد بن يوسف المغيث لبنان - سوريا : دار البقعة العربية ، 1974 م . ج 1 : ص 4 .

☆ كل مكان دخل إليه بإذن تجوز فيه الصلاة ولو بلا إذن .

☆ لا يصح لغاصب أن يوطن بيتا غصبه .

☆ المسافر يقصر الصلاة ما دام على نية السفر .

☆ كل مالا ينقض الصلاة سهوا يفسدها عدا إن لم يكن لإصلاحها .

☆ الأصل في المقبرة أن تكون للجميع إن لم تعرف لحاصة .

☆ كل ما لا يصلح به لا يصلح عليه .

☆ شهادة العدلين توجب عللا لا علما .

☆ الاستثناء في اليمين ينفع في المستقبل لا في الباضى .

☆ الخلوة توجب العدة والصدقات الكامل .

☆ الولد تابع لمن أسلم من أبويه .

☆ كل جمع على تحريمه حرام بيعه وأكل ثمنه .

☆ الأمور بمقاصدها .

☆ اليقين لا يزول بالشك .

☆ الأصل براءة الذمة .

☆ البيئته على من ادعى واليمين على من أنكر .

☆ البيئته حجة متعديّة ، والإقرار حجة قاصرة .

☆ الخراج بالضمان ، والأجر والضمان لا يجتمعان .

☆ لا ضرر ولا ضرار ، والضرر يزال .

☆ الضرورات تبيح المحظورات ، والحاجة تنزل منزلة الضرورة .

☆ دره المفاسد مقدم على جلب المصالح .

☆ المشقة تجلب التيسير .

☆ الثابت بالبرهان كالثابت بالبيان .

☆ الجواز الشرعي ينافي الضمان ، وكل وصية لم تتبين رجعت للأقرب .

☆ كل مال يورث فخرام غنيمته ، وكل مال يغتم فخرام ميراثه ..

☆ وأماها كثيرة في كتب الأصول وكتب الفقه .

- 1 - رجل يرى في ثوبه أثر الاحتلام وهو يصلي ؟
 أجاب : انتقضت صلاته وينصرف يغسل ثوبه ، ثم يصلي به ، أو يأخذ غيره ويصلي به⁽⁴⁸⁾ .
 2 - وإذا كان احتلاما جافا فحكها حتى أذهبها ، أيصلي بذلك الثوب ؟
 أجاب : لا يعجبني أن يصلي به حتى يغسلها⁽⁴⁹⁾ .
 3 - عن رأى في ثوبه دما ؟
 أجاب : إن كان يقدّر ما لو اجتمع سال فهو نجس ، وإن كان لو اجتمع لم يسل فلا بأس⁽⁵⁰⁾ .
 4 - عن دم في البزاق والنخامة ؟
 أجاب : إن قلّ فلا بأس ، وإن كان كثيرا سائلا توطأ⁽⁵¹⁾ .

(ب) باب في الوضوء والاعتسال :

- 1 - أيعيد الرجل الوضوء إذا مسّ الجذب أو ظهر كلب ؟
 أجاب : أمّا الجنب فلا يعيد منه الوضوء ، وأمّا ظهر الكلب فإن كان رطباً من بلل فعلية إعادة الوضوء⁽⁵²⁾ .
 2 - رجل توطأ للصلاة فقبل جاريته أو امرأته أو لامسها ، أو باشرها ، أو غزها أو مسّ جسدها كل ذلك بشهوة منه ، أو غير ذلك أيعيد الوضوء ؟
 أجاب : لا يعيد الوضوء في شيء من ذلك إلا أن يميّز ، فإن لم يميّز فلا إعادة عليه في شيء من ذلك⁽⁵³⁾ .
 3 - أيتوضأ الرجل من الإناء الذي ولغ فيه الكلب أو السبع ؟

- أجاب : ليفسله ثم يتوضأ منه ، ولا يتوضأ منه حتى يغسله⁽⁵⁴⁾ .
 4 - أتوقت في الإناء ثلاثاً أو سبعا كما قال الكوفيون ؟
 أجاب : لا أوقت في ذلك وقتاً دون حسن الثناء والغسل ، فإن تقاه في مرة واحدة فليتوضأ به⁽⁵⁵⁾ .
 5 - رجل يتجشأ فيخرج من جوفه شيء إلى حلقه ؟
 أجاب : يتم وضوءه ، وإن خرج إلى فيه فليتوضأ وإنما التطهر مما يخرج وليس ممّا يدخل⁽⁵⁶⁾ .

6 - عن كيفية الوضوء ؟

- أجاب : سألت أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن الوضوء والصلاة فقال : «تبدأ فتغسل كفيك ثم تستنجي ، ثم تمضمض فاك ، ثم تستنشق بالماء ، وتغسل وجهك وذراعيك إلى المرفقين ، وتغس برأسك وأذنيك ظاهرهما وباطنهما ، وتغسل رجليك إلى الكعبين⁽⁵⁷⁾ .
 7 - أرايت مسح الأذنين والمضضة والاستنشاق واجبات هن ؟
 أجاب : نعم . من ترك من ذلك شيئاً لم يتم وضوءه⁽⁵⁸⁾ .
 8 - رجل ضحك وهو إمام قوم ففقهه ؟
 أجاب : بطلت صلاته ووضوءه ، أما الذين من خلفه يعيدون صلاتهم ، ولا يعيدون وضوءهم إلا أن يكونوا ضحكوا معه⁽⁵⁹⁾ .
 9 - قال الربيع : كل شيء من الكلام خبيث ينقص الوضوء⁽⁶⁰⁾ .

(54) أبو غانم بشر بن غانم . المدونة الكبرى . مرجع سابق . ص 9 .

(55) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(56) نفس المرجع ، ص 10 .

(57) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(58) نفس المرجع ، ص 11 .

(59) نفس المرجع ، ص 13 - 14 .

(60) عامر علي الشامي . الإيضاح . ط 2 . بيروت : مطبعة الوطن . 1971 م ، ج 1 ، ص 129 .

(48) أبو غانم بشر بن غانم . المدونة الكبرى . مرجع سابق . ص 5 .

(49) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(50) نفس المرجع ، ص 6 .

(51) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(52) نفس المرجع ، ص 8 .

(53) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

ج) باب في التيمم :

- 1 - هل يجدد التيمم عند كل صلاة ؟ .
- قال الربيع بتجديد التيمم عند كل صلاة إلا إن جمعت فإنه يجتزأ بتيمم واحد ، وعلل ومن على رأيه ذلك بثلاث علل :
- إحداها : إن التيمم لا يرفع الحدث وإنما هو مشروع لاستباحة أقل ما يمكن له من الصلاة .
- والثانية : إنه لا يتيمم قبل وقت الصلاة .
- والثالثة ، إن تكرار طلب الباء واجب لكل صلاة ، فإذا لم يوجد الباء عدل إلى التيمم⁽⁶¹⁾ .

د) باب أوقات الصلاة :-

- 1 - ما حكم من أخر الصلاة عن وقتها ؟ .
- قال الربيع : كل صلاة يؤتها حتى إنه يحكم بكفر من أخر عدا صلاة إلى وقت صلاة بعدها ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : «وقت صلاة الظهر مالم يحضر العصر ، ووقت صلاة العصر مالم تصفر الشمس ، ووقت صلاة المغرب مالم يسقط نور الشفق ، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل ، ووقت صلاة الفجر مالم تطلع الشمس»⁽⁶²⁾ ، وقال : «لولا أن أشق عليكم لأمرتكم بصلاة العشاء في آخر نصف الليل»⁽⁶³⁾ وكان يقول : «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر - ويروى ثلاث عشرة - وفرقوا بينهم في المضاجع»⁽⁶⁴⁾ ،⁽⁶⁵⁾

(61) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجبلي (ت 750 هـ) . قواعد الإسلام - (حق) : بكلي عبد الرحمن بن عمر غرداية : الطبعة العربية سنة 1976 م - ج : 1 ، ص 793 .

(62) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري صحيح مسلم : القاهرة : مطبعة محمد علي صبح وأولاده ، ج : 2 ، ص : 104 .

(63) لم أشر على حديث هذا اللفظ ، وقد جاء في كتاب الإيضاح الجزء الثاني صفحة 387 للشلباني ، وفي نيل الأوطار للشوكاني الجزء الأول صفحة 413 من رواية أحمد وابن ماجة والترمذي ماضه : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه» .

(64) أبو الساماعات المبارك بن محمد بن الأثير الجوزي ، (ت 606 هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول - (حق) : عبد القادر الأرناؤوط ، لا . ب . مطبعة الملاح ، لا . ت ، 5 ، ص : 187 .

(65) أبو غانم بشر بن غانم ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص : 41 .

هـ) باب الأذان والإقامة :

- 1 - هل على المرأة أذان أو إقامة ؟ .
- أجاب : لا⁽⁶⁶⁾ .
- 2 - إن تكلم المؤذن في أذانه وإقامته أيم على ما مضى من أذانه وإقامته أم يستقبل ؟⁽⁶⁷⁾ .
- أجاب : أحب إليّ ألا يتكلم من حاجة لابتداء منها ، فإن لغير حاجة لم أر عليه الإعادة ، ويبي على ما مضى من أذانه وإقامته⁽⁶⁸⁾ .

و) باب القراءة والإقامة في الصلاة :

- 1 - ما حكم رجل يدرك الإمام وهو راكع ؟ .
- أجاب : إذا أدركه ولم يرفع رأسه من الركوع فليكبّر التكبير التي تفتح بها الصلاة ثم يركع وليصل معه وليعتد بها ، وإذا أدركه ساجدا فليكبّر ويسجد⁽⁶⁹⁾ .
- 2 - أيوم الرجل التسوة وليس معهن رجل غيره ؟ وإن دخل عليه في صلاته تلك رجل واحد ؟ .
- أجاب : نعم ، وإن جاء رجل واحد فليقم إلى جنب الإمام عن يمين الإمام⁽⁷⁰⁾ .
- 3 - أيقراً الرجل في صلاة التطوع بأمر القرآن وحدها ؟ .
- أجاب : لا ، إلا ومعها سورة من القرآن⁽⁷¹⁾ .
- 4 - أيقراً الرجل في الأولى والعصر بشيء من القرآن غير فاتحة الكتاب ؟ .
- أجاب : لا ، إلا بفاتحة الكتاب سرّاً فيما بينه وبين نفسه⁽⁷²⁾ .

(66) نفس المرجع ، ص : 45 .

(67) أي : يتأخّر .

(68) نفس المرجع ، ص : 40 .

(69) نفس المرجع ، ص : 74 .

(70) نفس المرجع ، ص : 75 .

(71) نفس المرجع ، ص : 77 .

(72) نفس المرجع ، ص : 78 .

5 - أيقراً في أربع الركعات كلهن بفتحة الكتاب وحدها ؟
قال : نعم ، ذلك أحب إليّ وبه نأخذ⁽⁷⁸⁾ .

ن باب السلام من الصلاة:-

1 - كيف يعلم الرجل إذا أراد أن ينصرف من صلاته ؟
أجاب الربيع : عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تسليه واحدة ، ثم ينصرف بوجهه إلي يساره حتى يرى من على يساره خده⁽⁷⁹⁾ .

ح باب في صلاة المصافر:-

1 - ينتطوع الرجل وهو مسافر قبل الصلاة ويعدها ؟
أجاب : نعم ينتطوع قبل الصلاة ويعدها⁽⁸⁰⁾ .
2 - يضيئ الرجل التتطوع وهو على ظهر دابته ويسجد ؟
أجاب : نعم ولا بأس بذلك ، ولكن لا يسجد بل يوميء برأسه إياه ، ولا يضره إن كان وجهه لغير القبلة⁽⁸¹⁾ .

ط باب الصلاة على الجنازة :

1 - يضيئ على الرجل والمرأة إذا ماتا جميعا صلاة واحدة ؟ وإذا كان الرجل والنساء أكثر من اثنين فكيف تتم الصلاة عليهم ؟
أجاب : إن الرجل يكون أمام المرأة ، والمرأة ما يلي الإمام ، فإن أكثر من ذلك رجالا ونساء فيكون الرجلان مما يلي القبلة ، والنساء مما يلي الإمام . وهذا قال أبو عبيدة⁽⁸²⁾ .

2 - امرأة توفيت مع قوم في سفر ليس معهم نساء ، ومعهم أبوها أو أخوها أو ابنها أيفسولونها ؟

أجاب : يفسلها زوجها ، وإن لم يكن زوجها وكان أبوها أو أخوها أو غيرها من القرابة فليفسلوهما من وراء الثياب فإن الموت كراهية⁽⁸³⁾ .

ي وما جاء عن الربيع في باب الزكاة :

1 - إذا كانت الأرض خراجا ليس فيها عشر ، لأنه لا يجتمع الخراج مع العشر⁽⁸⁴⁾ .

2 - ما زاد على البالكين درهما ففي كل أربعين درهما درهم ، وما زاد على العشرين مثقالا ذهباً ففي كل أربعة مثاقيل عشر المثقال ، ولو بلغت القناطير ، وما دون الأربعين درهما فليس فيه شيء وكذلك ما دون أربعة مثاقيل⁽⁸⁵⁾ .

ك وما جاء عنه في باب الصوم :

1 - من أخذ في قضاء ما عليه من شهر رمضان ثم أفطر من غير عذر ، فإنه يستأنف ما قد كان عليه من القضاء ، وإن مات ولم يصم ما عليه من شهر رمضان صام عنه وليه ، وإن لم يصم عنه وليه أطعم عن كل يوم لم يصمه مسكناً⁽⁸⁶⁾ .

2 - إذا أصبح المصافر صائماً في رمضان ثم أفطر ، بطل ما صم من الشهر إذ ليس لمصافر أن يصوم رمضان في السفر ويفطر ، فإمّا أن يفطر ، وإمّا أن يصل صومه ، وإن صام وأفطر ثم وصله بعد ذلك . وعليه أن يستأنف رمضان ، إلا أن يكون صام أياماً بعدما أفطر ثم وصله بعد ذلك . فإمّا ما كان صام قبل أن يفطر فإنه حين أفطر بطل ما كان صام وليس عليه كفارة⁽⁸⁷⁾ .

(78) نفس المرجع ، ص 218 - 219 .

(79) عامر بن علي الشافعي . الإيضاح . مرجع سابق ، ج 2 : ص 42 .

(80) نفس المرجع ، ص 45 - 46 .

(81) أبو غلام بشر بن غانم . مرجع سابق ، ج 1 : ص 277 .

(82) نفس المرجع ، ص 345 - 346 .

(73) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(74) نفس المرجع ، ص 96 .

(75) نفس المرجع ، ص 188 .

(76) نفس المرجع ، ص 189 .

(77) نفس المرجع ، ص 214 .

(ل) وما جاء عنه في باب الحج :

- 1 - إن الرجل إذا ملك زادا وراحلة واستطاع الحج وهو يخاف على نفسه من العنت من قبل النساء ، فإن كان في أيام الحج أو أشهر الحج فليحج ، وإن كان في غير أيام الحج وهو يرجو أن تزوج هذه الدراهم التي عنده أن الله سيرزقه فيما بينه وبين أيام الحج فليتزوج إن خاف على نفسه العنت⁽⁸³⁾ .
- 2 - من وجب عليه الحج ولم يحج ولم يوص به مات كافرا⁽⁸⁴⁾ .

(م) وما جاء عنه في باب النكاح :

- 1 - إذا تزوج الرجل المرأة واختلعا في المهر ، وقد دخل وليس بينهما نية فلها ما سئى الزوج وليس لها غير ذلك⁽⁸⁵⁾ .
- 2 - الفداء طلاق ، فإذا فادى الرجل امرأته ثلاث فلا محل له حتى تنكح زوجا غيره⁽⁸⁶⁾ .
- 3 - إذا قال الرجل لزوجته أمرك يدك . فقالت : طلقت نفسي ثلاثة فقد بانئت عنه بينونة كبرى ولا يسأل عن نيته في التخيير في واحدة أو اثنتين أو ثلاثة⁽⁸⁷⁾ .
- 4 - إذا شهد شاهد على رجل أنه طلق امرأته واحدا ، وشهد آخر أنه طلقها اثنتين ، يقع عليها من ذلك تطليقة واحدة ، لأنها اجتمعا عليه⁽⁸⁸⁾ .

(ن) وما جاء عنه في المعاملات :-

- 1 - إذا اشترى الرجل سلعة قطعن فيها بيبع قبل أن يتقد الثمن ، لا أقبل شهوده على العيب حتى يتقد الثمن⁽⁸⁹⁾ .

- 2 - إذا كان لرجل على رجل دين وكفله عليه رجل آخر ، فإن للطالب أن يأخذ أيها شاء فإن كان حواله لم يكن له أن يأخذ الذي أحاله لأنه قد أبرأه⁽⁹⁰⁾ .
- 3 - إذا استكرى الرجل ليجمل عليها مكيلا معيننا فحمل عليها أكثر من ذلك فطعبت الدابة فهو ضامن لقبيتها كلها ولا إجارة عليه⁽⁹¹⁾ .
- 4 - إذا رهن رجل لرجل رهنا وضعه على يد عدل فهلك الرهن وكان قيمته والدين سواء ، فالدين على الراهن كما هو ، والرهن من ماله لأنه لم يكن في يد المرتين إنما هو موضوع في يد غيره⁽⁹²⁾ .
- 5 - إذا شهد الرجل على شهادة شاهد تقبل شهادته⁽⁹³⁾ .

(ع) وما جاء عنه في الحدود :

- 1 - إذا عدا رجل على مال رجل فسرقه مما يجب فيه القطع ، فأخذه الرجل المسروق منه فقطع يده فإنه يؤدب لأنه لا يقيم الحدود إلا الأئمة⁽⁹⁴⁾ .
- 2 - إذا تزوج رجل امرأة فدخل بها ولم يجامعها ثم زنى فإنه لا رجم عليه حتى يمسيها⁽⁹⁵⁾ .
- 3 - إذا استكره الحر الحرة فعليه الحد ، وصادق مثلها ، ولا حد على المرأة⁽⁹⁶⁾ .
- 4 - رجل يقذف رجلا فيجلد ثم يعود المجلود إلى القذف لمن جلد له ، فقد حدثنا جابر بن زيد عن ابن عباس قال : لا حد عليه مرة أخرى ، وقد قال ابن عباس أيضا : لو افترى أبو بكره على المغيرة بن شعبة مائة مرة ما كان إلا الحد الأول⁽⁹⁷⁾ .

(90) نفس المرجع ، ص 104 .

(91) نفس المرجع ، ص 111 .

(92) نفس المرجع ، ص 151 .

(93) نفس المرجع ، ص 200 .

(94) نفس المرجع ، ص 243 .

(95) نفس المرجع ، ص 244 .

(96) المرجع السابق ، ص 251 .

(97) نفس المرجع ، ص 253 .

(83) خامر بن علي الشامي . المرجع السابق ، ص 231 .

(84) نفس المرجع ، ص 234 .

(85) أبو غانم بشر بن غانم . نفس المرجع ، ج 2 ، ص 13 .

(86) نفس المرجع ، ص 46 .

(87) نفس المرجع ، ص 53 .

(88) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(89) نفس المرجع ، ص 103 .

(ف) وما جاء عنه في الديات :

- 1 - رجل يأمر عبده أن يقتل رجلاً أو يضربه ، فهو القاتل أو الجارح ، وهو بمنزلة من تولى الضرب بيده لأن مملوكه سوطه الذي يعذب به ⁽⁹⁸⁾ .
 - 2 - رجل أعور فقاً عين رجل ليس بأعور ، فأحب المقوومة عينه أن يفقأ عين الأعور ، فله ذلك ، فإن فقأ عينه رد عليه فضل خمائة دينار ، لأن عين الأعور تعدل عينين ⁽⁹⁹⁾ .
 - 3 - الرجل البالغ والغلام الذي لم يحتلم يجتمعان على رجل فيقتلانه عدا ؟ فيقتل البالغ منها وتغرم عاقلة الغلام لورثة القتيل نصف الذية ، لأن عد الغلام وخطأه خطأ تعقله العاقلة ⁽¹⁰⁰⁾ .
 - 4 - رجل كان فوق البيت فزجره رجل وروّعه بصوته حين زجره فوق فأت ؟ فعلى الذي زجره الذية ⁽¹⁰¹⁾ .
- تلك هي غاذج من فتاوى أبي عمرو في مختلف أبواب الفقه ، نكتفي بها للتدليل على مكانته الفقهية دون التعرض إلى مناقشتها لأننا لسنا بصدد دراسته كفقيه حتى نلم بمنهجه ، ونناقش آراءه مالها وما عليها فذلك شأن من يتصدى لمثل هذا العمل لا بحث خاص بالربيع الفقيه لا في فصل ملحق كهذا الفصل ، ومع ذلك فإنه من خلال ما عرضناه من الفتاوى يمكننا أن نبدي بعض الملاحظات حول منهج الربيع في الفتوى عموماً ..
- ☆ معظم فتاوى أبي عمرو تعتمد على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وأثر ورأي .

☆ تتسم بالاختصار دون سوق الأدلة والنصوص المعتبرة في الفتوى - على عادة شيخية أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهاء عصره من التابعين وتابعيهم .

(98) نفس المرجع ، ص 265 .
(99) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(100) نفس المرجع ، ص 266 .
(101) نفس المرجع ، ص 269 .

☆ الاعتماد الكبير بعد الكتاب الكريم في السنة على سند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

☆ الاختصار في كثير من الإجابات على كلمتي : نعم ، أو لا . دون تعليل أو تأصيل .

☆ التحفظ عن إطلاق كلمة (حرام أو محرم) بقوله : «ذلك لا يعجبني» في بعض الأحيان ، هذا وستورد بعض فتاوى الربيع وأقواله التي لم يجزها العمل عندنا فيما يلي :

5 - بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجزها العمل في المذهب الإباضي

فأبو عمرو الربيع بن حبيب وإن كان من الأئمة المعتبرة أراؤهم وفتياهم في المذهب الإباضي إلا أن هناك بعض أقواله لم يجز العمل بها ومنها :-
أ - تغليظه على من قال : علي عهد الله وميثاقه ، أو كافر أو يهودي أو نصراني ⁽¹⁰²⁾ .

ب - عدم تحريره نكاح المنة ⁽¹⁰³⁾ .

ج - تنزيل الأم منزلة الأب عند عدمه ⁽¹⁰⁴⁾ .

د - المكاتب عبد مابقي عليه شيء مما كُتِب عليه ⁽¹⁰⁵⁾ .

هـ - الاستنجاء بالماء ليس مما يراه واجباً ⁽¹⁰⁶⁾ .

(102) عامر بن علي الشامي ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 364 - 365 .
(103) سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية ، سوريا ولبنان : دار البقعة العربية لا . ت . ص 156 .

(104) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(105) ضياء الدين عبد العزيز اللبني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 339 .

(106) سالم حيد الحارثي ، المرجع السابق ، ص 156 .

و - إجازة سجود السهو في كل صلاة⁽¹⁰⁷⁾ .

ز - إن الصلاة لا يقطعها شيء⁽¹⁰⁸⁾ .

ح - كل صلاة انفردت بوقتها⁽¹⁰⁹⁾ .

هذا وتقف عند هذا مما سقناه من فتاوى الربيع المعمول بها وأقواله التي لم يجر العمل بها في المذهب الإباضي شاعرين أننا غير مستوفين حق الربيع في هذا الجانب الفقهي تاركين الباب مفتوحاً على مصراعيه لمن يريد البحث والتحقيق من شبابه العلماء المتعطشين إلى إحياء تراجم الإسلامي الفقهي .
ومخافة هذا العمل تأتي إلى نهاية حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب .

6 - وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب

انتقل الأمام أبو عمرو الربيع بن حبيب إلى جوار ربّه بعد جهاد كبير وكفاح مرير خاضها دفاعاً عن الإسلام وانتصاراً للحق والحقيقة ، وإعلاء لكلمة الله عن طريق النضال العلمي المتمثل في أفواج الطلبة العلماء الذين تخرجوا على يديه فأناروا بعض بقاع العالم الإسلامي بعلمهم ، وفي تدوين السنة النبوية المطهرة الصحيحة منذ فجر تدوينها ، وفي قيادة الحركة الإسلامية التي رسم منهاجها شيخاه أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة بالعراق - إلا أنه لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد - كما هو الشأن في تاريخ ولادته وإن ما ذكره المستشرق الألماني (كارل بروكلمان)⁽¹¹⁰⁾ ومن كان مثله - من أنه توفي عام 170 هـ الموافق 786 م لا تميل إلى صحته بل ونسبته ، لما ثبت عندنا أن الإمام الربيع قد كان موجوداً بعد هذا التاريخ في البصرة ، ولا أدل على ذلك من أن الإمام الرسمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي تولى الإمامة -

(107) أبو طاهر إسحاق بن موسى الحنطالي ، مرجع سابق ج 1 ، ص 290 .

(108) نفس المرجع ، ج 1 ، ص 253 بالهامش . (109) نفس المرجع ، ص 236 .

(110) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، (تر: عبد الحليم النجار) ط 4 القاهرة : دار المعارف ، 1977 م ، ج 7 ، ص 161 .

على ما حققه سليمان الباروني⁽¹¹¹⁾ رحمه الله - سنة 171 هـ ، وأن هذا الإمام قد بعث برسالة إلى أبي عمرو الربيع بن حبيب وعلماء الإباضية بالمشرق يستفتيهم بخصوص ما ادعاه ابن فندين - أحد المتردين على الإمام - من الشرط في الإمامة ألا يقضي أمراً دون جماعة ، وإجابة أبي عمرو على هذا السؤال⁽¹¹²⁾ ، ووجود أبي عمرو الربيع ابن حبيب أيضاً بعد ما حلّ هذا الإمام في جبل نفوسة بليبيا - بعدما استتب الأمن واستقر له الأمر في تاهرت - في طريقه لأداء فريضة الحج ، وعدوله عن هذا القصد للإحراج علماء نفوسة وأهل الرأي منهم عليه بعدم الذهاب لعدم أمن الطريق بالنسبة له لمناهضته للدولة العباسية التي كان الحرمان الشريفان خاضعين لها حينئذ ، ومن هناك (أي من جبل نفوسة) بعث إلى أبي عمرو الربيع بن حبيب بالبصرة وإلى محمد بن عباد بمصر يستفتيها ، فأخذ يفتى الربيع التي تقضي بإبائنا من يبحج عليه ، فأرسل رجلاً من (قزدة) نيابة عنه⁽¹¹³⁾ .

فإذا قدرنا أن الإمام عبد الوهاب - على أقل الاحتمالات - قد بقي بتاهرت بعد سنة 171 هـ التي تولى الإمامة ثلاث سنوات استطاع فيها أن يخذل الثورة ويبعث بوفده إلى المشرق - على بعد المسافة وصعوبة الاتصال وعدم أمن الطريق - وعودة ذلك الوفد ، ثم سفره إلى جبل نفوسة بليبيا ، وإرساله برسالة أخرى إلى أبي عمرو يستفتيه كما أشرنا لا تقل هذه المدة عن أربع أو خمس سنوات بعد توليه ، وإذا فرضنا أن الربيع قد توفي مباشرة بعد رجوع رسول الإمام إليه ، فلا تقل سنة وفاته عن عام 176 هـ إذا صح هذا الفرض ، وقد ثبت أيضاً أنه صلى عليه تلميذه موسى بن أبي جابر المتوفى عام 181 هـ⁽¹¹⁴⁾ وكان مدفنه رحمه الله في موطنه الأصلي في عمان⁽¹¹⁵⁾ والله أعلم .

(111) سليمان عبد الله يحيى الباروني (ت 1940 م) . كتاب الأزهار الإباضية في أمة الإباضية ، القاهرة ، مطبعة الأزهار البازونية لا . ت . ص 101 .

(112) انظر : الباب الثاني الفصل الثالث من 168 .

(113) أبو العباس أحمد بن سعيد البخاري . مرجع سابق ، ص 159 .

(114) سالي بن حمد الحارثي . مرجع سابق ، ص 149 .

(115) راجع : تاجرين محمد الرموزي ، سند الإمام الفراهيدي (محاورة بطنى السنة بالجزائر) . الجزائر : مديرية البحوث الإسلامية والمكتبات ، النقطة 11 - سنة 1982 م ص 2 .

خاتمة البحث

بعد عرض الباحث لما تضمنه موضوع بحثه من خلال الأبواب الثلاثة التي حصره فيها ، أمكنه أن يخرج بالنتائج التالية :

- 1 - ففي الباب التمهيدي الأول تبين له ما يلي :
 - أ - إنَّ السَّنةَ النبويةَ وهي من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم غير متلو . بل يد قوله عز وجل : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (سورة النجم : الآية 3 ، 4) ، وقوله أيضاً في (سورة النساء : الآية 113) ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ، وقد فسر بعض العلماء (الحكمة) بالسَّنة . (النفسي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج : 4 . ص 165 ، رقم : 2 بالمهامش) . ولقوله عليه الصلاة والسلام (فما أوردته الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الدراية ، ص : 8) : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» .
 - ب - تعتبر السنة النبوية الصحيحة المصدر التشريعي الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية ، تالية لكتاب العزيز في حثيتها ، والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، والسنة الرضية ، وإجماع الأمة ، والتسليم ببيانها لكثير مما تنزل من آيات القرآن مجمل غير مفصلة ، أو مطلقة لم تكن مقيدة ، أو عامة ليست مخصصة . فلو لم تكن السنة البَيَانِيَّة حجة و دستورا وجب اتباعه لما أمكن تنفيذ كثير من فرائض القرآن ، ولا اتباع الكثير من أحكامه ، مما ورد عاما ، أو مطلقا ، أو مجملا ويراد به غير ذلك سواء كان ذلك في العبادات أو المعاملات . فالقول بالانكفاء بالكتاب عن الرجوع إلى السنة تنكّر صارخ لأصل من أصول الإسلام ، وهدم لأهم معالمه وركائزه العملية .

ج - إقبال الصحابة الكبير على تلقي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسكهم بتعالما ، والعمل بما جاء فيها ، وتطبيقها كان له أثره الكبير في المحافظة عليها جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم .

د - نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة لم يكن عاماً ، والإياحة لكتابتها لم تكن عامة أيضاً في أول الإسلام ، فحيثما تحققت علّة النهي منعت الكتابة ، وحيثما زالت أبيحت الكتابة ، وعندما حفظ المسلمون قرآنهم ، وميزوه عن الحديث نسخ النهي بالإياحة عامة ، ولو لم يكن إذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذناً عاماً لذهبت تلك الفائدة العمية التي تحققت من كتابة السنة وتدوينها للتشريع الإسلامي ، مما جعله تتسع نصوصه ويواكب كل ما استجد ويستجد في حياة الإنسان من وقائع وأحداث ونوازل يلجأ إليها - إذا لم تسعفه نصوص القرآن الكريم - إلى السنة النبوية المطهرة لكشف أسرارها ، وإجراء أحكامها ، وتحقيق مقاصدها وفق ما تقتضيه الحكمة ، وتتطلبه المصلحة ، ويشده العدل . فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره آخر الرسل ، وخاتم النبيين ، وشريعته هي خاتمة الشرائع والأديان وناسختها لا بد وأن يأمر بما فيه صالح البشرية ، وخيرها ودوام سعادتها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هـ - في عهد الخلفاء الراشدين استمرت الحال على ما هي عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بخصوص عدم تدوين السنة النبوية تدويناً رسمياً . لانشغال الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه بحروب الردّة وتوجيه إمكانات الكتابة لجمع القرآن الكريم في كتاب واحد من مصادره المختلفة عندما استمر القتل في عدد كبير من حفظة القرآن العزيز في أثناء حروب الردة . وتحفظ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والخليفة الثالث عثمان بن عفان من كتابة السنة خشية انصراف المسلمين عن كتاب الله ، وأما الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فهو الآخر لم تسعفه الظروف للاهتمام بتدوين السنة لانشغاله المتواصل بحروب المنشقين عن خلافته طيلة حياته الخليفة .

و - التدوين الرسمي للسنة المطهرة كان في زمن الخليفة الأموي العادل

عمر بن عبد العزيز . أما تقييدها وحفظها - بصورة فردية - فقد مارسها الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبقي الأمر كذلك حتى ذلك الزمن (أي زمن التدوين) ، وخير دليل على ذلك ، الصحيفة الصادقة التي دونها الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص ، و صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكتب ابن عباس ، والصحيفة الصحيحة التي دونها همام بن منبه من شيخه أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيرها .

ز - بداية وضع الحديث ، واختلاق الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بمطلع العقد الخامس من القرن الأول الهجري بسبب الفتنة الكبرى التي نجم عنها مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ثم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، واتقسام المسلمين على أنفسهم شيعاً وأحزاباً ، وقرقا ومذاهب ، ومحاولة كل فريق أن يدعّم رأيه وما يدعيه بالقرآن والسنة . ولما لم تحتل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف جميع ما تدعيه تلك الفرق ، وتزرعه هاتيك الأحزاب لجأ بعضهم إلى تأويل على غير حقيقته ، وتحميل نصوص السنة ما لا تتحمّله ، وأن يضع البعض الآخر أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل الأشخاص ومناقبهم ، وفي المثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وغيرها في العبادات والمعاملات المختلفة ، وفي الأطعمة ، والآداب ، والزهد ، والذكر ، والدعاء ، وفي الطب ، والمرض ، والفنن ، والموارث وغيرها .

ح - لقد بذل علماء الحديث وجهابذة الجرح والتعديل جهوداً كبيرة لتخليص السنة النبوية الرضية من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق ، وذلك بالتشديد في طلب الإسناد من الرواة والزعمو في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتبروه للخبر كالنسب للمرء ، والتوثق من صحة الأحاديث ، وتقيد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب ، ووضع قواعد عامة لتقويم الحديث وتمييزه من حيث السند والمتن .

ط - ليس هناك بين المحدثين خلاف في الحديث الصحيح المتواتر لفظاً

ومعنى من أنه يوجب العلم القطعي اليقيني والعمل . وأما حكم الحديث المشهور أو المستفيض فإفادة الطمأنينة والظن القريب من اليقين والعمل .
والحديث الأحادي يوجب العمل فيما يدل عليه دون العلم ، والحديث الضعيف لا يمكن العمل بمضمونه .

2 - وفي الباب الثاني تبين ما يلي :

أ) هناك عوامل أدت إلى عدم تعرض رجال الحديث للربيع بن حبيب كحدث ، أو تقويم إنتاجه كغيره من علماء السنة وتثقل في :

✽ عزلة فرضها الربيع على نفسه بقلعه الباب في وجوه طلبه العلم من غير أصحابه ، وامتناعه عن رواية الحديث لمن سواه خشية أن يشيع أمره فيطلب لما هو أعظم أو يفتن .

✽ ظلم الحكام وسياستهم الجائرة بما أملوه في نفوس الجاهل من الكراهية ضد أولئك الذين أسهموا خوارج ومنهم الربيع هذا .

✽ انعدام مصادر تاريخ الإباضية بصفة عامة ، وذهابها ضحية الظلم ، والفتن ، والتعصب من مناوليهم .

✽ احتفاظ الإباضية بمصنفاتهم غزونة في مكتباتهم دون أن يكتفوا أحدا غيرهم من الاطلاع عليها أو إذاعتها ، وأنه لم ينتج لها منهم من يتبنى نشرها وإظهارها إلى حيّز الوجود - كغيرهم - لعموم الأمة الإسلامية .

✽ اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج المبتدعة ، ولما كان الربيع بن حبيب هذا أحد زعماء الحركة الإباضية وأعلامها المفكرين ربما اعتبره أهل الحديث مبتدعا داعيا لبدعته وتجنّبوا الرواية عنه ، ولم يهتموا بمسندة ، لانطباق أحد الشروط التي وضعوها لعدم قبول الرواية عليه .

✽ عدم مضاعفة الربيع بن حبيب للسلطات الحاكمة الجائرة التي لاقى منها علماء الأمة وأئمة الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين كل عنت واضطهاد ، وبذلك أهملت أعماله وأعمال أضرابه ، وطُمست أخبارهم وبالتالي لم تر مصنفاتهم طريقها إلى عالم النشر .

ب) عمان هو الموطن الأصلي لأبي عمرو الربيع بن حبيب وإن كان قد نسبته أكثر المؤرخين إلى البصرة ، لأنه عاش فيها أكثر حياته .

ج) مولد أبي عمرو الربيع بن حبيب (بودام) إحدى قرى السهل الساحلي من الباطنة بعمان ، وسنة ميلاده لم تتحقق مع الباحث على وجه التحديد إلا أنه غلب على ظنه أنه قد ولد في منتصف العقد الثمن من القرن الأول الهجري زمن الخليفة الأموي عبد الملك أي حوالي سنة 75 هـ أو قبلها أو بعدها بقليل .

د) يستبعد أن يكون الربيع بن حبيب قد روى أحاديث عن عبادة بن الصامت ، وأبي مسعود الأنصاري وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الإمام أبو محمد عبد الله بن حديد السالمي ومن بعده الأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عمر ، لأن هؤلاء الصحابة الثلاثة قد لحقوا برهبهم قبل التاريخ المظنون لميلاد الربيع .

هـ) كان مقدم الربيع من عمان إلى البصرة قبل سنة 93 هـ التي توفي فيها شيخه أبو الشعثاء حيث أدركه وأخذ عنه قليلا من العلم وروى عنه في المسند حديثا ونزل في محلة يقال لها : (الحربية) .

و) لم يقتصر الربيع بن حبيب في تلقيه الحديث والفقه على مشائخ وأئمة أهل الدعوة (الإباضية) بالبصرة ، ولكن تنقل بين حلقات دروس لمشائخ غيرهم من علماء الأمة على عادة من عاصره من العلماء ، وكان عدد شيوخه خمسة وعشرين شيخا ، أشهرهم أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان ، وضام بن السائب الندبي .

ز) أبو الشعثاء جابر بن زيد هو الشيخ الأكبر للربيع من كبار التابعين وصاحب ابن عباس رضي الله عنه ، ومن أوائل من دون الحديث والفقه في كتاب أسماه الديوان وقد أشار إليه الحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ، ولكنه لم يعط عنه أية تفصيلات ، ولم يذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته عن هذا الكتاب . وقد تولى تنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية) على ما استتجنه من المعلومات الواردة في المصادر الإباضية في زمن ولاية عبيد الله

ابن زياد للعراق (57 - 64 هـ) ثم تولى بعد وفاته سنة 93 هـ تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة - شيخ الربيع الثاني - الإمامة الروحية والرئاسة العلمية للإباضية منذ سنة 95 هـ. واتسعت في عهده حركة الإباضية على يد تلاميذه الذين حلوا العلم عنه إلى المغرب والمشرق، حيث تأسست بعد استشارته إمامة الإباضية في طرابلس سنة 140 هـ على يد أبي الخطاب المعافري، وإمامة عبد الله بن يحيى طالب الحق في حضرموت واليمن ثم استولى على مكة والمدينة سنة 129 هـ. وقد سلم أبو عبيدة في حياته وعندما وهن عظمه أمر الدعوة لأبي عمرو الربيع بن حبيب لثقتة فيه. «إذ قال في حقه» فقيهما وإمامنا وتقينا وأميننا وثقتنا».

ح) أسهم أبو عمرو في الحركة العلمية بالبصرة سواء بإعداد الرجال أو التأليف، فقد تخرج على يديه حملة العلم إلى عان وخراسان وحضرموت وعدد من العراقيين. وأشهرهم: أبو المنذر وبشير بن المنذر الزواني ومنير بن النير الجعلاني، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي، ومحمد بن المعلى الكندي، وأبو أيوب وأثل بن أيوب الحضرمي، وهاشم ابن عبيد الله الخراساني.

ونلاحظ أنه لم يكن للربيع بن حبيب تلاميذ من المغرب كما كان لشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ولعل السبب في ذلك - في نظرنا - يرجع إلى أمرين:

1 - لما ظهرت إمامة الإباضية في طرابلس بزعماء أبي الخطاب، وكان ما كان من قتال بينه وبين عمال العباسيين، ثم بينهم وبين من جاء بعد أبي الخطاب كأبي حاتم البازوزي، وبعد الرجمين رسم مؤسس الإمامة بتاهرت، أصبح الذهاب إلى البصرة بالعراق مهد الحركة الإباضية غير ميسور وشاقاً، وبذلك لم يتسن طلبية العلم المغاربية الالتحاق بمدرسة الربيع بن حبيب التي عاصرت تلك الأحداث.

2 - قيام حركة علمية واسعة في أجزاء من ليبيا وتونس والجزائر على يد

حملة العلم الخمسة إلى المغرب من تلاميذ أبي عبيدة مسلم العائدين من البصرة بحيث لم يكن هناك حاجة لبعثات علمية إلى العراق.

وأما في مجال التأليف فقد كان أبو عمرو الربيع بن حبيب من الرواد في تدوين الحديث النبوي الشريف، والفقه، فكان ما وصل إلينا مما دونه - عدا الذي عثت به أيدي التلاشي -: الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب في الحديث وأغلب روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتاب آثار الربيع، وقد رواه عن شيخه ضام بن السائب الندي عن جابر بن زيد مقطوعاً، وقد جمعه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة ولم يطبع بعد، وكتاب فتيا الربيع بن حبيب، وإجابات وفتاوى في مختلف أبواب الفقه وردت في المدونتين الكبرى والصغرى لأبي غانم بشير بن غانم الخراساني من علماء القرن الثالث.

ط) أجمعت المصادر التاريخية الإباضية على أن أبا عمرو الربيع بن حبيب كان يتمتع بمكانة عالية جداً في الأوساط العلمية والاجتماعية الإباضية في جميع تلك الأقطار الإسلامية التي انتشرت فيها دعوتهم، وبذلك صاروا لا يقطعون أمراً - مهما كان نوعه - دون الرجوع إليه، باعتباره الإمام الروحي، ووارث مكانة شيخه أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة اللذين يرجع إليهما الفضل في تأسيس وتنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية).

3 - وفي الباب الثالث تبين ما يلي:

أ) أئمة وعلماء الإباضية كانوا من أوائل من أسهموا بمجهودهم المخلص في تدوين الحديث والسنة المطهرة ومنهم على سبيل المثال: أبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبو عمرو الربيع بن حبيب، وثور بن زيد التلي المدني وداود بن الحصين، وهذان الأخيران شيخا مالك بن أنس الأصبحي، وغيرهم كثير، وقد وثق هؤلاء العلماء علماء الحديث ورجال الجرح والتعديل، فقال عنهم الإمام مالك: «لأن يحروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا»، وقال عنهم أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله: «لا يعرف عن أحدهم الكذب قط».

(ب) أقصر أبو عمرو الربيع بن حبيب جهوده في رواية الحديث على أشياخه من أهل الدعوة (الإباضية) دون غيرهم من عدني الأمة لاطمئنانه وثقته الكبيرة فيهم لأنهم يرون الكذب مطلقاً كبيرة ، فهم بذلك أولى من يتحاشى الافتراء والاختلاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ج) جاء ما رواه الربيع في مسنده من أحاديث بسند ثلاثي قصير قريب الاتصال بالينبوع المحمدي ، واشتهر رجاله بقوة الحفظ والضبط ، وكال الصدق والسياسة والأمانة ، وهم : أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وجابر بن زيد الأزدي ، والجرير عبد الله بن عباس شيخ جابر وغيره من الصحابة .

(د) يتصف الربيع بن حبيب بصفات الراوية الأمثل من الضبط والعدالة ، وقد أجمع علماء الإباضية قديماً وحديثاً على عدالته وثقوه ، وحسبه ما قاله في حقه شيخه أبو عبيدة مسلم - ومن أعرف بالتمليذ من شيخه - «فقيهاً وإماماً وتقيماً» ، ووثقه غير الإباضية من السلف : يحيى بن معين في كتابه التاريخ إذ

قال : «الربيع بن حبيب بصري يروي عن الحسن وابن سيرين وهو ثقة» . ومن الخلف وثقة المرحوم عز الدين التنوخي فقال في معرض حديثه عن رجال مسند الربيع بن حبيب : «ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال ، وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ، ولا إرسال ، ولا انقطاع ، ولا إعضال ... إلى أن قال : ثلاثيات الربيع ابن حبيب الأزدي ، وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلها سنداً» .

(هـ) المدرسة الفقهية التي ينتهي إليها أبو عمرو الربيع بن حبيب هي تلك المدرسة التي أسس أصولها وآراءها الفقيه أبو الشعثاء جابر بن زيد أو ما سمي فيها بعد (بالمذهب الإباضي) ، فهي وإن كانت إحدى مدارس البصرة بالعراق إلا أنها لم تذهب مع الرأي ذلك المذهب الذي بلغه الحذيفة والمعزلة ، ويمكن وضعها في الشريحة التي تقع بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة والحنفية من جهة أخرى . فهي تعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض ، وعلى الأحاديث ، وعلى مرسل الصحابة

والتابعين ، وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان أحادياً أو مرسلًا للطبقة السابقة ، ولا يرد الحديث الأحادي إلا إذا صادمه دليل قطعي ، وتقول أيضاً بالإجماع والقياس والاستصحاب والمصلحة المرسل .

(و) لم يكن هناك للربيع بن حبيب مصنف قائم بذاته في الفقه ، وإنما جاءت آراءه الفقهية وفتاويه متناثرة هنا وهناك في كتب الفقه الإباضي ، ولعل أكثر ما جاء منها تضمنته المدونة الكبرى لتمليذه أبي غانم بشر بن غانم الخراساني التي جمعها عن سبعة من أشياخه تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

(ز) منهج أبي عمرو الربيع بن حبيب في الفتوى يتلخص فيما يلي :
 ☆ معظم فتاويه تعتمد على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وأثر ورأي .
 ☆ تسم بالاختصار دون سوق الأدلة والتصوص المعتمدة في الفتوى أحياناً .
 ☆ الاعتدال الكبير بعد القرآن الكريم في السنة على مسند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن صحابة رسول ﷺ .

☆ الاقتصاد في كثير من الإجابات على كلمتي : نعم ، أو لا ، دون تعليل أو تأصيل .

☆ التحفظ عن إطلاق كلمة (حرام أو محرم) بقوله : «ذلك لا يعجبني في بعض الأحيان» .

(ح) هناك بعض أقوال وآراء في الفقه لأبي عمرو الربيع بن حبيب لم يجر العمل بها في المذهب الإباضي .

(ط) ما ذكره بعض المؤرخين من أن وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب كانت سنة (170 هـ) غير مسلم به إذ أنه ثبت بالدليل القاطع أنه كان موجوداً بعد هذا التاريخ بسنوات والذي ترجح لدى الباحث أن وفاته كانت بعد سنة (175 هـ) والله أعلم .

هذا وإنني أرجو أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ما سعت من أجله من وضع أبي عمرو الربيع بن حبيب في مكانته اللائقة به بين المحدثين والفقهاء .. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصادر ومراجع البحث

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة . شرح عبد الله دراز . بيروت : دار المعرفة .
- 3 - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تقييد العلم . تحقيق : يوسف العث . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1974 م .
- 4 - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث . تحقيق : محمد سعيد الخطيب . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1974 م .
- 5 - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الدراية . بيروت : المكتبة العلمية .
- 6 - أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكتاني ، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الثنية الموضوعة تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وزميله ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1979 م .
- 7 - أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب . تحقيق : يوسف سعد داغر . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الأندلس ، 1978 م .
- 8 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد علي صحيح وأولاده .
- 9 - أبو حفص عمرو بن جميع ، مقدمة التوحيد . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم طغيش . الطبعة الثانية .
- 10 - أبو داود سليمان بن الأشعث الجتاني ، سنن أبي داود . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، 1371 هـ .

- 23 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة : دارالكتاب العربي ، 1967م .
- 24 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .
- 25 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، شرح البخاري بحاشية السندي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
- 26 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، معرفة علوم الحديث . تصحيح : السيد معظم حسين . الطبعة الثالثة ، بيروت : دار الآفاق .
- 27 - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) ، سنن ابن ماجة . تحقيق : إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة : المطبعة المنيرية .
- 28 - أبو العلا علي أبو العلا وزميله ، دراسات في علوم الحديث . القاهرة : دار التراث العربي ، 1973م .
- 29 - أبو عمرو الربيع بن حبيب ، الجمع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . تصحيح عبد الله بن حميد السلمي . بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ .
- 30 - أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1978م .
- 31 - أبو عمرو يوسف بن عمرو بن عبد البر ، التهيد لما جاء في الموطأ من المعاني والأسانيد . تحقيق : هيئة العلماء بالملكة المغربية المحمدية : مطبعة فضالة .
- 32 - أبو عمرو يوسف بن عمرو بن عبد البر ، جامع العلم وفضله . تحقيق إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة : المطبعة المنيرية .
- 33 - أبو غانم بشر بن غانم الخراساني ، المدونة الكبرى . ترتيب : محمد بن يوسف اطفيش . لبنان : دار البقعة ، 1974م .
- 34 - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل . طبعة الثانية بيروت : دار المعرفة ، 1975م .

- 11 - أبو الربيع سليمان الباروني ، مختصر تاريخ الإباضية . الطبعة الثانية . تونس : المطبعة السلفية .
- 12 - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم . تحقيق : إسماعيل العربي . الجزائر : المطبعة الوطنية ، 1979م .
- 13 - أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير ، كتاب الوضع . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم اطفيش . القاهرة : مطبعة الفجالة .
- 14 - أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . مطبعة الملاح ، 1973م .
- 15 - أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قناطر الخيرات . تحقيق : عمرو خليفة النامي . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ، 1965م .
- 16 - أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قواعد الإسلام . تحقيق : بكلي عبد الرحمن بن عمر . غرداية : المطبعة العربية ، 1976م .
- 17 - أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب . تحقيق : إبراهيم طلاي . قسنطينة بالجزائر : مطبعة البعث .
- 18 - أبو العباس أحمد بن سعيد الشاذلي ، السير . تصحيح : محمد بن يوسف الباروني . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية .
- 19 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : إحسان عباس . بيروت : دار صادر ، 1978م .
- 20 - أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد . شرح : محمد أحمد شاكور . الطبعة الثانية . مصر : دار المعارف ، 1955م .
- 21 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، إعلام الموقعين عن رب العالمين . تحقيق : مطبعة عبد الرؤوف سعد . بيروت : دار الجيل ، 1973م .
- 22 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، المنار . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية .

- 35 - أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير، البداية والنهاية . الطبعة الثالثة ، بيروت : مكتبة المعارف ، 1979 م .
- 36 - أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير ، الباعث الحثيث .. بيروت : دار الفكر .
- 37 - أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري . القاهرة : طبع دار الشعب ، 1970 م .
- 38 - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم ، كتاب الفهرست للنديم . تحقيق : رضا تجدد ، طهران : 1971 م .
- 39 - أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنتقاة فيما أحلَّ به كتاب الطبقات . طبعة حجرية مصورة . القاهرة : 1884 م .
- 40 - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت ، دار صادر ، مصورة عن دار السعادة 1328 هـ .
- 41 - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، حيدرآباد مطبعة مجلس دائرة المعارف ، 1325 هـ .
- 42 - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الطبعة الثانية . بيروت : دار المعرفة .
- 43 - أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) ، لسان العرب . القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف .
- 44 - أبو الفضل عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، شروط الأئمة الخمسة .
- 45 - أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم طغيش . القاهرة : مطبعة الشباب 1350 هـ .
- 46 - أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي . طلعة الشمس . القاهرة : مطبعة الموسوعات .
- 47 - أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، العقد الثمين . تحقيق : سالم حد الحارثي . القاهرة : دار الشعب .

- 48 - أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، اللّعة المرضية من أشعة الإباضية . الكتاب الرابع من مجموعة ستة كتب . غرداية : المطبعة الربيعية .
- 49 - أبو محمد عبد الله بن حيد السالمي ، من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية ، 1327 هـ .
- 50 - أبو نعم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .
- 51 - أحمد أمين ، فجر الإسلام . الطبعة العاشرة . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1969 م .
- 52 - أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، 1977 م .
- 53 - أمين الخولي ، مالك بن أنس ، القاهرة : دار الكتب العربية .
- 54 - تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .
- 55 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . القاهرة : المطبعة الخيرية .
- 56 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مقتاج الجنة في الاحتجاج بالسنة . الطبعة الثالثة . المدينة المنورة ، مطابع الرشيد ، 1979 م .
- 57 - حاجي خليفة ، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون .
- 58 - الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) ، المفردات في غريب القرآن . إشراف : محمد أحمد خلف ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
- 59 - خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الثالثة . بيروت .
- 60 - زكي الدين شعبان ، أصول الفقه الإسلامي ، الطبعة الرابعة . منشورات جامعة قاريونس ، 1979 م .
- 61 - سالم بن حد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية . لبنان : دار اليقظة العربية .

- 62 - سالم بن حمّود بن شامس السبائي السائي ، إزالة الوعاء عن أتباع أبي الشعثاء ، تحقيق : سيدة إسماعيل كاشف . القاهرة : مطابع سجل العرب ، 1979 م .
- 63 - سالم بن حمّود بن شامس السبائي السائي ، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان . بيروت : مطابع الكتب الإسلامية ، 1984 هـ .
- 64 - سالم بن حمّود بن شامس السبائي السائي ، أصدق المناهج في تمييز الإياضية من الخوارج . تحقيق : سيدة إسماعيل كاشف . القاهرة : مطابع سجل اللعب ، 1979 م .
- 65 - سالم بن يعقوب الجربي ، مقتطفات من كتاب رفض شبهات المؤرخين لأبي إسحاق إبراهيم الطفيش . (عظوظة) .
- 66 - سليمان عبد الله الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإياضية . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية .
- 67 - صالح باجيه ، الإياضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى . بحث تاريخي ، إشراف : علي الشابي . تونس : دار السلامة للطباعة ، 1976 م .
- 68 - صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . الطبعة السادسة . بيروت : دار العلم للملايين ، 1971 م .
- 69 - ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم الثميني ، النيل وشفاء العليل . تحقيق : بكلي عبد الرحمن بن عمر . الطبعة الثانية . الجزائر : المطبعة العربية ، 1979 م .
- 70 - ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم الثميني ، الورد البسام في رياض الأحكام . تحقيق : محمد بن صالح الثميني ، تونس : المطبعة التونسية ، 1345 هـ .
- 71 - الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط . الطبعة الثالثة . بيروت : الدار العربية للكتاب ، 1980 م .

- 72 - ظفر أحمد التهانوي ، قواعد في علوم الحديث . تحقيق : عبدالفتاح غدة . الطبعة الثالثة . بيروت : مكتبة المطبوعات الإسلامية .
- 73 - عادل رضا ، عمان والخليج . مصر : دار الكتاب العربي ، 1969 م .
- 74 - عامر بن علي الشاخي ، الإيضاح ، الطبعة الثانية . بيروت : مطبعة الوطن ، 1971 م .
- 75 - عبد الباسط موسى العلوي ، المفيد في أدب المفيد والمستفيد . دمشق : مطبعة الترقّي ، 1349 هـ .
- 76 - عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) ، شرح نهج البلاغة .
- 77 - عبد الحي بن العاد الخنيلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت : دار الآفاق الجديدة .
- 78 - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، كتاب الجرح والتعديل .
- 79 - عبد العظيم شرف الدين ، تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعة . الطبعة الثالثة . منشورات جامعة قاريونس ، 1978 م .
- 80 - عبد القادر زكّوم ، عمان والإمارات السبع . بيروت : مكتبة الحياة .
- 81 - عبد الله بن أبي القاسم البضاوي ، منهاج الرسول في علم الأصول . شرح : محمد بن الحسن البخشي ، القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .
- 82 - عبد الله بن أحمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل . دمشق : المكتبة الأموية .
- 83 - عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، سنن الدارمي . حيدرآباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ، 1952 م .
- 84 - عبد الله بن يحيى الباروني ، سلم العامة والمبتدئين . تحقيق : سليمان عبد الله الباروني . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية .
- 85 - علي بن سلطان القاري الهروي ، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع . تحقيق : عبد الفتاح غدة . الطبعة الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1978 م .

- 101 - محمد بن أحمد ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد . بيروت : دار الفكر .
- 102 - محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- 103 - محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة . تحقيق : أحمد محمد شاكر . القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1940م .
- 104 - محمد إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام . مراجعة : محمد خليل هراس . القاهرة : مطبعة عاطف وشركائه .
- 105 - محمد تقي الحكيم ، الأصول العامة للفقه المقارن . الطبعة الثانية . بيروت : دار الأندلس ، 1979م .
- 106 - محمد الخضري ، تاريخ التشريع الإسلامي . الطبعة التاسعة . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1970م .
- 107 - محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر ، 1958م .
- 108 - محمد عبد الله السالمي وناجي عساف ، عمان تاريخ يتكلم . دمشق : المطبعة العمومية . 1963م .
- 109 - محمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث علومه ومصطلحه . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الفكر ، 1975م .
- 110 - محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1963م .
- 111 - محمد بن علي ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963م .
- 112 - محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . بيروت : دار الفكر .
- 113 - محمد بن علي الشوكاني ، الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة ، تحقيق : عبد الرحمن المعلى . القاهرة : مطبعة دار إحياء السنة النبوية 1978م .

- 86 - علي بن محمد بن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ .
- 87 - علي مصطفى المصراحي ، مؤرخون في ليبيا . الشركة العامة للنشر ، 1977م .
- 88 - علي يحيى معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة : مطابع سجل العرب 1976م .
- 89 - علي يحيى معمر ، الإباضية مذهب من المذاهب المعتدلة ، (مخطوطة) .
- 90 - علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ . القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي ، 1964م .
- 91 - عمرو خليفة النامي ، أجوبة ابن خلقون . بيروت : دار الفتح ، 1974م .
- 92 - عمرو خليفة النامي ، دراسات في الإباضية . دكتوراه من جامعة كبريدج 1971م .
- 93 - عمر مولود عبد الحميد ، حجة القياس في أصول الفقه الإسلامي . منشورات جامعة بنغازي (سابقاً) .
- 94 - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية . عمان : مطابع دار الشعب 1978م .
- 95 - فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي . ترجمة : فهمي أبي الفضل ومن معه . القاهرة : دار المعارف ، 1977م .
- 96 - كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي . ترجمة : عبد الحليم النجار . الطبعة الرابعة . القاهرة : دار المعارف ، 1977م .
- 97 - مالك بن أنس ، الموطأ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- 98 - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية . القاهرة : مؤسسة التحرير للطبع والنشر ، 1386 هـ .
- 99 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معجم ألفاظ القرآن الكريم . طبع القاهرة .
- 100 - مجهول ، الديوان المعروف على علماء الإباضية . نسخة مصورة من مجموع بحيازة يوسف محمد الباروني بجزيرة .

- 114 - محمد بن يوسف أطفيش ، تكملة خارجة عن المدونة الكبرى بعد ترتيبها (مخطوطة) .
- 115 - محمد بن يوسف أطفيش ، شرح عقيدة التوحيد . مطبعة حجرية ، 1326 هـ .
- 116 - محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين . تعليق : السيد علي مالك وزميله . القاهرة : مطبعة الفجالة الجديدة ، 1960 م .
- 117 - مصطفى حسني الباعلي ، السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي . القاهرة 1961 م .
- 118 - مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب . الطبعة الثالثة ، 1979 م .
- 119 - موسى وعلي بكير بن علي ، مجموع سنة كتب . غرداية : المطبعة العربية .
- 120 - ناصر بن محمد المرمروري ، مسند الإمام الفراهيدي . عاصرة بملتقى السنة بالجزائر . الجزائر : مديرية البحوث الإسلامية والمكتبات . النقطة الحادية عشرة ، 1982 م .
- 121 - النعمان بن محمد بن العراق ، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر . تحقيق : محمد حيد الله . إسلام آباد : مطبعة معهد البحوث الإسلامية ، 1973 م .
- 122 - نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث . الطبعة الثانية . دمشق : دار الفكر ، 1979 م .

الفهرس

- 11 مقدمة البحث
- 12 أسباب اختيار الموضوع
- 15 طريقة البحث
- 18 خطة البحث

الباب الأول

- 25 الفصل الأول : السنة مفهومها وطرق تلقيها
- 25 مقدمة الفصل
- 26 مفهوم السنة لغة وأصطلاحاً
- 30 أقسام السنة
- 32 الفرق بين السنة والحديث
- 33 علاقة السنة بالقرآن الكريم
- 39 أدلة حجية السنة
- 43 السنة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله ﷺ

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في تدوين السنة

- 49 ومقاومتهم للوضع فيها
- 49 مقدمة الفصل
- 50 الأسباب التي حلت دون كتابة السنة في عهد الرسول ﷺ

56	السنة في عهد الخلفاء الراشدين
61	التدوين الرسمي للسنة
64	تسرب الوضع في الحديث
68	جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع في السنة

79	الفصل الثالث : الحديث النبوي الشريف
79	مقدمة الفصل
79	معنى الحديث لغة واصطلاحاً
81	علاقته بالخبر
82	علاقته بالأثر
84	الحديث القدسي
85	الفرق بين الحديث القدسي والقرآن
86	الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي
87	مراتب الحديث
91	الشروط التي ينبغي توفرها في رواية الحديث وفي قبول الرواية
94	الألقاب العلمية لرواة الحديث

الباب الثاني

101	الفصل الأول : حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب
101	مقدمة الفصل
101	صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسبابها
105	الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب
109	عمان موطن الأول لأبي عمرو الربيع بن حبيب
114	الحياة العقلية بعمان

120	الربيع بن حبيب مولده ونسبه وأسرته
124	نشأته
126	تحول الربيع بن حبيب من عمان إلى البصرة لطلب العلم
129	الفصل الثاني : شيخ أبي عمرو الربيع بن حبيب
129	مقدمة الفصل
129	شيخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده
131	شيخ روى عنهم الربيع في مسنده
157	الفصل الثالث : تلاميذ أبي عمرو الربيع بن حبيب
157	مقدمة الفصل
	أسباب انقطاع طلبة العلم الإباضيين بشال أفريقيا من مدرسة
164	الربيع بن حبيب بالبصرة
168	إنتاج أبي عمرو الربيع بن حبيب العلمي
171	مكانته الاجتماعية والعلمية

الباب الثالث

183	الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدث
183	مقدمة الفصل
184	مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث النبوي والسنة المطهرة
191	نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث
200	جهود أبي عمرو الربيع بن حبيب في أداء ما تحمل في الحديث
202	عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه وما قيل في حقه
	نماذج مما جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من الأحاديث
207	وعدد ما يحتوي هذا المسند منها

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه.....	217
مقدمة الفصل.....	217
التعريف بالفقه لغة واصطلاحاً.....	220
الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه.....	224
المدرسة الفقهية التي ينتهي إليها الفقيه أبو عمرو الربيع بن حبيب.....	228
غاذج من فتاوى أبي عمرو الربيع بن حبيب.....	233
بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجر العمل بها في المذهب الإباضي.....	243
وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب.....	244
خاتمة البحث.....	247
مصادر ومراجع البحث.....	257

المطبعة العربية
بج طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى: 1994 م 86 هـ 05 ربيع الأول

